

مَلَامِحُ رِئَاسِيَّةٍ

# لِلْمَلِكِ هَمِّ السَّلَفِيَّةِ

(مُحَاضِرَاتٌ فِي السَّلَفِيَّةِ)

وَبِحَوْلِهِ بَلَدٌ

جلال عظمي

دار الحقيقة



# ملاح رئيسية للمنهج السلفى

تأليف

د. علاء بكر

دار الحقيقة

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾

آل عمران: ١٠٢.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾

النساء: ١.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، وما قل وكفى خير مما كثر وألهى، وإن ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين.

هل نحن أمة لا ماضي لها تعتبر به، هل نحن أمة لا منهج لها تسير عليه... هل نحن نحتاج إلى الأخذ بمنهج الشرق تارة وبمنهج الغرب تارة، أملاً في الخروج مما نحن فيه. لقد تعرضت أمتنا عبر تاريخها الطويل لفترات من الضعف والتخاذل، ولاقّت مرات من الفشل والهزائم، ولكنها كانت تقوم من كبوتها في كل مرة فور عودتها إلي التمسك بكتاب ربها وسنة نبيها ﷺ. فما بالنّا بعد أن تخلصنا من الاستعمار وحررنا إرادتنا بالاستقلال لم نرجع إلى التمسك بديننا، وآثرنا أن نجرب مناهج الغرب والشرق التي لا تهتدي بهدي السماء.

لقد عاشت مصر -على سبيل المثال- قبل الإسلام قروناً في ظل حكم الرومان، تابعة لمقهورة، وما إن فتحها عمرو بن العاص ورفاقه ﷺ حتى تحولت من رق العبودية للرومان إلى عز الحرية والإسلام، وتبدلت من تابعة لمقهورة إلى رائدة منصوره، فشارك المصريون بنصيب وافر في الفتوحات الإسلامية في إفريقيا وغيرها، وهزموا التتار العتاة، ودحروا الصليبيين الغزاة، وكان فيهم من العلماء البارزين والرجال الناجحين الكثير والكثير. وكنا جزءاً من حضارة إسلامية عظيمة بلغ اتساعها الأفاق وأدركت أمجادها عنان السماء، فلما طال بنا الأمد وقست قلوبنا وبعدنا عن الكتاب والسنة والاقتداء بسلف الأمة صرنا إلى ما نحن فيه من الهوان والضياع.

يقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦].

ويقول تبارك وتعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥].

لقد أدرك شباب الصحوة الإسلامية في كل المجتمعات الإسلامية حتى في المجتمعات الأوروبية الغربية - أنه لن يصلح هذه الأمة إلا بما صلح به أولها. . . .  
الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، وها هي الدعوة السلفية تلقى بحمد الله تعالى المؤيدين والمتتبعين في كل مكان. . . . ولما لا. . . . وهي دعوة التوحيد الموافقة للفترة. . . . وهي العلم النافع والعمل الصالح والأخذ بالإسلام كله.

٢١ هـ تمسك المستقيم ١٩

ولكن أعداء الإسلام من العلمانيين والمستغربين يأبون إلا أن يعزلوا أنفسهم عن تيار الصحوة وجمهورها بإظهار العداوة باللسان تارة - وما تخفي صدورهم أكبر - وبالطعن في هذه الدعوة تارة أخرى. . . . وهيئات فالقافلة تسير. . . . وتوفيق الله تعالى لجهود الدعاة كبير. . . . والأمة بحمد الله تستجيب. . . . والباطل يندحر. . . . ولله الحمد والمنة.

إن المذهب السلفي هو المذهب الذي يمثل الإسلام نقياً كما نزل، ويصوره أصدق تصوير، بالتزام الكتاب والسنة منهجاً وطريقاً، وفق فهم قرون الخيرية سلف الأمة من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين الذي بهم قامت حضارة الإسلام العظيمة، وكانت لهم بفضل توفيق الله تعالى لهم دفعة قوية حافظت على استمرار الأمة في علوها وقيادتها للبشرية قروناً طويلة.

والناس اليوم أحوج ما يكونون إلي التمسك بالمنهج السلفي، والتزام هدي السلف في العقيدة والعبادات والأخلاق والسلوكيات، وبالعلم النافع والعمل الصالح، والتعرف على موقف المنهج السلفي من القضايا التي تقوم عليها حياة الناس المعاصرة.

ومن هنا أقدم هذا الجهد المقل لإخواني من طلبة العلم ومجبيه على أمل أن  
أكون قد ساهمت بشيء -ولو يسير- في توضيح المنهج السلفي وإبراز ملامحه  
لكل من يريد أن يتعرف عليه.

ولا أنسى أن أقدم شكري وامتناني لكل من عاونني في إظهار هذا العمل  
وتقديمه. وأخص بالذكر شيخنا الفاضل ياسر برهامي الذي لم يبخل بوقته وعلمه  
في التوجيه والنصح والإرشاد فجزاه الله عني خيراً.

اللهم تقبل ... واغفر وارحم ... واعفو عما تعلم ... والحمد لله رب  
العالمين.

**علاء بكر**

الأسكندرية

جمادي الأولي ١٤٢١ هـ

يونيو ٢٠٠١ م

ملاحج رئيسية للمنهج السافى

أولاً

ملاحج نظرية للسافية



# السلفية

\* لغة

\* شرعاً

\* تاريخاً



### معنى السلفية لغة

سَلَفٌ: تقدم. السَّالِفُ: المتقدم.

قال تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ﴾ [الزخرف: ٥٦].

قال الفراء: يقول جعلناهم سلفاً متقدمين ليتعظ بهم الآخرون.

قال الجوهري: سَلَفٌ يَسْلُفُ سَلْفًا، مثالُ طَلَبٍ يَطْلُبُ طَلَبًا أى مضى.

وسلف الرجل: أبأوه المتقدمون.

والسلف أيضا: من تقدمك من آبائك وذوى قرابتك الذين هم فوقك فى السن والفضل. وأحدهم سالفٌ ومنه قول طفيل الغنوي يرثى قومه:

مضوا سلفاً قَصْدُ السَّبِيلِ عَلَيْهِمْ      وَصَرَفُ الْمَنَائِيا بِالرِّجَالِ تَقَلُّبٌ

أراد أنهم تقدمونا، وقَصْدُ سَبِيلِنَا عَلَيْهِمْ، أى نموت كما ماتوا، فنكون سلفاً لمن بعدنا، كما كانوا سلفاً لنا. وقيل: سلف الإنسان من تقدمه بالموت من آبائه وذوى قرابته. ولهذا سُمى الصدر الأول من التابعين السلف الصالح<sup>(١)</sup>.

ومذاهب السلف: مذاهب المتقدمين من الإسلام وشرعاً كل من يُقَلِّدُ وَيُقْتَفِي أثره فى الدين.<sup>(٢)</sup>

### لفظ سلف فى القرآن الكريم

ورد لفظ (سلف) بمعنى تقدم أو مضى فى القرآن الكريم فى مواضع عديدة:

١- قال تعالى: ﴿فَمِنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

(١) راجع فى ذلك: لسان العرب لابن منظور ج٣ ص٢٠٦٨-٢٠٧٠ ط. دار المعارف.

(٢) محيط المحيط: بطرس البستاني ج٣ / ٩٨٣. والسلفية لغة مصدر صناعى فى آخره ياء وتاء.

- فى السنة النبوية: وردت كلمة (السلف) بمعنى (السلم)، وحقيقته شرعاً بيع موصوف فى الذمة بيد يعطى عاجلاً، والعلماء على مشروعيته إلا ما حكى عن ابن المسيب. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يسلفون فى الثمار السنة والستين (أى إلى السنة والستين) فقال: من أسلف فى تمر فيلسف فى كيل معلوم (أى: إذا كان مما يكال) ووزن معلوم (أى: إذا كان مما يوزن) إلى أجل معلوم. متفق عليه.

وقد ورد لفظ (سلف) بالمعنى الوارد فى القرآن الكريم فى أحاديث نبوية عديدة. كالحديث عن المسيح الدجال (انظر زاد الميعاد وخطبته صلى الله عليه وسلم فى صلاة الكسوف). وإخباره صلى الله عليه وسلم لفاطمة ابنته رضي الله عنها بقرب أجله وأنها أول من تلحقه وأنه خير سلف لها.



فمن حيث المصطلح أصبحت (السلفية) علماً على أصحاب منهج الاقتداء:-

- ١- بالسلف من الصحابة والتابعين من أهل القرون الأولى.
- ٢- وكل من تبعهم من الأئمة كالائمة الأربعة وسفيان الثوري وسفيان بن عيينة والليث بن سعد وعبد الله بن المبارك والبخارى ومسلم وسائر أصحاب السنن.
- ٣- وشمل شيوخ الإسلام المحافظين على طريقة الأوائل مع تباين العصور وتفجر مشكلات وتحديات جديدة أمثال ابن تيمية<sup>(١)</sup> وابن القيم ومحمد بن عبد الوهاب<sup>(٢)</sup> رحمهم الله.
- ٤- وكذلك أصحاب الاتجاهات السلفية المعاصرة بالجزيرة العربية والقارة الهندية ومصر وشمال أفريقيا وسوريا.<sup>(٣)</sup>

### مضمون السلفية

ومن حيث المضمون: فالسلفية هي منهج الإسلام في ذروته الشامخة وقمته الحضارية،<sup>(\*)</sup> وتوجيه إلى النموذج الذي طبقه ونفذه وحققه عملياً من القرون الأولى، ومن هذا المنهج وتطبيق هذه القرون الفاضلة له استمدت حضارة المسلمين مقوماتها وأصولها، ومدارها على التوحيد وفهم دور الإنسان في الحياة كما ورد في آيات الكتاب الكريم وسنة النبي ﷺ، وتنفيذ أحكام الشريعة الإلهية بجوانبها المتعددة في مختلف مجالات الحياة.

فالسلفية منحصرة إذأً في المدرسة التي حافظت على العقيدة والمنهج الإسلامي بعد ظهور الفرق المختلفة طبقاً لفهم الأوائل الذين تلقوه جيلاً بعد جيل.<sup>(٤)</sup>

(١) جدد ابن تيمية فهم الإسلام على طريقة السلف في وقت يظن من تصفح تاريخ عصره أن عقول المسلمين قد توقفت وجمدت على آراء المتكلمين والفلاسفة، وشطحت مع فرق الصوفية، وكأنهم نسوا أن معهم القرآن الكريم وسنة النبي ﷺ.

(٢) قام الإمام محمد بن عبد الوهاب بدعوته للإطاحة بمظاهر الشرك والوثنية التي ملئت الجزيرة العربية فأعادتها إلى دنس الجاهلية مرة أخرى.

(\*) بلغت الحضارة الإسلامية ذروتها وقمتها وتحققت في عصور قرون الخيرية الثلاثة الأولى وهم من نسميهم (السلف) في اصطلاحنا.

(٣) انظر السلفية بين العقيدة الإسلامية والفلسفة الغربية د. مصطفى حلمي ط. دار الدعوة- الإسكندرية ص٣-٤ نقلاً عن أنور الجندي في الإسلام والثقافة العربية في مواجهة تحديات الاستعمار وشبهات التغريب ص٤٩ مطبعة الرسالة.

(٤) وانظر في ذلك (قواعد المنهج السلفي) للدكتور مصطفى حلمي ص٢٣، ص٢٤ ط. دار الدعوة- الاسكندرية.

وقد عرفوا في فترات بأنهم (أهل الحديث) حيث كان أهل الحديث رواية ودراية هم السائرون على ما كان عليه صحابة النبي ﷺ والمحافظون على ما كانوا عليه علماء وعملاً. (١)

وعرفوا في أحد الأدوار باسم (أهل السنة والجماعة) استناداً إلى كونهم الملتزمين بجماعة المسلمين المحافظين على عقائد الأمة (٢) وتمييزاً لهم عن خرج عن عقائد الأمة وشذ عن الجماعة من أهل البدع والأهواء كالخوارج والمرجئة والمعتزلة والرافضة.

والسلفية قبل ذلك كله - وفي مدلولها الخاص - اقتداء بالنبي ﷺ والذي كان سيرته العطرة القمة التي يتطلع إليها سلفنا الصالح وحولوها إلى سيرة حية في كيانه.

فالسلفية إذاً ليست من تأسيس بشر، وإنما هي الإسلام نفسه بالفهم السليم علماً وعملاً، وهي تمسك بما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه لا تخرج عما كانوا عليه (\*). والانتساب للسلفية إذاً أمر ممدوح، ومن انتسب إلى مذهب السلف وجب قبول ذلك منه وإقراره عليه:

يقول ابن تيمية رحمه الله: لا عيب على من أظهر مذهب السلف وانتسب إليه، وأعتزى إليه، بل يجب قبول ذلك منه بالإتفاق فإن مذهب السلف لا يكون إلا حقاً، فإن كان موافقاً له باطناً وظاهراً فهو بمنزلة المؤمن الذي هو علي الحق باطناً وظاهراً وإن كان موافقاً له في الظاهر فقط في الظاهر فقط دون الباطن فهو بمنزلة المنافق فتقبل منه علانيته، وتوكل سريرته إلى الله، فإنما لم نؤمر أن ننقب عن قلوب الناس ولا نشق بطونهم ا.هـ. (٣) فمن أظهر التمسك بالسلف قبل ذلك منه فإن خالف السلف علماً أو عملاً وجه إلى الصواب من علم وعمل السلف الصالح.

(١) قواعد المنهجي السلفي: ص ٢٣-٢٤ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٣-٢٤ .

(\*) ظهرت ملامح متعددة للاتجاه السلفي في العصر الحديث، وإن بدت في جهود متفرقة لعلماء في أنحاء مختلفة من بلدان العالم الإسلامي. كما كان للسلفيين دوراً ظاهراً في المحافظة على نقاء التوحيد والعقيدة الإسلامية والعبادات، وكذلك الجهاد ضد الاستعمار الغربي الصليبي.

(٣) نقض المنطق لابن تيمية: ص ١٢٣. وهذه المسألة بديهية إذ أن الإقرار بفضل السلف يوجب مدح من زعم وأظهر اتباعهم والاقتداء بهم.

بل إن الرجوع إلي السلف فى أمور الدين مما يجب التمسك به، ويدل على حتمية السلفية بهذا الفهم أنه لا يصلح هذه الأمة إلا ما أصلح أولها.

يقول د. مصطفى حلمي: وإذا كان المسلمون يلتزمون اليوم طريقاً للنهوض فليس لهم من سبيل إلا وحدة جماعتهم، ووحدة الجماعة ليس لها سبيل إلا الإسلام الصحيح، والإسلام الصحيح مصدره القرآن والسنة وهذه خلاصة الاتجاه السلفي، عودة بالإسلام إلى معينه الصافي من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ. ا. هـ. (١)



## ظهور مصطلح السلفية من الناحية التاريخية

ظهر مصطلح السلفية عقب تغيرات عديدة طرأت على المسلمين بعد وفاة النبي ﷺ انتهت بظهور هذا المصطلح.

ويمكن إيجاز هذه التطورات على النحو التالي :-

لم يلحق النبي ﷺ بالرقيق الأعلى إلا وقد بلغ الرسالة كاملة وأدى الأمانة تامة، وأكمل الله به الدين، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: 3] وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: «ما من شئ يقربكم إلى الجنة ويباعدكم عن النار إلا أمرتكم به وما من شئ يباعدكم عن النار إلا وقد نهيتكم عنه».

فبلغ الإسلام كماله قبيل وفاة النبي ﷺ، ولم يعد أهل الإسلام يحتاجون إلى شئ إلا أن يحافظوا على هذا الدين كاملاً كما تلقوه وطبقوه في عهده ﷺ.

وقد حذر النبي ﷺ الأمة من الإحداث في الدين، وإدخال ما ليس منه فيه، وأمر بالتمسك بهديه وهدى خلفائه الراشدين والعض عليهما بالنواجذ، ونهى القرآن الكريم نهياً شديداً عن الاختلاف والتفرق في الدين.

فكان الدين عند ذلك تاماً نقيماً ظاهراً بيناً، طرياً كما أنزل، تنقاد إليه القلوب، وتستجيب له الجوارح، والأمة جميعها على قلب رجل واحد، لا يستطيع أحد أن يعمل فيها بالهوى، أو أن يدعو إلى ضلالة، وإلا فالأمة كلها تنبذه وتعاديه أما المنافقون فقد فضحهم الله وكشف عوراتهم فكانت الأمة منهم على حذر.

وأما مسيلمة الكذاب وأتباعه فكان ضلالهم ظاهر لكل ذي عينين، وبالجملة: فكان الدين واضحاً لا غبار عليه.

فماذا وقع في الأمة بعد ذلك؟



ومن مظاهر حرص الصحابة رضي الله عنهم على وحدة الصف وتقوية الجماعة وتجنب الفرقة والاختلاف:-

١- تضييق الخلاف حول الأحق بالخلافة في سقيفة بني ساعدة إذ ترك الأنصار طلب الخلافة واجتمع الجميع على إمامة أبي بكر الصديق. ومشاركة الجميع في قتال المرتدين وقاتل مانعي الزكاة حتى عاد الحق إلى نصابه.

٢- رفض عثمان رضي الله عنه دفاع الصحابة عنه لما حاصرهم الثوار في بيته خشية سفك دماء المسلمين ودرأ للفتنة وسعيًا لإخمادها. فقتل رضي الله عنه مظلومًا.

٣- تنازل الحسن بن علي رضي الله عنهما عن الخلافة راضيًا مختارًا لمعاوية بن أبي سفيان لما رأى اجتماع أهل الشام عليه ومنعتهم وتفرق أتباعه واختلافهم عليه، وذلك جمعًا للكلمة وحقنًا للدماء ودفعًا للتنازع والفرقة. حتى سمي عام التنازل (عام الجماعة). وقد قال صلى الله عليه وسلم عن الحسن رضي الله عنه: (إن ابني هذا سيدا وسيصلح الله به بين طائفتين من المسلمين) فكان كما أخبر صلى الله عليه وسلم.

### ثانياً: أهل الحديث

وهم الآخذون بعلم الصحابة رضي الله عنهم، والناقلون لما كانوا عليه من أمور الدين، وعرفوا أيضاً بأنهم أهل الأثر (وهذه النسبة إلى الأثر أي الحديث وطلبه واتباعه). وأمتد ظهورهم من عصر الصحابة إلى عصر بني أمية وفترة من حكم العباسيين وخلالها كان الاهتمام بالقرآن الكريم والأحاديث النبوية وأقوال الصحابة وتفسيراتهم واجتهاداتهم مع حفظها، حفظ صدر، وحفظ كتابة، والعمل بما جاء فيها، فهم أهل نقل ودراية، واتباع واقتداء، وحرص على الالتزام بالدين كما نقله إليهم صحابة النبي صلى الله عليه وسلم وأخذوه عنهم.

لقد سار أهل الحديث من التابعين وتابعيهم بالقافلة الإسلامية الكبرى مهتدون بكتاب الله وسنة النبي صلى الله عليه وسلم، مقتفون آثار السلف الصالح، لا يلتفتون إلى من تنحى عن القافلة وخرج عن مسارها من أهل البدع والأهواء، ولم يأبهوا أول الأمر بالعقائد والآراء المنافية للصواب، مطمئنين إلى أغليبتهم العددية إذ هم جمهور المسلمين. ولكن لما استفحل الخطر بعد ذلك دخلوا الميدان مدافعين عن الحق أمام الباطل (١).

أي سيدنا ١٤

وأول انشقاق عقائدي حقيقي ظهر في الأمة تم على أيدي الخوارج لا بسبب انفصالهم عن كل من عليّ ومعاوية وإنما لرفعهم لشعار (لا حكم إلا لله) وإنكار حق قریش وحدها في الخلافة وقولهم بالاختيار المطلق دون قيد ولو كان الخليفة عبداً . . . الخ أي أنهم أعلنوا أول حركة تستند على فكر نظري ونسق معين خاص تنحوبه عن الغالبية فيميزهم بذلك عن القاعدة التي انشقوا عنها. ولولا فهم علي بن أبي طالب لخطورة مغزى حركة الخوارج لما تحول لقتالهم تاركاً وراء ظهره معركته الأصلية ضد معاوية. ففِرَّق الخوارج إذاً تعدُّ (أقدم انشقاق ديني حدث في الجماعة الإسلامية) ووقفوا يناضلون عن آراء ونظريات اعتنقوها عن إيمان بها ودافعوا عنها بالسيف ووصلوا في التطرف إلى آخر مداه مما جعل المسلمين ينظرون إليهم بنفور ويعتبرونهم أصحاب بدع. (١)

وبعد الخوارج كان ظهور الشيعة المناصرين للبيت العلوي.

ولكن انشقاق الخوارج ثم الشيعة لم يؤثر في الغالبية العظمى والقاعدة العريضة للمسلمين وهم أهل السنة والجماعة الذين لم يتميزوا في هذه الفترة باسم خاص لأنه لا حاجة تدعوهم إلى هذا التمييز فهم الغالبية العديدة من جانب والتي تجتمع على العقيدة الإسلامية الخالصة النقية من جانب آخر حيث إنهم ملتزمون بالكتاب والسنة دون غيرهما ولم تكن التيارات المنشقة من الخطورة والكثرة بحيث تحتاج إلى اتجاه معارض يشغل نطاقاً واسعاً لمواجهةها فالأغلبية المسلمة المتمسكة بالكتاب والسنة ومنهج الصحابة كانت هي الأصل الذي انشق عنه المخالفون، والأصل لا يحتاج إلى سمة خاصة تميزه، ولكن الذي يوضع له الاسم المعين لتمييزه هو الخارج عن هذا الأصل. (٢) لذا لما سأل رجل الإمام مالكاً رحمه الله تعالى عن تعريف أهل السنة أجابه بقوله: «الذين ليس لهم لقب يعرفون به لا جهمي ولا رافضي ولا قدرى» (٣).

(١) نظام الخلافة: ص ٢٨٨.

(٢) راجع المرجع السابق: ص ٢٨٨-٢٨٩.

- بدأ التشيع بمناصرة علي بن أبي طالب وأولاده في مواجهة بني أمية، ثم تحول إلى الغلو في أئمة البيت العلوي والطعن في أبي بكر وعمر وعثمان وسائر الصحابة رضي الله عنهم.

- الإمام مالك رحمه الله: هو أبو عبد الله مالك بن أنس إمام دار الهجرة في وقته، جمع علم المهاجرين والأنصار في الموطأ أشهر كتبه. توفي في سنة ١٧٩هـ.

(٣) أبو زهرة (الإمام مالك): ص ١٨٠.

### ثالثاً: أهل السنة والجماعة

لم يأبه المسلمون الأوائل بما ظهر من نظريات فكرية منافية لما أخذَ عن الصحابة رضي الله عنهم مطمئنين إلى كثرتهم العددية، ولكن لما استفحل الخطر، وظهر تعلم الفلسفة ودراسة علم الكلام، وخاض أهل البدع في عقائد المسلمين بعقولهم وأهوائهم، وأزداد نفوذ المعتزلة، خاصة في خلافة المأمون<sup>(١)</sup> على رأس المائتين من الهجرة فما بعدها، دخل أهل السنة الميدان، بمنهجهم المتميز عن أهل البدع من المعتزلة وغيرهم، حيث كان منهجهم مبنياً على تقديم النقل الثابت على العقل، وذم الرأي المخالف للأدلة وتقديم أوهام العقل وخيالاته الذي هو منهج أهل الكلام.

ونحن وإن كنا لا نستطيع أن نقطع بتاريخ محدد<sup>(٢)</sup> أو واقعة معينة تسببت مباشرة في ظهور مصطلح واسم (أهل السنة والجماعة) إلا أن لقب السني كان يطلق في هذه الفترة في مقابلة لقب المعتزلي.

### رابعاً: محنة الإمام أحمد رحمه الله

ابتلى المسلمون في زمن الإمام أحمد رحمه الله ببدعة أن القرآن مخلوق وهي مقالة ضالة<sup>(٣)</sup> ترجع إلى جهم بن صفوان وكان ملحداً عنيداً وزنديقاً زائغاً، وقد تلقى هذه المقالة عن الجعد بن درهم، ولكنها لم تشتهر في أيام الجعد كما اشتهرت عن الجهم. فإن الجعد لما أظهر هذه المقالة طارده بنو أمية فهرب منهم وسكن الكوفة فلقبه فيها الجهم فتقلد هذه المقالة عنه، ولم يكن له أتباع غيره، فلما تمكن منه خالد بن عبد الله القسري (الأمير) قتله يوم عيد الأضحى بالكوفة. وذلك سنة ١٢٤ هـ.

(١) يتحمل الخليفة العباسي المأمون الكثير من مسئولية ترجمة كتب الفلسفة اليونانية إلى العربية، ومن ثم انتشارها بين المسلمين فجلبت ما جلبته من الاختلاف والفرقة، وساعدت أهل البدع على تأصيل مذاهبهم المبتدعة ووضع القواعد الكلامية لها، حيث خلطوا بدعهم بمصطلحات الفلسفة اليونانية.

(٢) في تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ لابن كثير ورد عن ابن عباس قوله: تبيض وجوه أهل السنة والجماعة وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة. وقال عمرو بن قيس الملائي -توفي سنة ١٤٣هـ-: (إذا رأيت الشاب أول ما ينشأ مع أهل السنة والجماعة فارجه) انظر الشرح والإبانة لابن بطه ص ١٣٣.

(٣) مذهب أهل السنة أن القرآن كلام الله غير مخلوق.

وقتل الجهم (\*) على يد سالم بن أحوز بأصبهان وقيل بمرو وكان سالم يومئذ نائبها. ثم تقلد هذه المقالة المخذولة عن الجهم بشر بن غياث بن أبي كريمة المريسي المتكلم شيخ المعتزلة، وأحد الذين أضلوا الخليفة المأمون (\*) العباسي وجدد القول بخلق القرآن، وتقلد هذه المقالة الباطلة عن بشر القاضي أحمد بن أبي دؤاد، وأعلن هذه المقالة الجهمية، وحمل الخليفة المأمون على امتحان الناس بالقول بخلق القرآن. وكان بسببه ما كان على أهل السنة من الحبس والضرب والقتل وغير ذلك. (١)

وقد أخذ الكثيرون بالرخصة نتيجة الإكراه على ذلك خشية العقوبة المنتظرة ولكن الإمام أحمد رحمه الله جهر عند امتحانه بمعتقد أهل السنة في ذلك. وتمسك بمنهج أهل السنة في الاستدلال بالكتاب والسنة وأقوال الصحابة مما كان له أثره في حفظ منهج أهل السنة في مواجهة خصومه من المعتزلة. فالتفت حوله الأمة من جديد لتحافظ على عقيدتها ومنهجها القويم. ولذلك سمي رحمه الله (إمام أهل السنة والجماعة).

وقد حبس أحمد وُجِدَ أيام المأمون ثم المعتصم ثم الواثق. فلما تولى المتوكل الخلافة كشف عن الناس الغمة وأعاد الحق إلى نصابه، وأخرج الإمام أحمد رحمه الله من الحبس.

إن دفاع الإمام أحمد المجيد في المشكلة يمكن أن يعد برهاناً ساطعاً لا على موقفه السلفي الواضح واتخاذ السنن والآثار قدوة ومنهجاً في العلم، وأسلوباً في العمل فحسب، وإنما فضلاً عن هذا أيضاً فقد دلل بهذا الموقف على الاتجاه العام لأهل السنة والجماعة في محافظتهم على التراث ودقتهم المنهجية في تلقيه وإظهاره: يقول الإمام: «لست أتكلم إلا ما كان من كتاب أو سنة أو عن الصحابة

(١) يراجع في ذلك:

ابن كثير في البداية والنهاية: جـ ١٠ / ٣٣١ .

معارج القبول جـ ١ / ٢٣٠ .

(\*) جهم بن صفوان: أبو محرز السمرقندي الضال المستدع رأس الجهمية لم يرو شيئاً، ولكنه زرع شراً عظيماً. قتل سنة ١٢٨ هـ لخروجه على أمراء خراسان.

(\*) الخليفة المأمون: من الخلفاء العباسيين من أبناء هارون الرشيد، وأعلمهم بعلم الكلام والفقه، احتضن علماء المعتزلة وفي عصره ترجمت الكتب اليونانية واختلط علم الكلام عند المعتزلة بمصطلحات الفلسفة اليونانية توفي سنة ٢١٨ هـ تولى الخلافة في عام ٩٧ هـ.

والتابعين، وأما غير ذلك فالكلام فيه غير محمود<sup>(١)</sup>. وتقدم إلى المعركة العقائدية وسلاحه عقيدة راسخة كان لها أبعد الأثر في فشل خصومه وإعلاء شأن السنة فاقترن اسم ابن حنبل<sup>(\*)</sup> بالبدع كخصم عنيد لها وأصبح علماً على التمسك بمنهج السلف فقيل عنه<sup>(٢)</sup> (بموت أحمد بن حنبل تظهر البدع)<sup>(٣)</sup>.

### خامساً: ظهور مصطلح السلفية

لم يظهر الاختلاف بين أهل الحديث الذين تمسكوا بالنقل وبين المعتزلة الذين أقروا الجدل واعتمدوا على العقل واستبعدوا النقل (فتركوا الحديث وتحاملوا على المحدثين وكذبوهم وأولوا المتشابه من آي القرآن الكريم تأويلاً لم يقرهم أهل السنة عليه<sup>(٤)</sup>).<sup>(٥)</sup> ظل أهل الحديث من بعد الإمام أحمد على المنهج الشرعي المميز لهم، إلى أن ظهر (أبو الحسن الأشعري) الذي استخدم المنهج الكلامي في الدفاع عن عقائد أهل السنة والجماعة في مواجهة المعتزلة.

وتابع الأشعري في ذلك شيوخ آخرون<sup>(٦)</sup>، بدعوى نصره عقائد أهل السنة بمنهج المعتزلة أى باستعمال علم الكلام واعتبروا علم الكلام من العلوم الشرعية إذا أريد به موافقة الكتاب والسنة. فإن لم يوافق الكتاب والسنة فليس بكلام شرعي ككلام أهل الاعتزال وأمثاله.

(١) راجع ترجمة الإمام أحمد للحافظ الذهبي: ص ٢٣.

(\*) الإمام أحمد بن حنبل: إمام أهل السنة والجماعة، شيخ الحديث والسنة الصابر على المحنة، أبو عبد الله الشيباني، عرف بالإمامة في الحديث والفقهاء، مع الورع والتقوى والصلاح والزهد والعبادة، توفي في بغداد سنة ٢٤١هـ الموافق ٨٥٥م. يقول ابن تيمية رحمه الله: لو أحمد بن حنبل وإن كان قد اشتهر بإمامة السنة والصبر في المحنة، فليس ذلك لأنه انفرد بقول أو ابتدع قولاً، بل لأن السنة التي كانت موجودة معروفة قبله، علمها ودعا إليها وصبر على من امتحنه ليفارقها نكلاً من السلفية وقضايا العصر ص ٢١

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم: ج ٦ / ص ١٦٨.

(٣) نظام الخلافة: ص ٢٤٥.

(٤) المعتزلة لزهدي جار الله: ص ٢٥٣.

(٥) نظام الخلافة: ص ٣٨٣.

(٦) منهم أبو بكر الباقلاني وعبد القاهر البغدادي وأبو المعالي الجويني وأبو حامد الغزالي ومحمد بن تومرت وفخر الدين الرازي والريجي وغيرهم من الأشاعرة.

يقول طاش كبرى زاده: وبالجملة يشترط في الكلام أن يكون القصد فيه تأييد الشرع بالعقل وأن تكون العقيدة مما وردت في الكتاب والسنة. ولو فات أحد هذين الشرطين لا يسمى كاملاً أصلاً. (١) فيزعم الأشاعرة أن علم الكلام محمود إن أريد به نصره عقائد السلف. وأنه بهذا المنهج يكون الرد على المخالفين.

أما إن استعمل علم الكلام في مخالفة الكتاب والسنة على طريقة المعتزلة والمتكلمين واتباع الفلاسفة فهو مذموم. ويرى الأشاعرة أن أهل السنة كالحلقات الدائرية يتصل بعضها ببعض وتتداخل كل دائرة منها في الأخرى. فالدائرة الأولى تضم الصحابة والتابعين أي السلف والدائرة الثانية تضم أهل السنة والجماعة الذين اتخذوا السلف قدوة وأصلاً لهم والدائرة الثالثة هي دائرة شيوخ الأشاعرة. (٢) ويرى الأشاعرة أن طريقة السلف في الاقتصار على الكتاب والسنة أسلم وأحوط ولكن طريقة الأشاعرة في الرد على المخالفين لأهل السنة بعلم الكلام أعلم وأحكم. (٣) وأن الأشاعرة بذلك امتداداً للسلف وأطلقوا على أنفسهم لقب (الخلف) (٤) وأنهم جمعوا بين العقل والنقل معاً.

ولكن نظريات الأشاعرة الكلامية لم تلق قبولاً لدى المتمسكين بمنهج الأوائل أتباع الإمام أحمد وأهل الحديث، والذين أطلق عليهم في فترة من الفترات اسم (الحنابلة) لتمسكهم بعقيدة أهل السنة والجماعة التي عليها الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله.

(١) مفتاح السعادة: أحمد بن مصطفى المعروف بطاش كبرى زاده (٩٦٢هـ-١٥٥٤م) ج٢ / ص ٢٠.

(٢) راجع في ذلك: نظام الخلافة ص ٣٨٣-٣٨٤.

(٣) وسيأتي مزيد بيان لذلك والرد عليه وبيان خطأ قائله.

(٤) يقول: د. عبد الرحمن بن زيد الزيندي: «أن اعتبار السلفية ظاهرة عباسية نشأت نتيجة عجز العامة (الجمهور) عن مواكبة الفكر العقلاني لدى الفلاسفة والمتكلمين الذي شاع في العصر العباسي، ووقوف مداركهم عند النصوص الشرعية الواضحة البسيطة حيث انبعثت من الجمهور قياداته التي تتخذ من العودة إلى النصوص وفهمها من خلال آثار الصحابة موقفاً مضاداً للتيارات العقلانية هذا التصور وهو أن السلفية إنما حدثت في ظل دولة بني العباس مضادة للتيارات الفكرية الجديدة غير صحيح لأن السلفية بصفتها منهجاً لفهم الإسلام والتزامه تمثلت في جيل الصحابة بصورتها الأنثى، ولهذا كانت الدعوة إلى السلفية دعوة إلى الرجوع لذلك المنهج. ولأن الدعوة إلى السلفية، أي إلى منهج صحابة رسول الله ﷺ نادى بها الرسول ﷺ ونادى بها علماء الصحابة أنفسهم وتابعوهم قبل العصر العباسي».

السلفية وقضايا العصر ص ٢٢ وانظر منهاج السنة النبوية لابن تيمية تحقيق محمد رشاد سالم ج٢ / ٤٨٢، ٤٨٦.

رأي الحنابلة أتباع السلف في ذلك الوقت أن منهج الأشاعرة الجديد يعتبر أيضاً انسياقاً منهم في التيار الكلامي البدعي وهم في الأصل أهل حديث لا يحدون عن منهج السلف، ولا يقبلون في ذلك منهجاً وسطاً.

ويظهر منهج (الخلف) صار لقب (السلفية) يطلق عندئذ في مقابلة لقب (الخلفية). (١)  
واتباع المذهب الأشعري وإن كانوا يعدون من أقرب المذاهب إلى المذهب السلفي لكنهم أيدوا أهل السنة في عدة مسائل إلا أنهم في نظر السلفيين ليسوا بسلفيين خلص، لأن المذهب السلفي بمعناه الدقيق يرفض علم الكلام ويلفظه سواء كان على طريقة المعتزلة أو على طريقة الأشاعرة. (٢)

### من مخالفات المذهب الأشعري لمذهب السلف

لما خالف الأشاعرة منهج السلف خالفوه في بعض الأمور الاعتقادية. مثال ذلك :-

١- فرق الأشاعرة بين صفات الذات وصفات الأفعال الإلهية، واقتصروا في إثبات الصفات على صفات سبعة، وانكروا صفات الأفعال كالاستواء والفرح والغضب والرحمة وتكلموا فيها، (٣) فوافقوا المعتزلة في نفي بعض الصفات وتأويلها وإنكار بعض صفات الذات كاليدنين والعينين والوجه والقدم.

٢- قال الأشاعرة (بنظرية الكسب) في تفسير أفعال الإنسان. وهي وسط بين اعتقاد المعتزلة ورأي الجبرية، فأثبتوا لله المشيئة، وأثبتوا للعبد قدرة لكنها غير مؤثرة، فحركات العبد الاختيارية حاصلة تحت القدرة، متوقفة على اختيار القادر، ويسمى هذا الفعل كسباً. فيكون خلقاً من الله تعالى، إبداعاً وإحداثاً، وكسباً من العبد، حصولاً تحت قدرته. (٤) وهذا الاعتقاد لا يختلف كثيراً عن اعتقاد الجبرية. (٥)

(٢، ١) يراجع:

مبحث نشأة مصطلح أهل السنة والجماعة في كتاب (نظام الخلافة في الفكر الإسلامي) ص ٢٨٤-٢٩٣ .

مبحث نشأة مصطلح السلفية في كتاب (قواعد المنهج السلفي) ص ٢٣-٣٩ .

كلاهما للدكتور مصطفى حلمي حفظه الله .

(٣) منهج علماء الحديث والسنة د. مصطفى حلمي ص ١٧٢-١٧٦ .

(٤) المرجع السابق: ص ١٧٦-١٧٩ .

(٥) المرجع السابق: ص ١٧٩ .

فالكسب عند الأشاعرة هو اقتران الإرادة البشرية بالفعل من غير أثر . والصواب أن لمشيئة العباد أثر في أفعالهم بها تقع تلك الأفعال كما قال تعالى: ﴿لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾ [البقرة: ٢٨٦].

٣- ينصر الأشاعرة مذهب غلاة الجهمية فى الإرجاء وهو القول بأن الإيمان هو المعرفة ولا يلزم النطق بالشهادة ولا العمل .

٤- قولهم أن كلام الله نفسى: فالقرآن معناه من الله وألفاظ القرآن مخلوقة وهى عبارة عن كلام الله .

### أبو الحسن الأشعري

ينسب إليه المذهب الأشعري . ولد عام ٢٦٠هـ بالبصرة ينتهى نسبه إلى أبى موسى الأشعري، فهو: أبو الحسن على بن إسماعيل بن اسحاق بن سالم بن اسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبى موسى الأشعري رضي الله عنه .

كان أبوه من أهل السنة والجماعة، كما كان محدثاً، وقد أوصى عند وفاته إلى زكريا بن يحيى الساجي، أحد أئمة الفقه والحديث، وعنه روى أبو الحسن الأشعري بعض الأحاديث .

درس الفقه على المذهب الشافعي، ودرس علم الكلام على مذهب المعتزلة على يد أبى على الجبائي، أحد أئمة المعتزلة المعروفين .

تبين له فساد مذهب المعتزلة، فقام بالرد عليهم، فكون مذهباً جديداً يجمع بين منهج المعتزلة فى الاستدلال، ومذهب أهل السنة فى الاعتقاد . فخالف أهل الحديث فى المنهج فترتب على ذلك مخالفات لأهل السنة فى بعض المعتقدات، ولكن يذكر له دوره فى الرد على المعتزلة وبيان فساد ما هم عليه .

وقد تبين له فى أواخر حياته صحة مذهب السلف منهجاً واعتقاداً، فالتزمه . يشهد لذلك آخر كتبه (الإبانة) .

من أشهر مؤلفاته:-

- ١- الإبانة عن أصول الديانة .
  - ٢- اللمع فى الرد على أهل الزيغ والبدع .
  - ٣- استحسان الخوض فى علم الكلام .
  - ٤- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين .
- توفى أبو الحسن الأشعري عام ٣٢٤هـ .

## حديث افتراق الأمة

### بترك ما كان عليه الصحابي رضي الله عنه

عن معاوية رضي الله عنه عن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلم قال: «ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين، ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة».

وفي رواية للترمذي عنه صلَّى الله عليه وآله وسلم قال: «افترقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة. وتفرقت النصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت أمتى على ثلاث وسبعين فرقة. قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي».

والحديث ظاهر الدلالة في بيان الفرقة الناجية، والتنبيه على التزام هدى الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلم وأصحابه في فهم الدين وتطبيقه. فجماعة الحق على ما كان عليه النبي صلَّى الله عليه وآله وسلم وأصحابه في الاعتقاد والمنهج والعلم والعمل.

والحديث أخرج رواياته العديد من أئمة الحديث: أبو داود والترمذي وأحمد والحاكم والدارمي والآجزي واللالكائي.

ومن ذكر صلاحيته للاحتجاج به الحاكم ووافقه الذهبي. وقال ابن تيمية: (وهو حديث صحيح مشهور).

وقد صححه الألباني في سلسلته الصحيحة برقم ٢٠٣، ٢٠٤.

وما جاء في الحديث من وقوع الاختلاف في الأمم السابقة مما أشار إليه القرآن الكريم في مواضع متعددة، وما جاء في الحديث من وقوع هذا الاختلاف في هذه الأمة إما هو من باب القياس على الأمم السابقة، أو أخذاً بذلك كسنة كونية قدرها الله في عباده، وإما هي بإخبار من الوحي المنزل. والقرآن الكريم أشار إلى ذلك بصور متعددة: تارة بالإخبار عن أن الأمة ستختلف وتفترق وتارة ببيان أن الاختلاف سنة كونية، وأن الفصل بين العباد يكون يوم القيامة، وتارة بالنهي عن التفرق والاختلاف في الدين والتوعد عليه.

وهذا كله بين واضح.

قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبِّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ {هود}.

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَيَلَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (٩٢) وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن يَضِلُّ مَن يَشَاءُ﴾ {النحل: ٩٢-٩٣}.

وقال تعالى: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾

{المؤمنون: ٥٣}.

وقال تعالى في أهل الكتاب: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا

فِيهِ﴾ {النحل: ٦٤}.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ

يَخْتَلِفُونَ﴾ {السجدة: ٢٥}.

وقال تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا

بَيْنَهُمْ﴾ {آل عمران: ١٩}.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ﴾ {فصلت: ٤٥}.

وقال تعالى: ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ {الزخرف: ٦٥}.

وقال تعالى في بني إسرائيل: ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا

بَيْنَهُمْ﴾ {الجاثية: ١٧}. وهذا في القرآن كثير.

لذا كان النهي للأمة عن التفرق والوعيد عليه. قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ

فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ {الأنعام: ١٥٣}، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا

شِيْعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ {الأنعام: ١٥٩}.

والأمة المقصودة في الحديث هي لدى عامة السلف أمة الإجابة، وعليه تكون

الفرق المستحقة للهلاك - في الحديث - محصورة بالطوائف المنتسبة للإسلام،

وتجمعها خاصية واحدة يحددها مفهوم المخالفة للفرقة الناجية، فإذا كانت الفرقة

الناجية إنما استحقت هذه النجاة بصفاتها المذكورة في الحديث، وهي التزام هدى

الرسول ﷺ، وهدى أصحابه، فإن سبب هلاك الفرق الأخرى انحرافها عن

هدى الرسول ﷺ، وهدى أصحابه.

وإذا كان هذا الهدى يمثل سهمًا واحدًا، وقدراً محدداً معيناً لمن جاء بعدهم، فإن

مجال الانحراف الذي تقع به تلك الفرق خلاف ذلك.

فهو أنماط متعددة قابلة للتوليد في أشكال جديدة، ثم إنه نسبي تتفاوت فيه الفرق فيما بينها من حيث قربها من المعيار الثابت المتمثل في سمت الفرقة الناجية أو بعدها الذي يزداد شيئاً فشيئاً حتى يصل إلى حد التنكر حتى للانتساب للإسلام ومن ثم الردة الصريحة وهنا تخرج الفرقة عن زميلاتها من الفرق التي لم تصل إلى هذا الحد والتي ما زالت في دائرة الحديث.

والانحراف في مجال العقيدة وموضوعات الإيمان يأتي في مقدمة أسباب الخروج عن دائرة الفرقة الناجية ولهذا كانت فرق القدرية والروافض والخوارج والمرجئة من أوائل الطوائف دخولاً في فرق الهلاك، وكلما كانت الشعب المتفرعة لهذه الطوائف أكثر انحرافاً عن عقيدة السلف، كانت أشد إيغالاً في هاوية الهلاك. (١)

أما قوله صلى الله عليه وسلم عن ما عدا الفرقة الناجية التي التزمت ما كان عليه وأصحابه أي عن الثنتين والسبعين فرقة كلها في النار. فإن المقصود به -لدي السلفين- أن هذه الفرق قد انعقدت عليها أسباب دخول النار بانحرافها عن هدى الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه. ومع هذا فينبغي أن نعي جيداً احتياطات السلفين في تطبيق هذا الحديث على أتباع تلك الفرق اتساقاً مع قواعدهم العقديّة: (٢)

فهم أولاً: يفسرون قول الرسول صلى الله عليه وسلم (كلها في النار) بأن ذلك لا يعنى الخلود فيها، فالخلود في النار إنما هو للمشركين الخارجين عن أمة الإجابة إلى أمة الدعوة، أما المسلمون المنحرفون بما لم يصل للشرك والكفر فإنهم لا يخلدون في النار وإن دخلوها.

(١) السلفية وقضايا العصر للدكتور عبد الرحمن بن زيد الزيندي ط. مركز إشبيلية للدراسات والإعلام الرياض. ط. الأولى ص ٦٥-٦٦ .

(٢) يقول ابن تيمية في كتابه (الإيمان): «وكذلك سائر الثنتين وسبعين فرقة من كان منهم منافقاً فهو كافر في الباطن، ومن لم يكن منافقاً بل كان مؤمناً بالله ورسوله في الباطن لم يكن كافراً في الباطن، وإن أخطأ في التأويل كائناً ما كان خطؤه، وقد يكون في بعضهم شعبة من شعب النفاق ولا يكون فيه النفاق الذي يكون صاحبه في الدرك الأسفل من النار. ومن قال إن الثنتين وسبعين فرقة كل واحد منهم يكفر كفوياً ينقل من الملة فقد خالف الكتاب والسنة وإجماع الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، بل وإجماع الأئمة الأربعة وغير الأربعة فليس فيهم من كفر كل واحد من الثنتين وسبعين فرقة وإنما يكفر بعضهم بعضاً ببعض المقالات أ.هـ. ص ١٩٠ . ط. المكتبة القيمة بالقاهرة.

كذلك فإن قوله (كلها في النار) يعنى استحقاقهم للنار لانحرافهم أما الدخول الفعلى من عدمه، ومدة البقاء، فهذه لها أحوال متفاوتة:

- فقد لا يدخل الشخص النار أساساً، إما لتوبة يختم بها حياته يرجع بها عن آرائه المنحرفة، أو بحسنات من العبادة والدعوة والجهاد ماحية، أو مصائب تكفر عنه . . . إلخ.

- وقد تنتشله رحمة الله، ويدخل فى قوله سبحانه: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

- وقد يدخل النار، ثم يخرج منها قبل استيفاء مدة عذابه بشفاعه الشافعين ورحمة أرحم الراحمين.

وقد يدخلها حتى يستوفى عذابه ثم يخرج منها إلى الجنة برحمة أرحم الراحمين.

هذه المراتب تتوزع فيها العصاة والمبتدعة من أهل القبلة من أمة محمد ﷺ.

أما الخلود فى النار فإنه للكفار والمشركين، وهؤلاء ليسوا من أمة محمد ﷺ (أمة الإجابة) أصلاً. (١)

وهم ثانياً: لا يحكمون على شخص معين وإن انحرف وابتدع ما دام من أهل القبلة بأنه من أهل النار وإن كان قوله أو فعله من أسباب دخول النار، يقول ابن تيمية:

ولا نشهد لمعين أنه من أهل النار لأننا لا نعلم حقوق الوعيد له بعينه، لأن حقوق الوعيد المعين مشروط بشروط وانتفاء موانع، ونحن لا نعلم ثبوت الشروط وانتفاء الموانع فى حقه، وفائدة الوعيد بيان أن هذا الذنب سبب مقتضى لهذا العذاب، والسبب قد يقف تأثيره على وجود شرطه. وانتفاء مانعه (٢). هذا موقف السلف فى شأن حديث التفرق. (٣)

(١) السلفية وقضايا العصر: ص ٦٧-٦٨ وانظر شرح العقيدة الطحاوية تحقيق أحمد شاکر ص ٢٣٢-٢٣٥ .

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية ج ١٢/٤٨٤ .

(٣) السلفية وقضايا العصر: ص ٦٨-٦٩ .

## الوصية النبوية بالتمسك بهديه وهدى أصحابه عند الاختلاف

عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: وعظنا رسول الله صلوات الله عليه موعظة بليغة وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا. قال: أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً. فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة.

رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

كما رواه الإمام أحمد وابن ماجه. وقال فيه الحافظ أبو نعيم: (هو حديث جيد من صحيح حديث الشاميين).

قال ابن رجب الحنبلي: وقوله صلوات الله عليه [فإنه من يعش منكم] بعدى [فسيرى اختلافاً كثيراً] فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ؛ هذا إخبار منه صلوات الله عليه بما وقع في أمته بعده من كثرة الاختلاف في أصول الدين وفروعه وفي الأعمال والأقوال والاعتقادات، وهذا موافق لما روى عنه من افتراق أمته على بضع وسبعين فرقة وأنها كلها في النار إلا فرقة واحدة وهي ما كان عليه هو وخلفاؤه الراشدون من الاعتقادات والأعمال والأقوال وهذه هي السنة الكاملة، ولهذا كان السلف قديماً لا يطلقون اسم السنة إلا على ما يشمل ذلك كله (١) ا.هـ.

ويقول ابن رجب الحنبلي أيضاً: وفي أمره صلوات الله عليه باتباع سنته وسنة الخلفاء الراشدين بعد أمره بالسمع والطاعة لولاية الأمور عموماً دليل على أن سنة الخلفاء الراشدين متبعة كاتباع السنة بخلاف غيرهم من ولاية الأمور (٢) ا.هـ.

قلت: ويشهد لاتباع سنة الخلفاء الراشدين من الصحابة كاتباع سنته صلوات الله عليه أنه صلوات الله عليه جمع بين سنته وسنتهم في ضمير واحد فقال صلوات الله عليه: «عضوا عليها بالنواجذ» ولم يقل: «عضوا عليهما بالنواجذ» فاعتبرهما شيئاً واحداً في الأمر

(١) جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي ط. الحلبي ط. الخامسة ص ٢٥٨.

(٢) المصدر السابق ص ٢٥٩، ٢٥٨.

بالتمسك بهما - وهذا دليل على أن سنة الخلفاء الراشدين إنما هي الفهم الصحيح والتطبيق السليم لسنة الرسول ﷺ فلا بد من التقيد في الفهم والعمل - بطريقة السلف رضي الله عنهم وأئمتهم هم الخلفاء الراشدون.

## دور ابن تيمية في إنعاش المذهب السلفي

ولد ابن تيمية رحمه الله سنة ٦٦١هـ. وتوفي بدمشق سنة ٧٢٨هـ.

نشأ ابن تيمية رحمه الله نشأة علمية دينية،<sup>(١)</sup> وتعمق في دراسة منهج الأوائل وعلومهم، واستوعب الكتاب والسنة فهماً وتدقيقاً، وخاض في علوم الفلاسفة والمتكلمين فحماً وتقييماً، فحاز من العلوم الكثير وسلك مسلك الاعتدال، ووجد الهدى في مذهب السلف، والابتداع والضلال في مناهج الفلاسفة والمتكلمين، كما واجه المقلدين والجامدين من فقهاء المذاهب، مبيناً بعدهم عن الكتاب والسنة ومنهج الأئمة، رغم ادعاء الاتباع والتمسك بما كانوا عليه.

لقد ظهر ابن تيمية في عصر متأخر كانت الانشقاقات قد حدثت، وجهلت الغالبية الاتجاه السلفي، وسطت تراكمات الفكر الفلسفي والتأويل الكلامي والشطح الصوفي حتى ظن غالبية المسلمين أنها هي الإسلام.

وأغلب الظن أن ابن تيمية فتح عينيه على الواقع المرير للعالم الإسلامي في ذلك الوقت<sup>(٢)</sup>، وأدرك بثاقب نظره أن العلة تكمن في جهل المسلمين بتراثهم، والتجائهم إلى ما هو بعيد عن الروح الإسلامية ككتاب (السياسة المدنية) للفارابي، ورسائل إخوان الصفا، (وقانون إياسا) المغولي، فأدرك أنه قد (فسد الراعي وفسدت الرعية). فشمر عن ساعديه ليعيد إلى الأذهان عظمة الإسلام بعد أن غابت علومه في غياهب الكتب وكاد يطمسها الزمن وتضيع في متاهات النسيان، ولم يعد قائماً في ذاكرة المسلمين إلا الأفكار الدخيلة التي لا تمت بصلة إلى

(١) كان جده محدثاً مشهوراً وكذلك كان أبوه.

(٢) شهدت حياة ابن تيمية غزو التتار لبلاد المسلمين. بدأ غزو التتار عام ٦١٦هـ. وسقطت بغداد في أيديهم عام ٦٥٦هـ. واشترك ابن تيمية بنفسه في جهاد التتار بعد أن وصلت جيوشهم إلى حماة وقد عاصر ابن تيمية دولة المماليك.

تراثهم. وكم من أباطيل وأراجيف ومفتريات دست فى وقائع التاريخ حتى كادت  
تصير من الأمور المسلمة التى لا تناقش؟ ومن السهل أن تصبح الأكاذيب حقائق  
عن طريق طمس المعالم الأصيلة للوقائع وإحلال أخرى محلها تتفق مع الأهواء  
والمشارب والنزعات!! (١)

وجد ابن تيمية نفسه وسط هذا الطوفان الذى يحاول أن يُغرق فى طريقه كل شئ  
فوقف صامداً، وكان سلاحه حاسماً وبتاراً، لقد أحاط بالعلوم الإسلامية كلها، بل  
واتجه إلى غير الإسلامية أيضاً، فتمكن بواسطة هذه الأسلحة أن يحارب فى عدة  
ميادين فى وقت واحد، وإن كثرة خصومه لتعطينا الدليل على تمكن هذا الشيخ وغزارة  
علومه. ومن العجب أنه لم يكتف بالحجاج العقلى الفلسفى، بل أخذ يفند أحداث  
التاريخ ليجلوها ويمسح عنها ما علق بها من معالم كادت تطمس الحقائق نفسها. (٢)

وقد أصفى ابن تيمية على مؤلفاته طابع خاص يتميز بحرارة الجدل وعنف  
الخصومة فقد كان العصر عصر تراجع للمذهب السنى -أو السلفى بتعبير أدق-  
أمام طغيان علم الكلام والتصوف وفرق الشيعة والفلاسفة، بل إن الفقهاء المتزمطين  
أيضاً لم يسلموا من قلمه. لقد خشى إمامنا على العقيدة الإسلامية من الانحرافات  
والبدع، وتعددت الميادين التى خاضها فى سبيل إحياء المذهب السلفى، فقد أدرك  
المنهج السليم فى العقائد والعبادات معاً، فأغضب الكثيرين منه، وألب عليه  
خصومات عديدة، وخاض معارك ضارية ضد خصوم أقوياء، تمكنوا من سجنه (٣)  
مما يدل على العنف الذى اتسمت به تلك المعارك، كما يدل على عجز خصومه  
فلا عجب بعد هذا أن تلاحظ طابع الشدة فى كتابته التى يدافع بها عن الاتجاه  
السلفى فى مواجهة المنحرفين عنه. (٤)

لقد خشى شيخ الإسلام أن يتجاهل المسلمون تراثهم، ويتعدوا عن الكتاب  
والسنة، ويندفعوا فى اتجاهات شتى يصبحون معها أعواناً لأعداء الإسلام، فلم  
يجد بُدّاً من التمسك بمنهج السلف -وهو لا يعدو الوقوف عند النصوص-، وجد

(١) نظام الخلافة د. مصطفى حلمي: ص ٤٨٠-٤٨١ بتصرف.

(٢) د. مصطفى حلمي: المرجع السابق، ص ٤٨٠-٤٨١ بتصرف.

(٣) سجن رحمه الله بقلعة القاهرة ثم الاسكندرية، وسجن بقلعة دمشق مرتين وتوفى بها عام ٧٢٨هـ.

(٤) راجع نظام الخلافة: ص ٤٧٨-٤٧٩.

في المنهج الطريق القويم لاصلاح ما أفسده الغلاة من كل الطوائف. لهذا تلاحظ سيطرة النصوص على فكر ابن تيمية سيطرة دائمة. إنه يدور في دائرتها ويصطبغ به مذهبه وفقهه وآراؤه كلها. (١)

### منهج ابن تيمية

تعد جهود ابن تيمية مع تعددها وتنوعها تعبير عن منهجه (٢)، فلم يترك ناحية من نواحي الدين إلا طرقها وعالجها في كتاباته، وأظهر رأى أهل السنة والجماعة فيها مستخدماً منهجه الذى لا يحد عنه. مستوعباً حجج المعارضين التى ظهرت حتى عصره ثم باسطاً وجهة نظر أهل السنة وردودهم عليها.

لقد عماد ابن تيمية إلى النصوص من الكتاب والسنة ولكنه أظهرها لنا بعد استيعابه لنظريات الفقهاء والمتكلمين فى ثوب جديد مجلوة بحصيلة الأفكار الفقهية والكلامية، وتفوق على الفقهاء والمتكلمين فى متانة الحجة وقوة البرهان. (٣)

لقد وجد ابن تيمية فى الأدلة السمعية ضالته لأن النقل يُضيقُ من شقة الخلاف وهو أسلم المناهج، وكل من حاد عنه اكتشف خطأه فى النهاية، وهو ميراث النبوة، لذا جعل ابن تيمية من نصوص الكتاب والسنة حجر الزاوية فى منهجه كما صاغ آراءه السياسية فى هذه الحدود. (٤)

لقد كان شيخ الإسلام يقيم الأفكار والنظريات بميزان النقل لأنه كان محيطاً تماماً بالكتاب والسنة حتى قيل (كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث) كذلك كان استحضاره لآيات القرآن عندما يريد إقامة الدليل مثار الدهشة والعجب فلم يضعف قولاً أو ينصر رأياً على آخر إلا لموافقته لما دل عليه القرآن والحديث. أى أن التزام ابن تيمية بالنصوص هو الذى حدد له الطريق وخط له المنهج. (٥)

(١) السلفية وقضايا العصر ص ٤٨ .

(٢) أهم معالم منهج ابن تيمية رحمه الله المستخلصة من كتبه :-

أ- إثبات الاتفاق بين الدليل العقلى والدليل الثقلي .

ب- رفض التأويل والمصطلحات الكلامية والفلسفية ومحاولة تقييمها وإخضاعها للمعاني التى جاء بها الكتاب والسنة، والتعبير عن العقائد الإسلامية بالألفاظ الشرعية .

ج- نقض المنطق وهدمه واستبعاده .

(٣) راجع نظام الخلافة: ص ٥٢٩ وقواعد المنهج السلفي: ص ٢٢ .

(٤) راجع نظام الخلافة: ص ٤٨١-٤٨٢ .

(٥) المرجع السابق: ص ٤٨٧ .

لقد تسلح بالقرآن والحديث. فالحق هو الذى جاء به الرسول ﷺ وهو الذى اتفق عليه صريح المعقول وصحيح المنقول.

وهذا المنهج هو فيصل التفرقة بين الحقيقة والبدعة. إنه يطعن فيمن يحكمون بالظن وهوى النفوس ثم يحاولون إيجاد السند من أصل دينى إما بالرأى والقياس، فيعدونه من العقليات، أو الهوى والذوق ويسمونهم ذوقيات، أو بالتأويل كما يفعل الخوارج مدعين اتباعهم للقرآن، أو كما يفعل الشيعة عندما يتلمسون الأدلة من الأحاديث الموضوعية.

إن الموقف الذى اتخذه ابن تيمية يضارع فى دقته وسلامته المنهج العلمى الحديث. إنه لم يتخذ أحكاماً سابقة فى الذهن ليبررها بالنصوص، ولكنه بدأ من النصوص ناقداً لها، فاحصاً إياها بفكر العالم الخبير، مبقياً السليم مستبعداً الخاطئ والمنحول. (١)

لم يدع ابن تيمية العقل جانباً، وإنما وضعه فى خدمة الشرع، ولم يقدمه على النصوص كما يفعل المعتزلة. فالعقل قائم فى خدمة النص. فالنصوص لها المكانة الأولى فى منهج ابن تيمية، وفيها الغنى عن كل ما عداها، لسبب جوهرى وهو أن الرسول ﷺ قد بين أصول الدين كلها، ونهى عن اتباع البدع والعقل لا يتعدى فى مهمته دور النظر والاستدلال من واقع النصوص لأنه فى هذه الحالة يصبح طريقاً إلى الإيمان عن اقتناع ووعى وهو يتبع فى منهجه هذا شيخه الإمام أحمد بن حنبل. (٢)

أما المنهج الذى وضع المعتزلة فيه العقل بمكانة الصدارة ونصبوه وسيلة للاستدلال يأتى فى المرتبة الأولى فهو عند ابن تيمية منهج خاطئ، يدل على العجز عن إيجاد الدليل النقلى، لأنهم لا ينظرون فى الإسناد، ومدى صحة النقل وثبوته، ولا معرفة لهم بصناعة الحديث والإسناد، وإذا عثروا على دليل من واقع الأحاديث يوافق رأيهم نقلوه، من غير دراية بالحديث من حيث الإسناد أو المتن. (٣)

(١) راجع نظام الخلافة: ص ٤٨٧.

(٢) راجع نظام الخلافة: ص ٤٨٠-٤٨٢ بتصرف.

(٣) راجع نظام الخلافة: ص ٤٨٣ بتصرف.

فتقديم النظر العقلي على الدليل الشرعي خطأ، وكل ما خالف صحيح المنقول فقد خالف أيضاً صريح المعقول.

إن في الكتاب والسنة عامة أصول الدين ومسائله في قضايا التوحيد والصفات والقدر والنبوة والمعاد. وآيات الله السمعية وآياته العقلية كلها متوافقة.

والاختلاف بين المتكلمين هو موضع الطعن عند ابن تيمية لأنه يرى أنه اختلاف مذموم لا يبين أين توجد الحقيقة وما هو سندها ويتعدون عما جاء به الكتاب والسنة لأنهم لا يعرفونه بينما الحق واحد لا يخرج عما جاءت به الرسل وهو الموافق لصريح العقل وفطرة الله التي فطر عباده عليها. ويدل علي عقم علم الكلام وقصوره عند ابن تيمية ما ظهر من ندم متكلمي الأشاعرة في أواخر حياتهم. (١)

لقد بذل ابن تيمية المحاولات تلو الأخرى في كتبه ومناقشاته لإثبات أن السلف كانوا أهل نظر ودراية إلى جانب كونهم أهل نقل ودراية، وأنهم أثروا عدم تضييع جهودهم وأوقاتهم في محاولات عقيمة، إذ رأوا في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ الكفاية، وأقاموا البناء كاملاً في العقيدة والشريعة والعبادات والنظم والأخلاق جميعاً. فإذا أرادت الأمة أن تأخذ بزمام أمورها من جديد بين الأمم فعليها باتباع طريقتهم. وهذا معنى قول عبد الله بن مسعود لمن كان منكم مستناً فليستن بمن قد مات، (٢) فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة أولئك أصحاب رسول الله ﷺ: (كانوا أبر هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم حقهم، وتمسكوا byدينهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم). (٣)

(١) راجع نظام الخلافة: ص ٤٨٥ بتصرف.

(٢) يريد أصحاب النبي ﷺ الذين سبقوا.

(٣) انظر منهج علماء الحديث والسنة: ص ١٧١.

## صور من جهاد ابن تيمية

### ضد التتار

لم يقف جهاد ابن تيمية عند الجهاد بالقلم واللسان وإنما تعداه إلى القتال في سبيل الله بالسيف والسنان، وله سجل مشرف في قتال التتار الغازين لديار المسلمين. فقد تصدى للتتار بكل ما يملك من قوة علمية ونفسية بل بدينه، فقد وقف في دمشق مع نائب السلطان الأفرم يحرض المسلمين على الثبات ضد التتار في حين فر من المدينة أكثر العلماء وكبار رجال الدولة، كما أغلظ لسلطان التتار غازان لسوء معاملته للمسلمين مع ما في ذلك من خطر على حياته، ولما رأى اشتداد خطر التتار سافر من سوريا إلى مصر، وحرّض السلطان الناصر ورجاله على حرب التتار بعبارات شديدة، ثم اشترك بنفسه في معركة (مرج الصفر)، وانطلق بين الجنود يحرضهم ويؤكد لهم استحقاتهم لنصر الله ما داموا قد أخلصوا في طاعة الله. ثم انطلق يقاتل معهم قتالاً شديداً ضد التتار. (١)

## دور الشيخ محمد بن عبد الوهاب

### في تجديد الدعوة السلفية

ولد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في بلدة العيينة سنة ١١١٥هـ. ونشأ نشأة علمية دينية، ورحل في طلب العلم، وتأثر كثيراً بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية (٢) رحمه الله وتلميذه ابن القيم (٣) رحمه الله.

ولقد وجد الشيخ محمد بن عبد الوهاب الأوضاع المتردية في نجد وما حولها، وانتشار البدع والخرافات بين الناس، حتى شاع فيهم صرف العبادات لغير الله تعالى والوقوع في الشركيات، والتعلق بالأشجار والأحجار والأولياء وقبور الصالحين والتوسل والتبرك بها لتفريج الكربات وقضاء الحاجات.

(١) راجع في ذلك: مقارنة بين الغزالي وابن تيمية: د. محمد رشاد سالم ص ٢٥-٢٦. البداية والنهاية ج ١٤، فوات الوفيات لابن شاکر ٧٢/١-٧٣. والعقود الدرية ص ١١٨ وما بعدها.

(٢) لذا فكثيراً ما يستشهد بأقواله وفتاويه في رسائله.

(٣) ويدل على ذلك اختصاره لكتابه القيم (زاد المعاد).

وقد كشف الشيخ عن ساعد الجدد، وقام لتصحيح عقائد الناس، ومحاربة الشريكيات والبدع، وتحمل في ذلك الكثير والكثير، واتخذت دعوته الإصلاحية الطابع الديني السياسي، إذ ألف الكتب والرسائل في الدعوة إلى التوحيد وعقائد السلف الصالح، وأيد دعوته أمير الدرعية (محمد بن سعود) حتى انتشرت دعوته وتمكنت بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ثم قتال المعاندين بعد وصول الحججة إليهم. (١) ومن أشهر المسائل التي دعا إليها الشيخ مخالفته: - (٢)

١- الدعوة إلى توحيد الألوهية وإفراد الله بالعبادة وهذه أهم قضايا دعوة الشيخ.

٢- منع التوسل المبتدع مع الإقرار بالتوسل المشروع.

٣- منع البناء على القبور والعكوف عليها وإقامة الأضرحة والقباب حتى لا تكون ذريعة إلى الشرك.

٤- توحيد الله في أسمائه وصفاته.

٥- محاربة البدع المستحدثة.

٦- الدعوة إلى الاجتهاد ومحاربة التقليد المذموم.

وقد توفي رحمه الله سنة ١٢٠٦ هـ بعد أن رأى ثمار دعوته المباركة في الأرض.

وما زالت آثار هذه الدعوة منتشرة في بقاع الأرض خاصة في الجزيرة العربية (المملكة العربية السعودية).

وقد تأثر بهذه الدعوة الكثير من العلماء والمصلحين، فكانت هذه الدعوة هي الشعلة ليقظة إسلامية معاصرة. ووصلت آثارها إلى أنحاء كثيرة في مشارق الأرض ومغاربها في مصر والشام والعراق والهند وباكستان وأفريقيا وغيرها.

(١) وقد سلك الشيخ في نشر دعوته أساليب كثيرة منها الوعظ والتدريس والخطابة والرسائل وتآليف الكتب ومناظرة المخالفين ثم لجأ إلى القتال لحماية أنصار الدعوة وإيجاد المناخ المناسب لنشرها. ﴿ ١ ﴾  
(٢) يراجع في ذلك أشهر كتبه وهو (كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد) والذي جمع فيه آيات وأحاديث في بيان مسائل التوحيد وقضاياها.

ومن تأثر بها وأشاد بصاحبها:

✓ الشيخ جمال الدين القاسمي بالشام،

✓ والشيخ محمد بن إسماعيل الصنعاني (١٠٩٩هـ-١١٨٢هـ)

✓ والشيخ محمد بن علي الشوكاني (١١٧٢هـ-١٢٥٠هـ)

هذا قسم من كتب الشيخ أبي عبد الله محمد بن علي الشوكاني في تصحيح التفسير الشريف  
وهما من علماء اليمن المشهورين.

✓ الأستاذ محمد رشيد رضا (١٢٨٢-١٣٥٤هـ)(١٨٦٥م-١٩٣٥م)

✓ والأستاذ محمد حامد الفقى من مصر. وغيرهم كثير. (١)

ومما ساعد على استمرارية دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وعظم

انتشارها:-

١- القوة السياسية للدعوة: المتمثلة في نصره (آل مسعود) لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

٢- دور علماء الدعوة في نشر الدعوة بالمؤلفات والرسائل وبث الدعاة لها في كثير من المناطق الإسلامية.

٣- موسم الحج: حيث يتعرف خلاله الحجاج على حقيقة الدعوة السلفية للشيخ محمد بن عبد الوهاب ومن ثم اعتناقها وتبني الدعوة إليها. (٢)

(٢-١) يراجع في ذلك:-

الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه للدكتور محمد أمان بن علي الجامي ط.  
دار الإيمان. الإسكندرية. ص ١٢١-١٣٨.

دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب تاريخها مبادئها أثرها تأليف محمد بن عبد الله بن سليمان السلطان ط.  
المطبعة السابقة.

# من قواعد المنهج السلفي في الاستدلال

(١) الاستدلال بالكتاب والسنة.

(٢) تقديم النقل على العقل.

(٣) رفض التأويل الكلامي.

(٤) التمسك بفهم الصحابة.



## من قواعد المنهج السلفي في الاستدلال

ظهر اصطلاح (السلف) و(السلفية) واشتهر بعد أن ظهر النزاع ودار حول مسائل أصول الدين بين الفرق الكلامية، وادعاء كل فرقة أنها على الحق المبين، أو أنها لا تخرج عما كان عليه الأوائل، فكان لابد من أن توضع أسس وقواعد واضحة المعالم للمنهج الذي كان عليه السلف، حتى لا يلتبس الأمر على كل من يريد الاقتداء بهم والسير على منوالهم، وهذا المنهج عرف بالاستقراء والتتبع لطريقة السلف في الاستدلال والتعرض لمسائل الأصول. وقد وجد أن المنهج السلفي يقوم على قواعد أساسية<sup>(١)</sup> وهي:-

١- الاستدلال بالكتاب والسنة.

٢- تقديم النقل على العقل.

٣- رفض التأويل الكلامي.

٤- التمسك بفهم الصحابة.

## الاستدلال بالكتاب والسنة،

تمسك السلف عند الاحتجاج في مسائل الدين بالاعتصار في الاستدلال على الكتاب والسنة، إذ فيهما كفاية لكل متطلع لمعرفة أمور دينه، كما أن الشرع أوجب علينا الأخذ بالكتاب والسنة، ونهانا عن اتباع غير الكتاب والسنة.<sup>(٢)</sup> وقد ساعدت العناية الكبيرة التي أولاهها السلف للقرآن الكريم تلاوة وحفظاً وفهماً وتفسيراً أن ينالوا منه الحقائق البينة ويستنبطوا منه القواعد المحكمة، وأن يردوا على التساؤلات العديدة المطروحة بين الناس عن حقائق عالم الغيب وأدركوا بذلك أن القرآن الكريم كاف في الرد على أعداء الدين دون الحاجة إلى مناهج المتكلمين وطرقهم.

كما اعتنى السلف الصالح بالسنة النبوية دراية ورواية، فكانوا أهل الحديث ورواته، والعلماء بصحيحه وسقيمه، ودقائق مسائله.

(١) راجع في ذلك:

قواعد المنهج السلفي للدكتور مصطفى حلمي.

(٢) والآيات في ذلك كثيرة، ذكرنا طرفاً منها.

ولم يفرق السلف في الإستدلال بين الكتاب والسنة.

فالسنة تبين الكتاب وتفسره، بل السنة خير تفسير يفسر به القرآن بعد القرآن، وقد يتوقف فهم مجمل القرآن على تفصيل السنة، وقد تأتي السنة بأحكام غير مذكورة في القرآن. فيوجب ذلك الأخذ بالكتاب والسنة جميعاً دون تفریق بينهما، فكلاهما وحى من عند الله من حيث المعنى. وفي الحديث: «ألا أنى أوتيت القرآن ومثله معه».

والسنة أصل في الاستنباط قائم بذاته ثبت وجوب الأخذ بها في النصوص الكثيرة جداً الواردة في القرآن التي تدل بصورة قاطعة على لزوم اتباع السنة والالتزام بها واعتبارها مصدراً للتشريع واستفادة الأحكام منها. وقد جاءت هذه النصوص دالة على ما ذكرنا بأساليب متنوعة وصيغ مختلفة: فهي تأمر بطاعة الرسول وتجعل طاعته طاعة لله، وتأمر برد المنازع فيه إلى الله وإلى الرسول أى إلى كتابه وسنة نبيه وتأمر بأخذ ما يأتيها به الرسول والابتعاد عما ينهانا عنه، وتصرح أن لا إيمان لمن لا يحكم رسول الله فيما يختلف فيه مع غيره. وتقول: ألا اختيار لمسلم فيما قضى به رسول الله وتحذر المخالفين لأمره من سوء العاقبة والعذاب الأليم. (١-٢)

قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧] وقال: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦]. وقال: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٦]. وقال: ﴿وَإِنْ تَطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ [النور: ٥٤].

واتباع السنة واجب في الأصول والفروع، في العقيدة والعمل، في الظاهر والباطن لعموم الأدلة وإجماع الأمة. قال الشافعي: (أجمع العلماء على أن من استبانته له السنة لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس). (٣)

(١) الوجيز في أصول الفقه د. عبد الكريم زيدان ص ١٦٢-١٦٣.  
 (٢) ولا يخفى أن الإجماع كحجة ليس بدليل ولكنه دليل على وجود دليل من الكتاب أو السنة أو القياس الجلي، علمه من علمه وجهله من جهله، والقياس كحجة إلحاق فرع لم يرد في الكتاب والسنة بأصل من الكتاب والسنة في الحكم لاشتراكهما في العلة، فمرد الإجماع والقياس إلى الكتاب والسنة كذلك. أما القواعد الفقهية التي سار عليها العلماء على اختلاف بينهم فيها فهي قواعد أخذت من أدلتها من الكتاب والسنة وعممت على الأحكام التي تندرج تحت عمومها فمردّها جميعاً إلى الكتاب والسنة أيضاً.  
 فبالجملة اعتمد السلف على الكتاب والسنة في أخذ أحكام الدين جميعها في الأصول والفروع في الاعتقاد والفقه ولم يخرجوا عنهما بحال من الأحوال.

(٣) مئة الرحمن في نصيحة الاخوان للشيخ ياسر برهامى ط. مكتبة الايمان. الإسكندرية: ص ٥٤ بتصرف يسير.

والسنة وحى من عند الله. قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ٣٣]. ولذا لا يجوز الاستغناء عنها بزعم الاكتفاء بالقرآن. بل من علم القرآن وجد فيه السنة ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]. وهى تبين القرآن ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]. ويستحيل تعارض القرآن مع السنة الصحيحة، كما لا تتعارض السنة مع السنة، بغير إمكان الجمع بتخصيص أو تقييد أو نسخ أو غير ذلك. والكتاب والسنة بمنزلة واحدة من جهة التشريع وإن كان القرآن يقدم تشريعاً وتعظيماً فضلاً فهو كلام الله. (١)

ويجب تقديم الحديث على رأى والقياس والعرف والمصلحة المرسله وأقوال العلماء وأئمة المذاهب وعمل بعض الأئمة. وأهل السنة لا يختلفون فى ذلك كأصل وإنما يقع خلافهم فى تطبيقه كنبوت الحديث صحة وضعفاً، وعمومه أو خصوصه، وإطلاقه أو تقييده، لكن لا يقدم عند أحد منهم قول أحد على قول النبي ﷺ وكلهم قال: [إن صح الحديث فهو مذهبي]. أو نحوها. (٢)

ومصادر أدلة الأحكام الكتاب والسنة والإجماع والقياس، وهذه متفق عليها عند أهل السنة وما سوى ذلك فمحل اجتهاد بينهم مثل قول الصحابي والمصالح المرسله والاستصحاب وغيرها. (٣)

وبالجمله قد اجتمع المسلمون من عهد النبي ﷺ وحتى يومنا هذا على وجوب الأخذ بالأحكام التى جاءت بها السنة النبوية وضرورة الرجوع إليها لمعرفة الأحكام الشرعية، والعمل بمقتضاها، فما كان الصحابة ولا من جاء بعدهم يفرقون بين حكم ورد فى القرآن وبين حكم وردت به السنة، فالجميع عندهم واجب الاتباع، لأن المصدر واحد، وهى وحى الله، والوقائع الدالة على إجماعهم كثيرة لا تحصى. (٤)

(١) المرجع السابق: ص ٥٥، ص ٥٦.

ويدل على كون السنة وحياً قوله تعالى: ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى﴾.

(٢) المرجع السابق: ص ٥٥.

(٣) المرجع السابق: ص ٥٦.

(٤) الوجيز فى أصول الفقه: د. عبد الكريم زيدان: ص ١٦٣.

وقد جاءت الأدلة الكثيرة فيها الأمر بالتزام الكتاب والسنة والعمل بما فيهما، متضمنة الإعراض عما سواهما، وترك ما يخالفهما: -

قال تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٣] والمراد ما أنزل إليكم من ربكم هو القرآن والسنة المبينة له لا آراء الرجال.

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ رَأَيْتِ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ [النساء: ٦١] وعموم الآية يفيد أن من دعى إلى العمل بالقرآن والسنة وصد عن ذلك فهو من المنافقين، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص سبب الآية.

وقال تعالى: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [النساء: ٥٩].

والرد إلى الله هو الرد إلى كتابه، والرد إلى الرسول بعد وفاته صلى الله عليه وسلم هو الرد إلى سنته. وتعليق الإيمان على رد التنازع إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم يفهم منه أن الرد إلى غيرهما يناقض الإيمان بالله.

وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [النساء: ٥٩].

وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [المائدة: ٩٢].

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١].

قال تعالى: ﴿قُلْ فَاتَّبِعُوا بِلِقَابِ رَبِّكُمْ هُدًى مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ {القصص: ٤٩}. وقال تعالى: ﴿فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ {القصص: ٥٠}.

قال تعالى: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ {البقرة: ٣٨}.

والهدى الذى أتى من عند الله هو كتابه وأحكامه على السنة رسله. والتي فيها الهداية والأمن من الخوف والحزن.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ هَدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنْ أُتِبْتُمْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ {البقرة: ١٢٠}.

وهدى الله فى كتابه وكلام رسوله ﷺ.

وقال تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾

{طه: ١٢٣}.

عموم الآية إذ قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعُونَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ {آل عمران: ٢٣}.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ {النساء: ٦١}.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾

{آل عمران: ١٦٤}.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ﴾

{النساء: ١٧٠}.

قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

{المائدة: ١٦}.

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾

{النحل: ٤٤}.

## أثر في النهي عن الخروج

### عن الكتاب والسنة

روى مسلم في صحيحه أن النبي ﷺ خرج على أصحابه وهم يختصمون في القدر، فكأنما يفتقاً في وجهه حب الرمان من الغضب. فقال: بهذا أمرتم أو لهذا حلقتم! تضرّبون القرآن بعضه ببعض بهذا هلك الأمم قبلكم. وفي رواية: - «إنما أهلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب». (١)

وقال ﷺ «أخوف ما أخاف عليكم جدال منافق عليم اللسان». (٢)

وقال رسول الله ﷺ: «إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم» وفي رواية: «فلا تجالسوهم». (٣)

وفي الحديث المرفوع: «والمرء في القرآن كفر». (٤)

وفي الحديث: «ذروني ما تركتكم فإنما هلك الذين من قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم».

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: أناس من أهل الكتاب من قبلكم قد كتبوا مع كتاب الله كتباً فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله.

أخرجه سعيد بن منصور في سننه.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: إنما هلك من كان قبلكم باتباعهم الكتب وتركهم كتاب الله.

وعن الأوزاعي رحمه الله قال: عليكم بالأثر وإياكم والكلام في ذات الله. وكان رحمه الله يبغض أهل الأهواء وينهى عن مجالستهم أشد النهي.

(١) أخرجه مسلم ح ٢٦٦٦، والطبراني والبخاري. انظر المجمع ١٥٦/١.

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه ٢٣٨/١، والطبراني في الكبير، ورجاله رجال الصحيح، انظر المجمع ١٨٧/١.

(٣) متفق عليه.

(٤) أخرجه أبو داود ح ٤٦٠٣، وأحمد ٢٥٨/٢ وابن حبان في صحيحه ٢٣٢/١.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «إن أصحاب الرأي أعداء السنن أعيتهم أن يحفظوها وتفلتت منهم أن يعوها واستحيوا حين سئلوا أن يقولوا لا نعلم فعارضوا السنن برأيهم فإياكم وإياهم».

من الأمثلة الدالة على اقتصار السلف في الاستدلال على الكتاب والسنة وترك ما سواهما:-

١- مناقشات الصحابة في سقيفة بني ساعدة لاختيار من يخلف النبي صلى الله عليه وسلم في إمامة الأمة. وقد سلم الجميع لحديث النبي صلى الله عليه وسلم «الأئمة من قريش» ومن ثم اختاروا للأمامة أبا بكر الصديق رضي الله عنه.

٢- مراجعة بعض الصحابة رضي الله عنهم لأبي بكر الصديق في قتال مانعي الزكاة ثم موافقتهم له لما بين أن الشرع لا يفرق بين تارك الصلاة ومانعي الزكاة.

٣- مراجعة ابن عباس رضي الله عنهما للخوارج الذين كفروا علياً وأصحابه فرد عليهم شبههم بالكتاب والسنة فتاب منهم من تاب ورجعوا إلى الحق.

٤- محاوراة الإمام أحمد لقاضي المحنة ابن أبي دؤاد والتي اقتصر فيها في رده على الكتاب والسنة متمسكاً بطريقة السلف في ذلك. (١)

٥- محاوراة عبد العزيز المكي مع بشر المريسي والتي سجلها في كتابه (الحيدة) في قضايا خلق القرآن والأسماء والصفات الإلهية. (٢)

٦- رسالة الإمام أحمد في (الرد على الجهمية والمعتلة).

٧- الإمام البخاري في جزء (خلق أفعال العباد).

٨- الدارمي في رده على بشر المريسي.

هذه هي أمثلة الحديث

(١) انظر منهج علماء الحديث والسنة: ص ١٠٩-١٢٢.

(٢) المرجع السابق: ص ١٢٣-١٤٠. مع وجود بعض المآخذ على هذا الكتاب حيث أنكر فيه أن يقال سمع الله وبصر الله لعدم ورود النص بذلك وهذا خطأ من جهتين الأولى: أنه قد ورد به النص كقول عائشة رضي الله عنها «سبحان الذي وسع سمعه الأصوات» متفق عليه وقول النبي صلى الله عليه وسلم «فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر» رواه مسلم وغيره وفسره غير واحد على أنه بصر الرحمن عز وجل. الجهة الثانية: أن ورود الأسماء كاف في إثبات الصفات لأن الاسم يتضمن الصفة فاسم الحى يدل على صفة الحياة واسم القدير يتضمن صفة القدرة وهذا هو الحق في هذه المسألة عند عامة أهل السنة والحديث. (وكتبه ياسر برهامي).

## مناظرة بالكتاب والسنة

## من آثار السلف الصالح

دخل غيلان على عمر بن عبد العزيز وكان قد تكلم فى القدر فقال له عمر ويحك يا غيلان ما هذا الذى بلغنى عنك؟ قال: يا أمير المؤمنين أتكلم فتسمع قال: تكلم فقرأ غيلان أول سورة الإنسان وفيها: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣] يؤيد بها قوله فى نفى القدر. فقال له عمر: ويحك من ههنا تأخذ الأمر وتدع بدء خلق آدم عليه السلام؟ ثم تلى عليه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] إلى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٣٣].

ومراد عمر تذكيره بالأصل والمبدأ، وأن الله خلق الإنسان، وخلق أعماله، ولا ينفى ذلك مسئوليته عما يفعله.

فقال غيلان: والله يا أمير المؤمنين لقد جئتكم ضالاً فهديتنى وأعمى فأبصرتنى وجاهلاً فعلمتني، والله لا أتكلم فى شئ من هذا الأمر أبداً.

ولكن غيلان نقض العهد بعد وفاة عمر بن عبد العزيز فى زمان هشام. فجاء به هشام وذكره بقول الله تعالى فى سورة الفاتحة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وسأله هشام: علام استعنته على أمر بيده لا تستطيعه إلا به، أو على أمر فى يدك ثم أمر به ليضربوا عنقه. (١)

## ٢- تقديم النقل على العقل

سار السلف على تقديم الأدلة الشرعية (السمعية) (النقلية) فى إثبات عقائد الدين وحقائقه الدينية، ورفضوا رفضاً قاطعاً إتباع منهج علماء الكلام فى الاستدلال بالأدلة العقلية المأخوذة من علم الكلام والفلسفة.

(١) منهج علماء الحديث والسنة فى أصول الدين: د. مصطفى حلمي ط. دار الدعوة الاسكندرية ص ٤٥-٤٦  
نقلاً عن (التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع) للملطي ص ١٦٨ وكتاب السنة لأحمد بن حنبل ط. السلفية بمكة المكرمة سنة ١٣٤٩هـ ج ٢ / ص ١٢٧ .

فكان نهج السلف أن يبدأوا بالشرع أولاً... ثم يخضعون له العقل، ومن ثمَّ يقدمون الرواية على النظر العقلي وفق طرق المتكلمين.

وهم يرون أن العقل يوافق الشرع ولا يخالفه، وقد يأتي الشرع بمحارات العقول، وهو لا يأتي أبداً محالات العقول فلا تعارض بين نقل صحيح ونظر عقلي سليم. والنقل الصحيح حجة، والنظر العقلي تابع للدليل السمعي ولا يتعارض معه أبداً.

أما المتكلمون فإنهم يقدمون أدلتهم العقلية على الأدلة السمعية. فيبدأون في البحث عما تقبله عقولهم وترضاه من آراء المتكلمين، ثم يخضعون لها نصوص الشرع. وهم يرون أن الأدلة العقلية قطعية، وأن الأدلة النقلية أدلة ظنية، لذا يعمدون إلى تأويل ما خالف آرائهم العقلية من الشرع ليوافق ما هم عليه.

وقد ورد العديد من أقوال السلف التي تبين رفضهم لعلم الكلام وبذمه، مما يبين بطلان تقديمه على الشرع في الاستدلال، وسنذكر طائفة منها قريباً.

يقول ابن تيمية رحمه الله: ولهذا لا يوجد في كلام أحد من السلف أنه عارض القرآن بعقل ورأى وقياس ولا بذوق ووجد ومكاشفة، ولا قال قط: قد تعارض في هذا العقل والنقل، فضلاً عن أن يقول: فيجب تقديم العقل، والنقل: يعني القرآن والحديث وأقوال الصحابة والتابعين إما أن يفوض وإما أن يؤول ولم يكن السلف يقبلون معارضة الآية إلا بآية أخرى تفسرها وتنسخها أو بسنة الرسول ﷺ تفسرها، فإن سنة رسول الله ﷺ تبين القرآن وتدل عليه وتعتبر عنه. (١)

يقول شارح الطحاوية: وكيف يتكلم في أصول الدين من لا يتلقاه من الكتاب والسنة، إنما يتلقاه من قول فلان، وإذا زعم أنه يأخذه من كتاب الله، لا يتلقى تفسير كتاب الله من أحاديث الرسول، ولا ينظر فيها، ولا فيما قاله الصحابة والتابعون لهم بإحسان المنقول إلينا عن الثقات المنقلة [١]. هـ

يقول الشاطبي في الاعتصام<sup>(٢)</sup>: إن الشريعة بينت أن حكم الله على العباد لا يكون إلا بما شرع في دينه على السنة أنبيائه ورسله ولذلك قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا

(١) من الفتاوى الكبرى لابن تيمية جـ ١٣ / ص ٢٨-٢٩ نقلاً عن معالم الانطلاقة الكبرى لمحمد بن عبد

الهادي المصري ط. دار طيبة ص ٦٧.

(٢) ج ١ / ٤٥.

مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿الإسراء: ١٥﴾ وقال: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩] وقال: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٧]، وأشبه ذلك من الآيات والأحاديث، فخرجت عن هذا الأصل فرقة زعمت أن العقل له مجال في التشريع وأنه محسن ومقبح فابتدعوا في دين الله ما ليس فيه. (١)

وقال ابن أبي العز في شرحه للعقيدة الطحاوية ص ١٩٠-١٩١: لموكل من قال برأيه وذوقه وسياسته مع وجود النص، أو عارض النص بالمعقول فقد ضاهى إبليس حيث لم يسلم لأمر ربه بل قال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢]. وقال تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء: ٨٠]. وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١] وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]. أقسم سبحانه بنفسه أنهم لا يؤمنون حتى يحكموا نبيه ويرضوا بحكمه ويسلموا تسليماً. (٢)

وقال أبو المظفر السمعاني في صون المنطق ص ١٨٢:

﴿أعلم أن فصل ما بيننا وبين المبتدعة هو مسألة العقل فإنهم أسسوا دينهم على المعقول وجعلوا الاتباع والمأثور تبعاً للمعقول، وأما أهل السنة: قالوا: الأصل في الدين الاتباع والمعقول تبع ولو كان أساس الدين على المعقول لاستغنى الخلق عن الوحي وعن الأنبياء صلوات الله عليهم ولبطل معنى الأمر والنهي، ولقال من شاء ما شاء، ولو كان الدين بنى على المعقول وجب ألا يجوز للمؤمنين أن يقبلوا أشياء حتى يعقلوا﴾. (٣)

ويقول ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى ج ٣:

إن كثيراً مما دل عليه السمع يعلم بالعقل أيضاً، والقرآن يبين ما يستدل به العقل ويرشد إليه وينبه عليه كما ذكر الله ذلك في غير موضع. فإنه سبحانه وتعالى بين

(١) نقلاً عن (منهج الماتريدي في العقيدة) من سلسلة رسائل ودراسات في منهج أهل السنة برقم ٣٧ للدكتور

محمد بن عبد الرحمن الخميس. ط. دار الوطن للنشر. الرياض ط. الأولى: ص ١٨.

(٢) نقلاً عن المرجع السابق: ص ١٨-١٩.

(٣) نقلاً عن المرجع السابق: ص ١٧-١٨.

من الآيات الدالة عليه وعلى وحدانيته وقدرته وعلمه وغير ذلك مما أرشد العباد إليه ودلهم عليه، كما بين أيضاً ما دل على نبوة أنبيائه، وما دل على المعاد وإمكانه فهذه المطالب هي شرعية من جهتين: من جهة أن الشارع أخبر بها، ومن جهة أنه بين الأدلة العقلية التي يستدل بها عليهما، والأمثال المضروبة في القرآن هي أقيسه عقلية، وقد بسط في غير موضع، وهي أيضاً عقلية من جهة أن تعلم بالعقل أيضاً. (١)

### من أقوال العلماء في ذم

#### علم الكلام والانشغال به (\*)

قال الشافعي رحمه الله: «لأن يُبتلى العبد بكل ما نهى الله عنه ما عدا الشرك خير له من أن ينظر في علم الكلام». وقال: «حكمت في علماء الكلام أن يضربوا بالجرید ويطاف بهم في العشائر والقبائل ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ في الكلام». وقال أيضاً.

كل العلوم سوى القرآن مشغلة

إلا الحديث والفقه في الدين

العلم ما كان فيه قال حدثنا

وما سوى ذلك وسواس الشياطين

وقال الإمام أحمد رحمه الله: «لا يفلح صاحب كلام أبداً وعلماء الكلام زنادقة».

وعن أبي يوسف صاحب أبي حنيفة رحمه الله أنه قال لبشر المريسي: «العلم

بالكلام هو الجهل، والجهل بالكلام هو العلم، وإذا صار الرجل رأساً في الكلام قيل

زنديق أو رمى بالزندقة». وقوله: «الجهل بالكلام هو العلم» أراد اعتقاد عدم صحته

فإن ذلك علم نافع، أو أراد به الإعراض عنه، أو ترك الالتفات إلى اعتباره، فإن

ذلك يصون علم الرجل وعقله، فيكون علماً بهذا الاعتبار. والله أعلم.

(١) نقلاً عن المرجع السابق: ص ٢٠ .

(\*) يراجع في ذلك:

أضواء البيان للشنيطي في تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤]

مقدمة العقيدة الطحاوية ط. الشيخ أحمد شاكر.

الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم لابن الوزير اليماني ج٢ / ص ١٦٨ ط. المطبعة السلفية القاهرة

سنة ١٣٨٥هـ. ولزيد من التفصيل راجع: منهاج السنة النبوية وبيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول

وكتاب النبوات والفتوى الحموية كلها لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله. وكذلك الصواعق المرسله على

الجهمية والمعطلة، واجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية كلاهما لابن القيم.

وعن أبي حنيفة النعمان رحمه الله قال عندما سئل في الكلام: «مقالات الفلاسفة، عليك بالأثر وطريقة السلف وإياك ما أحدث وكل محدثة فإنها بدعة»

وعن أحمد بن حنبل عن أبي عمر حفص بن عمر الضرير رحمهما الله أنه قال: الكلام كله جهل وإنك كلما كنت بالجهل أعلم كنت بالعلم أجهل.

وعن مالك رحمه الله قال: إياكم والبدع قيل: يا أبا عبد الله وما البدع؟ قال: أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته ولا يسكتون كما سكت عنه(\*) الصحابة والتابعون لهم بإحسان.

وعنه قال: من طلب الدين بالكلام تزندق. ويروى هذا أيضاً عن أبي يوسف. وعن عبد الله بن المبارك رحمه الله قال: أجمع أهل الفقه والآثار في جميع الأمصار أن أهل الكلام أهل بدع وزيف، ولا يعدون عند الجميع في طبقات العلماء. وإنما العلماء أهل الأثر والتفقه فيه، ويتفاضلون فيه بالإتقان والميز والفهم.

وعن الشافعي رحمه الله قال: ما جهل الناس ولا اختلفوا إلا لتركهم لسان العرب وميلهم إلى لسان أرسطاطاليس.<sup>(١)</sup>

وعن الحسن البصري رحمه الله قال: إنما أهلكتهم العجمة، (أي المتكلمون) فحرفوا على حسب هواهم.

وعن جعفر بن محمد الصادق رحمه الله قال: إذا بلغ الكلام إلى الله فأمسكوا عنه، إن أقواماً تكلموا في الله فتأهوا.

وعن سفيان الثوري رحمه الله قال: عليكم بالأثر وإياكم والكلام في ذات الله. وعن الأوزاعي رحمه الله قال: اصبر نفسك على السنة، وقف حيث وقف القوم، وقل فيما قالوا، وكف عما كفوا.

(١) أرسطاطاليس بن نيقوماخس أول من وضع فن المنطق وهو من أهل اصطخر ذكره الشهرستاني في الملل والنحل، وابن الصلاح والنووي في الطبقات والكندي وابن زولاق في تاريخ مصر ووصون المنطق للسيوطي وغيرهم.

(\*) المقصود بالسكوت من هذه الأمور هو السكوت عن الخوض في تفاصيل الحقيقة والكيفية والتأويلات ذلك على طريقة المتكلمين وإلا فالكتاب والسنة والآثار مليئة بتوضيح العقيدة الصحيحة في الأسماء والصفات والقدر بأوضح الأدلة العقلية والنقلية. (وكتبه ياسر برهامي).

وقال: عليك بآثار السلف وإياك آراء الرجال وإن زخرفوها بالقول.

وعن الإمام الذهبي رحمه الله قال: من أمعن النظر فى علم الكلام إلا وأداه اجتهاده إلى القول بما يخالف السنة، ولهذا ذم علماء السلف النظر فى علم الكلام، فإن علم الكلام مؤلّد من علم الحكماء والدهرية.

وعن هشام بن عبد الملك رحمه الله أنه قال لابنه يعظه إياكم وأصحاب الكلام فإن أمرهم لا يؤول إلى الرشاد.

وعن عبد الله بن طاهر رحمه الله أنه سئل: يا أبا يعقوب هذه الأحاديث التى تروونها فى النزول ما هي؟ فقال له: أيها الأمير هذه الأحاديث رواها من روى أحاديث الطهارة والغسل والصلاة والأحكام، ونقلها العلماء... ولا يجوز أن ترد هي كما جاءت بلا كيف، فإن يكونوا فى هذه عدولاً وإلا فقد ارتفعت الأحكام وبطل الشرع. فقال له السائل: شفاك الله كما شفيتني. وهذا مروى عن أبى حاتم وأبى زرعة الرازي.

وعن الجنيد بن محمد رحمه الله قال: أقل ما فى الكلام سقوط هية الرب من القلب، والقلب إذا عرى من الهية لله عرى من الإيمان. (١)

وعن ابن قتيبة رحمه الله قال: «فأما الكلام فليس من شأننا ولا أرى أكثر من هلك إلا به». (٢)

(١) راجع كذلك: صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام للحافظ السيوطي.

(٢) منهج علماء الحديث والسنة: ص ١٠٣ نقلاً عن الاختلاف فى اللفظ لابن قتيبة ص ٢٢٥.

## أقوال علماء الكلام فى ذم الكلام والانشغال به

وقد نُقلَ عن كبار علماء الكلام أنفسهم -خاصة الأشاعرة منهم- ما فيه ذم علم الكلام والانشغال به، وإقلاعهم فى آخر حياتهم عنه، لما رأوا من قبح غوائله. فمن ذلك:-

قال الرازى فى آخر حياته: لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفى عليلاً ولا تروى غليلاً، ورأيت أقرب الطرق: القرآن. أقرأ فى الإثبات ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ و﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾. وأقرأ فى النفي: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ و﴿وَلَا يَحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ ثم قال: «من جرب مثل تجربتى عرف مثل معرفتى».

وقال أيضاً فى وصيته: ولقد اختبرت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيت فيها فائدة تساوى الفائدة التى وجدتها فى القرآن العظيم، لأنه يسعى فى تسليم العظمة والجلال بالكلية لله تعالى، ويمنع من التعمق فى إيراد المعارضات والمتناقضات، وما ذلك إلا للعلم بأن العقول البشرية تتلاشى وتضمحل فى تلك المضايق العميقة والمناهج الحقية. (١)

\* وقال أبو الوفاء بن عقيل لبعض أصحابه: أنا أقطع أن الصحابة ماتوا وما عرفوا الجواهر والعرض، (٢) فإن رضيت أن تكون مثلهم فكن، وإن رأيت أن طريقة المتكلمين أولى من طريقة أبى بكر وعمر فبئس ما رأيت.

وقال الوليد بن أبان الكرابيسى لبنيه حين حضرته الوفاة يوصيهم: «هل تعلمون أحداً أعلم بالكلام مني؟ قال بنيه: لا. قال: فتتهموني؟ قالوا: لا. قال: فإنى أوصيكم أتقبلون؟ قال: نعم. قال: عليكم بما عليه أهل الحديث. فإنى رأيت الحق معهم.

(١) والرازى من أعظم أئمة التأويل فى زمانه، وكتب ذلك فى (أقسام اللذات) اعترافاً منه بأن طريق الحق اتباع القرآن فى قضية أسماء الله تعالى وصفاته.

(٢) الجواهر: ما يقوم بنفسه (ذات)، والعرض: ما يقوم بالجواهر (صفة). مثالك زيد أسود، والأعراض تسعة، كم، أين، متى، وضع، ملك، أن يفعل، أن ينفعل، إضافة.

وعن أبي المعالي الجويني قال: «لقد جلت أهل الإسلام جولة وعلومهم وركبت البحر الأعظم، وغصت في الذي نهوا عنه، كل ذلك في طلب الحق، وهرباً من التقليد، والآن فقد رجعت عن الكل إلى كلمة الحق، عليك بدين العجائز، فإن لم يدركني الحق بلطيف بره فأموت على دين العجائز، ويختم عافية أمرى عند الرحيل بكلمة الإخلاص، فالويل لابن الجويني».

وكان أيضاً يقول لأصحابه: «يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي ما بلغ ما اشتغلت به».

وذكر عن الحفيد ابن رشد وهو أعلم الناس بالفلسفة أنه قال: «ومن الذي قال في الإلهيات شيئاً يعتد به؟».

وذكروا عن الشهرستاني أنه لم يجد عند الفلاسفة والمتكلمين إلا الحيرة والندم. وقال في ذلك:-

لعمري لقد طفت المعاهد كلها      وسيرت طرفي بين تلك المعالم  
فلم أر إلا واضعاً كف حائر      على ذقن أو قارعاً سن نادم  
وقال الفخر الرازي:-

نهاية إقدام العقول عقال      وغاية سعى العالمين ضلال  
وأرواحنا في وحشة من جوفنا      وحاصل دينانا أذى ووبال  
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا      سوى أن جمعنا فيه قيل وقال

وعن أبي المعالي الجويني قال: لو استقبلت من أمرى ما استدبرت ما اشتغلت بالكلام.

وعن أبي حامد الغزالي قال: من أشد الناس غلواً أو إسرافاً طائفة من المتكلمين كفروا عوام المسلمين، وزعموا أن من لا يعرف الكلام معرفتنا ولم يعرف العقائد الشرعية بأدلتها التي حررناها فهو كافر. فهؤلاء ضيقوا رحمة الله على عباده أولاً، وجعلوا الجنة وقفاً على شرذمة سيرة من المتكلمين.

وقال أيضاً: وأما الخلافات التي أحدثت فى العصور المتأخرة، وأبدع فيها من التحريرات والتصنيفات والمجادلات ما لم يعهد مثلها فى السلف، فإياك أن تحوم حولها، واجتنبها اجتناب السم القاتل. فإنها الداء العضال واحترز من شياطين الإنس، فإنهم أراحوا شياطين الجن من التعب فى الإغواء والإضلال. (١)

والمأمل لعلم الكلام ومحصلته يتبين له مخالفته للشرع من وجوه منها: -

- ١- إن مباحثه مبتدعة محدثة.
- ٢- أن دراسته تشغل عن دراسة الكتاب والسنة.
- ٣- أن منهجه مغاير للمنهج القرآنى فى عرض مسائل العقيدة وتناولها.
- ٤- أن مبادئه وأصوله تتنافى مع الكتاب والسنة.
- ٥- إن الاشتغال بعلوم الكلام أدى إلى تفكك وحدة الأمة، وأوقع الكثيرين فى الشك والحيرة والتخبط بل والإلحاد (٢).
- ٦- أنهم لم يفلحوا فى الرد على أهل الكتاب من اليهود والنصارى، ومحصلة جهودهم هنا غير كافية، مع أنهم ما أحدثوا منهجهم إلا بزعم الرد على المخالفين بأدلة عقلية لا شرعية لعدم إيمان أهل الكتاب بالقرآن والسنة. (٣)

(١) راجع فى ذلك: تفسير الشنقيطى لقوله تعالى: ﴿أفلا يتدبرون القرآن﴾.

والسيوطى فى صون المنطق والكلام.

(٢) راجع فى ذلك رسالة الدكتوراة (موقف الإمام ابن القيم من آراء المتكلمين) للدكتور محمد سعيد صبرى صالح.

(٣) وقد نصح العلماء السلفيون فى إفحام أهل الكتاب وبيان ضلالهم بأدلة القرآن والسنة، كما فى (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح) لابن تيمية، (هداية الحيارى فى الرد على أسئلة اليهود والنصارى) لابن القيم. يقول ابن تيمية: (كثير من المصنفين فى الكلام لا يردون على أهل الكتاب إلا ما يقولون أنه يعلم بالعقل مثل تثليث النصارى ومثل تكذيب محمد ﷺ ولا يناظرونهم فى غير هذا من أصول الدين، وهذا تقصير منهم ومخالفة لطريق القرآن، وقد ذكرت فى الرد على النصارى من مخالفتهم للأنبياء كلهم مع مخالفتهم لصريح العقل ما يظهر به من كفرهم ما يظهر).

### درء تعارض النقل والعقل

لا يعنى تقديم السلف للنقل على العقل، واقتصارهم فى الاستدلال على الكتاب والسنة، ورفضهم تأويل النصوص بالأدلة العقلية على طريقة المتكلمين، أن السلف ينكرون دور العقل فى التوصل إلى الحقائق والمعارف، أو أنهم لا يستعملون الفكر والنظر فى الآيات الكونية. ولكن ذلك يعنى أنهم لا يسلكون فى استعمال العقل الطريقة التى سلكها علماء الكلام فى الاستدلال بالعقل وحده فى المسائل العقائدية والغيبية، وتقديمه على كلام الله عز وجل خالق العقل والعقلاء، وتقديمه على سنة النبي ﷺ المبلغ عن الله بالوحي، والمعصوم من الخطأ فى البيان.

فالسلف فى منهجهم لا يدعون وجود تعارض بين الشرع والعقل، بل ينفون هذا التعارض الذى يصطنعه علماء الكلام المتأثرون بالفلاسفة اليونانيين.

ولكن شتان بين وظيفة العقل عند السلف، ودوره عند علماء الكلام والفلاسفة. (١)

#### ف عند علماء السلف:

العقل أمر معنوى يقوم بالعاقل سواء سَمِيَ عارضاً أو صفة: وهو مخلوق خلقه الله وأودعه فى الإنسان، وهو يؤدى وظيفته من خلال قدراته، ومن خلال ما حوله مما يحيط به ويدركه، وقدرات العقل كمخلوق محدودة، وإدراك العقل للكون على اتساعه مقصور على الإحاطة بما تدركه حواس الإنسان وحواس الإنسان محدودة، فالقدرة المطلقة والإحاطة الشاملة، من صفات الخالق وليست من صفات العقل المخلوق.

والعقل الإنسانى غير معصوم من الخطأ، وعقلاء الفلاسفة وعلماء الكلام يقع منهم من الجهل والضلال الكثير، والرد إليهم يوقع فى الحيرة والاضطراب

(١) يراجع فى ذلك: الصفات الإلهية فى الكتاب والسنة للدكتور محمد أمان بن على الجامى ط. دار الإيمان ص ٥٨-٦١. السلفية بين العقيدة الإسلامية والفلسفة الغربية ط. دار الدعوة ص ٥٨-٨٩. ومنهج علماء الحديث والسنة فى أصول الدين ط. دار الدعوة: ص ١٤٢-١٥١. كلاهما للدكتور مصطفى حلمي. وتمام المنة فى الرد على أعداء السنة وتيسير علم الحديث للشيخ محمد إسماعيل ط. الجماعة الإسلامية بالاسكندرية.

واختلاف الأحزاب فكيف يعارض كلام الله وكلام رسوله المعصوم صلى الله عليه وسلم بأقوال من يجوز عليه الخطأ والضلال.

ولا يأتي الشرع بما يرفضه العقل، فلا يعارض نقل صحيح عقلاً صحيحاً. والشرع قد يأتي بما تحار فيه العقول، ولكن لا يأتي بما يستحيل على العقل أن يتقبله.

والعقل يوجب علينا تصديق الشرع في كل ما أخبر به، لأن العقل آمن برسالة الرسول صلى الله عليه وسلم وهو المبلغ عن الله فوجب الأخذ بما جاء به من الوحي.

ومقام التصديق بالرسول صلى الله عليه وسلم يوجب اتباعه لا معارضته أو مخالفته ولو قلنا برد العقل للنص الذي أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم لكننا بذلك قد أبطلنا دلالة العقل التي أوجبت علينا قبول كل ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم.

والرد إلى الشرع يحدث الائتلاف والاجتماع، وهو انقياد لأمر واحد يتصف بالصدق، ولا يوجد ما يمنع اجتماع الخلق على الأدلة الشرعية.

بخلاف العقل فالرد إلى عقول الرجال يسبب اختلاف الآراء وقبول رأى منها لا يعنى صدقه يقيناً، فلا سبيل إلى ثبوته ومعرفته، ولا هو وسيلة لجمع الناس واتفاقهم.

العقل وإن كان شرعاً مناط التكليف، ولكن الشرع لم يجعل له دوراً في تشريع الحلال والحرام ووضع الواجبات الدينية والمنهيات الشرعية.

إن التنزيل جاء برد الناس عند التنازع إلى الكتاب والسنة وهذا يوجب تقديم السمع لا العقل قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

وقال تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣].

أما علماء الكلام وأتباع الفلاسفة فإنهم:

يقدمون العقل غاية التقديس، بل أن بعض الفلاسفة يرى أن العقل عيناً قائمة بنفسها.

ويرون أن دلالة العقل قطعية وبرهانية يقينية.

ويحصرّون الاستدلال بالعقل في مصطلحاتهم الكلامية وبراهينهم المأخوذة من المنطق والفلسفة.

ويجعلون للعقل إحاطة كلية وإدراكاً واسعاً لكل ما في الكون، وقدرة على الوصول إلى الحقائق الغيبية، لذا يخوضون بعقولهم في أمور الإلهيات والغيبات وما وراء الطبيعة.

لذا فهم يوجبون على الله تعالى ما توجه عقولهم، ويمنعون عن الله ما تمنعه عقولهم، فيما يتعلق في أفعال الله عز وجل وصفاته وأسمائه.

ولذا فهم يخضعون بالتأويل نصوص الشرع من الكتاب والسنة لما ذهبت إليه عقولهم من الأدلة. فأدلتهم العقلية أصل والشرع تابع لها. (\*)

ويلزمهم على ذلك :-

- أن ظاهر الكتاب والسنة قد يخالف العقل.
- أن دلالة العقل قطعية.
- أن دلالة النص ظنية.
- أن الواجب صرف النص عن ظاهره ليوافق العقل إن تعارضاً.
- أن الأخذ بظاهر الكتاب والسنة يؤدي إلى الضلال في أمهات مسائل أصول الدين.

(\*) يقول ابن تيمية رحمه الله: (والعجب أن من هؤلاء أي مدعى النظر والاستدلال من يصرح بأن عقله إذا عارضه الحديث - لاسيما في أخبار الصفات - حمل الحديث على عقله وصرح بتقدمه على الحديث وجعل عقله ميزاناً للحديث فليت شعري هل عقله هذا كان مصرحاً بتقدمه في الشريعة المحمدية فيكون من السبيل المأمور باتباعه أم هو عقل مبتدع جاهل ضال حائر خارج عن السبيل فلا حول ولا قوة إلا بالله) أ.هـ من نقض المنطق لابن تيمية ص ٤٩ .

- أن الصحابة رضي الله عنهم جهلوا هذه الأدلة العقلية فلم يهتدوا إلى الحق في مسائل أصول الدين، أو أنهم انشغلوا عنها بأعباء الدعوة والجهاد في سبيل الله.
- أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يبين للصحابة أن ظاهر الكتاب والسنة غير مراد.
- أن المتكلمين أفضل علماً وأحكم فهماً من السلف.
- أن الفهم الكامل لعقائد الإسلام لم يعرف إلا على عهد المتكلمين. وكل ذلك باطل.

فالحجة كل الحجة في ما ثبت في كتاب الله تعالى وسنة النبي صلى الله عليه وسلم، وليس لأحد أن يخالف الكتاب أو السنة لقول قائل كائناً من كان، وأن الله تعالى أتم دينه قبل وفاة نبيه وأكمّله قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: 3] وأن النبي صلى الله عليه وسلم بينه غاية البيان، فبلغ الرسالة كاملة، وأدى الأمانة تامة، وتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، والصحابة أعلم الناس بهذا الدين إذا أخذوه عن النبي صلى الله عليه وسلم فوعوه وعياً تاماً، ونقلوه نقلاً كاملاً، وعملوا به ففتح الله البلاد على أيديهم، ومكنهم في الأرض، وانقادت لهم قلوب العباد قبل رقابهم، فدخلوا في دين الله طواعية أفواجاً.

## علماء السلف أهل نظر واستدلال

يقول ابن تيمية رحمه الله: «ومن العجب أن أهل الكلام يزعمون أن أهل الحديث والسنة أهل تقليد، ليسوا أهل نظر واستدلال، وأنهم ينكرون حجة العقل، وربما حكى إنكار النظر عن بعض أئمة السنة، وهذا مما ينكرونه عليهم فيقال لهم: ليس هذا بحق فإن أهل السنة والحديث لا ينكرون ما جاء به القرآن هذا أصل متفق عليه بينهم، والله قد أمر بالنظر والتفكير والتدبر في غير آية، ولا يعرف عن أحد من سلف الأمة ولا أئمة السنة وعلمائها أنه أنكر ذلك، بل كلهم متفقون على الأمر بما جاءت به الشريعة من النظر والتفكير والاعتبار والتدبر وغير ذلك. ولكن وقع اشتراك في لفظ (النظر) و(الاستدلال) ولفظ (الكلام) فإنهم أنكروا ما ابتدعه المتكلمون من باطل نظرهم وكلامهم واستدلالاتهم، فاعتقدوا أن إنكار هذا مستلزم لإنكار جنس النظر والاستدلال. اهـ. (١)

## أمثلة لاستدلالات عقلية للسلف الصالح

جاء جماعة من الدهرية إلى الإمام أبي حنيفة فقال لهم: أجيونى عن مسألة؟ فقالوا: هات فقال: ما تقولون فى رجل يقول لكم إنى رأيت سفينة مشحونة بالأحمال مملوءة من الأثقال قد احتوشها فى لجة البحر أمواج متلاطمة ورياح مختلفة وهى من بينها تجرى مستوية ليس لها ملاح يجريها ولا متعهد يدفعها فهل يجوز ذلك فى العقل؟ قالوا: لا هذا شئ لا يقبله العقل! فقال أبو حنيفة: يا سبحان الله إذا لم يجر فى العقل سفينة تجرى فى البحر مستوية من غير متعهد ولا ماجر فكيف يجوز قيام هذه الدنيا على اختلاف أحوالها وتغير أعمالها وسعة أطرافها وتباين أكنافها من غير صانع وحافظ؟ فقالوا: صدقت.

وسئل الشافعي: ما الدليل على وجود الصانع؟ فقال: ورقة الفرصاد طعمها ولونها وريحها وطبعها واحد عندهم؟ قالوا: نعم. قال: فتأكلها دودة القز فيخرج منها الإبريسم، والنحل فيخرج منها العسل، والشاة فيخرج منها البعر، ويأكلها الأطباء فيعتقد فى نوافجها المسك فمن الذى جعل هذه الأشياء كذلك مع أن الطبع واحد؟ فأسلم المخالفون له على يديه.

(١) نقض المنطق لابن تيمية: ص ٤٧.

وذكر الإمام أحمد قلعة حصينة ملساء لا فرجة فيها ظاهرها كالفضة المذابة وباطنها كالذهب الإبريز، ثم انشقت الجدران وخرج من القلعة حيوان بصير فلا بد من الفاعل. عنى بالقلعة البيضة وبالحيوان الفرخ.

وسأل هارون الرشيد الإمام مالكاً عن ذلك فاستدل باختلاف الأصوات وتردد النغمات وتفاوت اللغات.

واستحسن العلماء واحتجوا بقول لأعرابي سئل عن الدليل فقال: البعرة تدل على البعير، والروث على الحمير، وآثار الأقدام على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، أما تدل على الصانع الخليم العليم القدير؟.

وعن الحسن البصرى قال: كانوا -يعنى الصحابة- يقولون الحمد لله الذى لو جعل هذا الخلق خلقاً دائماً لا ينصرف لقال الشاك فى الله لو كان لهذا الخلق رب لحادثه، وأن الله قد حادثه بما ترون من الآيات: أنه جاء بضوء طبق ما بين الخافقين، وجعل فيها معاشاً وسراجاً وهاجاً، ثم إذا شاء ذهب بذلك الخلق، وجاء بظلمة طبقت ما بين الخافقين، وجعل فيها سكناً، ونجوماً وقمرماً منيراً، وإذا شاء بنى بناء جعل فيه من المطر والبرق والرعد ما شاء وإذا شاء صرف ذلك، وإذا شاء جاء ببرد يقرقف الناس -أى يرعدهم- وإذا شاء ذهب بذلك وجاء بحر يأخذ بأنفاس الناس، ليعلم الناس أن لهذا الخلق رباً يحادثه بما يرون من الآيات، كذلك إذا شاء ذهب بالدنيا وجاء بالآخرة.

حادثه: أى جرده وجوده، فهو حادث، ويتعدى بالألف فيقال (أحدثه).

ودار نقاش بين راهب وخالد بن يزيد بن معاوية عن أحوال أهل الجنة. فسأله الراهب: أليس تقولون أنكم فى الجنة تأكلون وتشربون لا يخرج منكم أذى؟ أفلهذا مثل تعرفونه فى الدنيا؟ قال خالد: نعم الصبى يأكل فى بطن أمه من طعامها وشرابها ثم لا يخرج منه أذى. قال الراهب: أليس تقولون أن الجنة تأكلون فيها فواكه ولا ينقص منها شئ؟ أفلهذا مثل فى الدنيا تعرضون؟ قال خالد: نعم الكتاب يكتب منه كل شئ ثم لا ينقص منه شئ.

ذكر الشاطبي في الاعتصام بعضاً من طرق الصحابة رضي الله عنهم إزاء تلقيهم الأخبار المروية في مسائل التوحيد وتقبل العقل لها والاستدلال على صحتها بنظر عقلي. فمن ذلك. (١)

١- فهمهم وصف الصراط بأنه كحد السيف بأن العادة قد تخرق حتى يمكن المشى والاستقرار.

٢- اثبتوا الميزان للحساب بكيفية تليق بالآخرة، لأن الأعمال ليست كالأجسام التي توزن في الدنيا.

٣- اثبتوا عذاب القبر بأن رد الروح إلى البدن وتعذيبه يقبله العقل فالمحتضر يعالج سكرات الموت ويخبر بالآلام وكذلك أصحاب الأمراض المؤلمة ولا نرى عليه أثر ذلك.

٤- اثبتوا سؤال الملكين للميت وإقعاده في قبره من قبيل خرق العوائد وخروج حكم ذلك عن حكمتنا المعتاد في الحياة الدنيا. ومثله إنطاق الجوارح لتشهد على صاحبها يوم القيامة، وقراءة الأُمى الذي لا يقرأ لصحف أعماله يوم القيامة... إلخ.

٥- رؤية الله عز وجل في الآخرة جائزة، ولا يمنعها العقل، إذ لا دليل في العقل يدل على أنه لا رؤية إلا على الكيفية المعتادة عندنا في الدنيا.

٦- تكلم الله تعالى: لا يمنع العقل ذلك في حقه تعالى على وجه لا يشابه كلام المخلوقين ولكن على الوجه اللائق بجلاله عز وجل.

روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه أخبر بأحاديث رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة فعارضه سائل بقوله تعالى: ﴿لا تدركه الأبصار﴾ فقال له: «ألست ترى السماء» فقال: بلي. فسأله: أتراها كلها؟ أجب: لا.

وقد تكلم أناس في معية الله مع العباد وإحاطته بهم مع كونه مستوى على عرشه فوق سماواته. فنضرب الإمام أحمد لذلك مثلين عقليين ولله المثل الأعلى. فقال: «لو أن رجلاً في يده قوارير فيها ماء صاف، لكان بصره قد أحاط بما فيها مع مباينته له، فالله -وله المثل الأعلى- قد أحاط بصره بخلقه وهو مستوى على عرشه.

والمثال الثاني: لو أن رجلاً بنى داراً لكان مع خروجه عنها يعلم ما فيها. فالله الذي خلق العالم يعلمه مع علوه عليه كما قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

(١) راجع في ذلك (منهج علماء الحديث والسنة في أصول الدين): ص ٤٣-٤٤.

## النظر العقلي عند السلف

أدرك السلف أنه لا تعارض بين النقل الصحيح والعقل الصحيح، وعرفوا قدر العقل في تأييد ما جاء به الشرع، وأكثروا من التأمل في الايات الكونية، والنظر في الأمثلة العقلية، الشاهدة على صدق الكتاب والسنة، والدالة على صحة العقائد الإسلامية، فألحقوا النظر العقلي بالأدلة الشرعية، وأمعنوا في دراسة كتاب الكون المنظور، كما أمعنوا في دراسة الوحي المقروء، ومكنتهم رجاحة عقولهم، وسلامة نفوسهم، واجتنابهم لمتاهات الفلسفة، واضطراب المتكلمين، من الوصول إلى موافقة العقل للشرع في كل ما جاء به، وأنه لا تعارض بينهما، وأقاموا بذلك الحجة البالغة لمن تأمل كلامهم ودرس علمهم ووعى ما قالوا وما كتبوا.

والنظر العقلي والتأمل الفكري في الآيات الكونية الشاهدة على صدق وصحة العقائد الإسلامية منهج شرعي، دل عليه القرآن الكريم وسنة النبي ﷺ وسار عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين ومن سار على طريقتهم من علماء أهل السنة والجماعة.

وقد أحسن السلف فهم هذه الطريقة واستخدامها عند الحاجة إلى تأكيد ما ثبت في الكتاب والسنة، وقد سجلت مناظراتهم وكتبهم التطبيق العملي لهذا النهج.

ولبيان ذلك كله نبين أولاً:

أدلة للنظر العقلي في القرآن الكريم.

أدلة للنظر العقلي في السنة النبوية.

أدلة للنظر العقلي عند السلف.

## النظر العقلى فى القرآن الكريم

القرآن الكريم لا تنقضى عجائبه، ويحتاج إلى مَنْ يُعْمَلُ فيه فكره ونظره، ويتدبره بإخلاص وطلب للحق فينال منه الحقائق البيّنة، والقواعد المحكّمة، والأمثلة الصائبة، فيستغنى بما عنده من الهدى عن الخوض فيما خاض فيه المتكلمون والفلاسفة.

وقد عرف السلف ذلك كله واستوعبوه فهماً وعلماً، ومارسوه تطبيقاً فى مناقشاتهم ومناظراتهم، ولقد أدرك هذه الحقيقة البعض من أئمة الكلام والفلسفة ورأوا أن الأخذ بطريقة القرآن والتمسك بها هى أصلح منهج لإصلاح العقائد والعقول<sup>(١)</sup> يقول الرازى فى اواخر حياته: لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفى عيلاً ولا تروى غليلاً ورأيت أقرب الطرق القرآن. أقرأ فى الاثبات: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾.

وأقرأ فى النفي: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ ثم قال: من جرب مثل تجربتى عرف مثل معرفتى. ا.هـ. (٢)

وقال أيضاً فى وصيته: ولقد اختبرت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيت فيها فائدة تساوى الفائدة التى وجدتها فى القرآن العظيم لأنه يسعى فى تسليم العظمة والجلال بالكلية لله تعالى ويمنع من التعمق فى إيراد المعارضات والمتناقضات وما ذلك إلا للعلم بأن العقول البشرية تتلاشى وتضمحل فى تلك المضايق العميقة والمناهج الحقية. (٣)

ولقد وقع فى القرآن المخاصمة مع الفرق الضالة، وذكر القرآن بأدلتها السمعية العقائد الحقّة، وأنكر على المعتقّدات الباطلة، وبين شبهات المخالفين وذكر الرد عليها بالأدلة البرهانية والخطابية. (٤)

(١) راجع قواعد المنهج السلفى ص ٢٢٣-٢٥٩.

(٢-٣) المرجع السابق نقلاً عن الرازى: ص ٢٢٣.

(٤) راجع فى ذلك مقدمة الفوز الكبير فى أصول التفسير لشاه ولى الله بن عبد الرحمن.

قال السيوطي: قال العلماء: قد اشتمل القرآن على جميع أنواع البراهين والأدلة، وما من برهان ودلالة وتقسيم وتحذير تبنى من كليات المعلومات العقلية والسمعية إلا وكتاب الله قد نطق به لكن أورده على عادات العرب دون دقائق طرق المتكلمين لأمرين:-

أحدهما: بسبب ما قال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾

﴿إبراهيم: ٤﴾.

والثاني: أن المائل إلى الدقيق المحاجة هو العاجز عن إقامة الحجة بالجليل من الكلام، فمن استطاع أن يفهم بالأوضح الذي يفهمه الأكثرون لم ينحط إلى الأغمض الذي لا يعرفه إلا الأقلون ولم يكن ملغزاً. فأخرج تعالى مخاطباته في محاجة خلقه في أجلى صورة ليفهم العامة من جليهم ما يقنعهم وتلزمهم الحجة وتفهم الخواص من أبنائها ما يربى على ما أدركه فهم الخطباء ا.هـ. (١)

فالقرآن أقام الحجة العقلية على صحة ما جاء به من أمور الاعتقاد ولكن بطريقة أيسر فهما، وأقوى حجة، وأوضح دلالة، يستوعبها العالم والجاهل، الأعرابي في الصحراء، والنجباء من العقلاء، وهي فوق ذلك حجة دامغة، لا سبيل إلى ردها أو التشكيك فيها.

فإذا جمعت الأدلة السمعية للقرآن، وأضيفت إليها ما أكدته الأدلة العقلية الواردة في القرآن حصلت بها الحجة البالغة ولله الحمد والمنة.

فالأدلة العقلية في القرآن توصل إلى ما يريده المتكلمون من أدلتهم العقلية، ولكن بوسيلة غير وسيلتهم، إذ تخلو من مصطلحات المتكلمين وعلوم الفلاسفة، وبالتالي من حيرتهم واضطرابهم واختلافهم، فاتفقت الأدلة القرآنية في الهدف مع طريقة المتكلمين، وحققت ما لم تحققه، واختلفا في الوسيلة والمنهج.

والمراد بالحجة العقلية احتجاج المتكلم على ما يريد إثباته بدليل عقلي يقطع به المعاند له فيها (٢) وكمالها أن تكون حجة واضحة يفهمها كل عاقل.

لقد أثبت علماء السلف أن أدلة الشرع عقلية أيضاً وليست نقلية فحسب، فإن القرآن الكريم جاء بالأدلة العقلية على أحسن بيان وأقومه واستخلصوا منه الطرق

(١) الإتيان في علوم القرآن للسيوطي: ج٢ / ١٧٢ .

(٢) الإتيان في علوم القرآن: ص ١٧٢ / ج٢ نقلاً عن ابن أبي الأصبغ.

المبينة على البراهين المنطقية التي تخاطب الإنسان أينما كان وحيثما وجد، وكلها دل عليها القرآن الذي وصفه الله تعالى بأنه يهدي للتي هي أقوم. (١)  
وسنذكر هنا طرقاً من ذلك إن شاء الله تعالى.

## أمثلة للأدلة العقلية في القرآن الكريم

### إثبات وجود الخالق عز وجل:-

وردت بالقرآن الكريم آيات عديدة تحتوى على أدلة عقلية واضحة في إثبات وجود الخالق عز وجل فمن أمثلة ذلك:

١- قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَع النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤].

٢- قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيَجُ فَتَرَاهُ مَصْفُورًا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٢١].

ويسترعى الانتباه أن هذه الأدلة العقلية ليست أدلة جافة جامدة كأدلة المتكلمين، وهى إلى جانب إثبات وجود الخالق عز وجل تبعث فى النفس الإقرار بنعمه وآلائه، والشعور بالخضوع له، وتبين قدرته على الخلق والإبداع، وأنه على كل شئ قدير، فليست مجرد إثبات صانع للكون لا يعرف عنه شيئاً إلا إثبات وجود مطلق له، دون تعريف بهذا الخالق، وإثبات هذا الوجود أمر مشترك بينه وبين مخلوقاته، لم ترد عليه أدلة المتكلمين عليه شيئاً. ناهيك عن وقع هذه الآيات على النفس وزيادة اليقين والهدى فى القلب بها، وزيادة إيمان العبد بالله تبارك وتعالى خالقه ومولاه.

(١) منهج علماء الحديث والسنة: ص ١٤٧ يقول ابن تيمية فى الفتاوى ج ١٢ / ٨: (القرآن قد دل على الأدلة العقلية التى بها يعرف الصانع وتوحيده وصدق رسوله، وبه يعرف إمكان المعاد، ففى القرآن من بيان أصول الدين التى تعلم مقدماتها بالعقل الصريح ما لا يوجد مثله فى كلام أحد من الناس بل عامة ما يأتى به حذاق النظر من الأدلة العقلية يأتى القرآن بخلاصتها وبما هو أحسن منها بالحق وأحسن تفسيراً قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٣٣].

٣- قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمُ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٦٤) هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر: ٦٤-٦٥].

٤- قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٧٩) وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتُلْغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفَلَكِ تَحْمَلُونَ (٨٠) وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيُّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ﴾ [غافر: ٧٩-٨١].

٥- قال تعالى: ﴿قُلْ أَنْتُمْ لَكُمْ تُكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أُنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رِوَاسِيًا مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سِوَاءٍ لِلسَّائِلِينَ (١٠) ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١) فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزِينَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَحَفِظْنَا ذَلِكَ تَقْدِيرَ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾

{فصلت: ٩-١٢}.

٦- قال تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٨].

٧- قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُؤْفُونَ﴾ [الطور: ٣٥-٣٦].

### إثبات أنه وحده المستحق للعبادة:

وردت الآيات القرآنية العديدة الدالة على استحقاقه عز وجل وحده للعبادة، وبطلان عبادة غيره عز وجل، من أمثلة ذلك:-

١- قال تعالى: ﴿اللَّهُ خَيْرٌ أَمَا يُشْرِكُونَ (٥٩) أَمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتِ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِلَهُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (٦٠) أَمْ مَنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رِوَاسِيًا وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٦١) أَمْ يَجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ اللَّهُ قَلِيلًا مَا تَدْكُرُونَ (٦٢) أَمْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَلَيْسَ اللَّهُ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٣) أَمْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يَعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَلَيْسَ اللَّهُ الَّذِي قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [النمل: ٥٩-٦٤].

والآيات واضحة الدلالة فى الرد على المشركين الذين يعبدون مع الله غيره ولا يفرّدونه بالعبادة فاستحقاق الله تبارك وتعالى للعبادة وحده ظاهر من كونه الخالق وحده الرازق وحده المنعم وحده، الذى يدفع الضر ويوجب الخير، ومن دونه - كائنا من كان - لا يملك من الأمر شيئاً. إن تبين ذلك كله للعيان جاء السؤال المعلوم إجابته لكل إنسان ﴿أَلِلَّهِ مَعَ اللَّهِ﴾ ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انْظُرْ كَيْفَ نَصَرَفَ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْذِفُونَ﴾ {الأنعام: ٤٦}.

قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ {فاطر: ٤٠}.

ومن أساليب القرآن فى الدلالة على ذلك الاحتجاج بإقرار المشركين بتوحيد الربوبية والاعتراف بخلق الله للعباد على توحيد الألوهية وهو وجوب إفراده تعالى بالعبادة دون غيره.

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ {الزمر: ٣٨}.

ومن أساليب القرآن كذلك ضرب الأمثلة العقلية التى تدل على الفارق بين الشرك مع الله غيره وبين الإخلاص فى العبادة له وحده ليتبين الفارق بين المؤمن الموحد والكافر المشرك فى صورة حسية تستوعبها العقول.

قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ {الزمر: ٢٩}.

وكذلك بين الفارق بين الخالق والمخلوق، وبالتالي استحقاق الأول للعبادة وحده، ووجوب هذه العبادة على المخلوق.

قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ {النحل: ١٧}.

### إثبات أن الإله واحد لا شريك له:

وأساليب القرآن في ذلك متعددة. منها الامتناع -عقلاً- تواجد أكثر من إله واحد للكون، فمثل هذه المشاركة في تصريف الكون وتسيير شئونه يترتب عليها اضطراب الكون وفساده، وهذه المشاركة تنافي كمال الألوهية والربوبية: -

قال تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لُدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَعَلَىٰ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١].

وقال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَأَبْتَغُوا إِلَيَّ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ [٤٢] سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٤٢-٤٣].

وقال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢].

ومن أدلة ذلك أيضاً أنه لا خالق للمخلوقات غير الله وحده، فإذا كان ذلك فكيف يتخذ معه في الألوهية شركاء.

قال تعالى: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد: ١٦].

### إثبات النبوة وإرسال الرسول ﷺ

وردت آيات كثيرة في القرآن للدلالة العقلية على صدق الأنبياء عامة وصدق النبي ﷺ خاصة، وهي أدلة قوية الدلالة ظاهرة الحجة، نذكر بعضاً مما ورد في صدق نبوة النبي ﷺ وأنه رسول من عند الله تبارك وتعالى: -

١- قال تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَفَلَمَنَّمْهُمْ آيَهُمْ يَكْفُلْ مَرِيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [آل عمران: ٤٤].

فقصص الأنبياء السابقين وأخبار الأمم السابقة جاء بها النبي ﷺ صادقة مفصلة، وهي ليست من علم قومه، وهو لم يكن من أهل الكتاب ولم يتعلم على أيديهم، وقد جاء بما ليس عند أهل الكتاب في بعض هذه التفاصيل.

٢- قال تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لِأَرْتَابِ الْمُبْتَلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨].

وهذه حجة ظاهرة إذ كان ﷺ لا يقرأ ولا يكتب ثم جاء بهذا الكتاب المعجز .

٣- قال تعالى : ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يونس : ١٦] .

وقال تعالى : ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ [المؤمنون : ٦٩] وهذه أيضاً حجة ظاهرة، فإنه ﷺ لبث فيهم عمراً عرفوه فيه جيداً وعرفوا صدقه وأمانته وصلاحه حتى لقبوه (بالأمين) فكيف يكذبوه في أخباره عن أمر عظيم وهو رسالته وكيف لا يكذب على الناس ثم يكذب على الله!!! .

٤- قال تعالى : ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فَمَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [الحاقة : ٤٤] .

وهذه حجة ظاهرة إذ أن الله تعالى يكشف من يكذب على العباد بادعاء النبوة لئلا يلتبس الأمر على الناس، إذ كيف يكون كاذباً وينصره ويعزه بين الناس . وقد رأينا في المكذبين من ادعياء النبوة كيف خذلهم الله وأهلكهم وفضح أستارهم وكشف كذبهم لكل ذى عينين .

### إثبات البعث والنشور والإحياء بعد الإماتة:

الإيمان باليوم الآخر عقيدة غيبية، أخبرت بها رسل الله جميعاً، وكذبت بها أقوام عديدة، ولإثباتها تعددت أساليب القرآن الكريم في استعمال الأدلة العقلية الدالة على إثبات ذلك، منها دلالة إحياء الله تعالى للأرض الميتة بإنزال المطر :-

قال تعالى : ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ [فاطر : ٩] .

وقال تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف : ٥٧] .

وقال تعالى : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْتَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٩) إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفُونَ عَلَيْنَا أَفَمَن يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصلت : ٣٩-٤٠] .

ومنها دلالة خلق الله تعالى للعباد فى النشأة الأولى، وخلقها لما هو أعظم وهم السموات والأرض فهو عز وجل على كل شئ قدير.

قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعُظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٧٩) الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقَدُونَ (٨٠) أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (٨١) إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٧٨-٨٢].

فهذه الحبة الساكنة وهى أشبه بجماد هامد قد تترك على ذلك أسابيع أو أشهر أو سنوات، فإذا وضعت فى باطن الأرض، وسقيت بالماء، انبعثت فيها الحياة والحركة، والأرض الجرداء قد تترك هامدة السنين الطوال، ثم ينبت ماء المطر فإذا هى قد اهتزت وربت.

والشجر الأخضر الرطب بالماء الذى ينبض بالحياة، إذا جف وييس، أوقدته النار، وهذا الاشتعال يضاد رطوبته ومائه. فسبحان الخلاق العليم الذى هو على كل شئ قدير.

افيعجزه بعث الأبدان من الأحداث بعد الموت؟؟.

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧].

قال تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [يس: ٨١].

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْزُبْ عَنْهُنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأحقاف: ٣٣].

والآيات فى ذلك كثيرة والأساليب متعددة ولسنا بصدد الإفاضة فيها والحصص لها<sup>(١)</sup> وفيما ذكرنا كفاية فى إثبات المطلوب.

(١) راجع فى ذلك تفسير مفاتيح الغيب للرازى المجلد الأول ص ٥٢١-٥٢٦. ففیه بیان لأساليب قرآنية أخرى فى إثبات الحشر والمعاد والبعث والنشور بعد الموت.

## إثبات صفات الله وأفعاله:

من أساليب القرآن في بيان صفات الله وأفعاله بيان استحقاق الله تبارك وتعالى لكل كمال في صفاته وأفعاله وتنزيهه عز وجل عن كل نقص وعيب وعجز، وما لا يليق من أحوال المخلوقين.

قال تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكُذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ﴾ [النحل: ٦٢].

وعموم الآية يفيد تنزيه الله تعالى عما يعتقد فيه المشركون من المعتقدات الباطلة التي كانوا عليها ويصفونها بها مما يخالف ما جاء به القرآن الكريم والسنة النبوية.

ومضمون الآية تنزيه الله عما لا يليق به ووصفه بكل كمال.

وقال تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتَ سِحْنًا وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ (٥٧) وَإِذَا بَشَّرَ أَحَدَهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (٥٨) يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٥٩) لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السُّوءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [النحل: ٥٧-٦٠].

ومن ذلك بيان بطلان عبادة غير الله لكونهم متصفين بالعجز والنقص وهذا ينافي الألوهية واستحقاق العبادة.

قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (٤١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (٤٢) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ٤١-٤٢].

## ضرب الأمثال العقلية في القرآن الكريم

اعتمد القرآن ضرب الأمثلة العقلية للرد على المخالفين والمنكرين، وهذا النوع من الاستدلال من الأدلة القوية في إقامة الحجة وقد نبه القرآن على ذلك في أكثر من آية:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾

﴿الزمر: ٢٧﴾.

فالقرآن به الأمثال الواضحة الدلالة لمن يتدبرها ويعقلها، وفيها غنى للناس عن غيرها من طرق المتكلمين وغاية ما ذكره المتكلمون قد جاء القرآن بخلاصته على أحسن وجه وأتمه وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾

﴿الشورى: ١٧﴾.

فالكتاب مصدر الحق، والميزان هو العدل الذي جاء به الكتاب فلا يظن ظان أن الحق في غيره وأن العدل عند سواه. ولمن أراد الحق والعدل أن يرجع إلى كتاب الله المنزل يتدبره ويتأمله.

وقال تعالى: ﴿فَلَا تَطْعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ ﴿الفرقان: ٥٢﴾.

والآية نص في الجهاد في الدعوة إلى الله وإحقاق الحق من الدين وإبطال الباطل من شبه المشبهين وضلالات الضالين وإنكار الجاحدين هو بالقرآن العظيم فيه بيان العقائد وأدلتها ورد الشبه عنها. (١)

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ ﴿الكهف: ٥٤﴾.

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ ﴿الفرقان: ٣٣﴾ والمراد: (ولا يأتيك يا محمد ﷺ هؤلاء المشركون وأمثالهم بكلام يحسنونه ويزخرفونه ويصورون به باطلاً أو اعتراضاً فاسداً إلا جئناك بالكلام الحق الذي يدفع باطلهم ويدحض شبهتهم وينقض اعتراضهم ويكون أحسن بياناً وأكمل تفصيلاً). (٢)

(١)(٢) منهج علماء الحديث والسنة د. مصطفى حلمي: ص ١٤٩-١٥٠ نقلاً عن تفسير الإمام الجزائري

السلفي عبد الحميد بن باديس رحمه الله ص ٤٢٩ ص ٤٢١.

ومن أمثلة ذلك: ضرب الأمثلة لبيان الفارق بين المؤمن الموحد والمشارك الكافر في صورة حسية يدركها العقل.

قال تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِّنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [الروم: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٢٩].

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِعَنَمَةٍ أَفْبَعْدُونَ﴾ [النحل: ٧١].

قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمِن رَّزْقِنَاهُ مَنًا رِّزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يَنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٧٥) وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾

[النحل: ٧٥-٧٦].

### القياس في القرآن الكريم:

ومن أساليب القرآن في الاستدلال العقلي استعمال الطرق القياسية في الاحتجاج على المخالفين.

ومن أمثلة ذلك: التسوية بين المتماثلين والتفرقة بين المختلفين: -

قال تعالى: ﴿أَفَجَعَلَ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾

[القلم: ٣٦].

قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءٌ مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجنائية: ٢١].

وقال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: ٥٠].

## الجدل والمجادلة في القرآن الكريم

الجدل لغة: شدة الخصومة والقدرة عليها، ومقابلة الحجة بالحجة وجداله: أى خاصمه.

والمجادلة: المناظرة والمخاصمة.

يقال: جادلتُ الرجل فجدلته جدلاً أى غلبته ورجل جدل إذا كان أقوى فى الخصام.

وفى الحديث النبوي: «ما أوتى الجدَل قومٌ إلا ضلوا».

والمراد بالجدل فى الحديث: الجدل على الباطل وطلب المغالبة به لا إظهار

الحق، فإن ذلك محمود، لقوله تعالى: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (١).

وبالنظر إلى ورود لفظ (الجدل) ومشتقاته فى القرآن الكريم فى مواضع عديدة يتبين أن الجدل منه ما هو مذموم ومنه ما هو جائز شرعاً وممدوح.

أما الجدل المشروع فما كان فى الدعوة إلى الله عز وجل والدفاع عن الحق. قال تعالى لنبية ﷺ: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]. وهذا الجدل المشروع شروطه:-

١- أنه للدفاع عن الحق الذى جاء به الشرع وللدعوة إليه.

٢- أنه موافق للكتاب والسنة ومستمد من أدلتها.

قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ﴾ ببيان الحق لمن يحتاج إلى معرفته بأدلة من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ﴿وَالْمَوْعِظَةُ الْحَسَنَةُ﴾ لمن يعص الله على علم فيذكر بالله وباليوم الآخر ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ فى حق أولئك المكابرين المعاندين أهل الكفر والشرك.

وفى المقابل فالجدل المذموم ما خالف ذلك، فهو جدل مخالف للحق، مخالف لأدلة الكتاب والسنة، لا يراد به وجه الله، ولا يستمد أدلته من الكتاب والسنة، يريد به صاحبه معارضة الحق الذى جاء به الشرع، من أجل الباطل الذى هو عليه.

فأما ذم الجدل في خلاف الحق الذي دل عليه الشرع:-

فقد قال تعالى: ﴿وَجَادِلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾

{غافر: ٥}.

وقال تعالى: ﴿وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا﴾ {الكهف: ٥٦}.

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنبِئٍ﴾ {الحج: ٨} و {لقمان: ٢٠}.

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾

{الحج: ٣}.

وقال تعالى: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ {غافر: ٤}.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ﴾ {غافر: ٣٥}.

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ﴾ {غافر: ٦٩}.

قال تعالى: ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ {الأنفال: ٦}.

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ {الأنعام: ٢٥}.

وأما ذم الجدل الذي لا يراد به وجه الله.

فقد قال تعالى: ﴿وَجَادِلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾

{غافر: ٥}.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ {النساء: ١٠٧}.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾

{الحج: ٣}.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لِيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾ {الأنعام: ١٢١}.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾ [غافر: ٥٦].

ويدخل في جملة الدلالة على مشروعية المجادلة بالحق ما ورد عن مجادلات رسل الله السابقين ومناظراتهم مع أقوامهم، وكذلك ما ورد في مجادلة النبي ﷺ للكفار والمشركين.

وقد ظن بعض المتكلمين أن ورود الأمر بالمجادلة دليل على مشروعية تعلم وممارسة علم الكلام، وهذا باطل، يعلم بطلانه من سنن الأنبياء والسابقين، فما عرفوا علم الكلام، ولا مارسوه، ولا يعلم عن نبي أنه كان فيلسوفاً أو متكلماً. ونبينا ﷺ في محاوراته ومراسلاته مع الكفار والمشركين لم يستعمل مصطلحات المتكلمين ولا طرقهم. فعلم من هديهم صلوات الله وسلامه عليهم أن الجدل المراد شرعاً بخلاف جدل المتكلمين وبعيداً عن مصطلحاتهم. ومن الآيات في جدل أنبياء الله ورسله: -

قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا﴾ [هود: ٣٢].

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبَشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾ [هود: ٧٤].

وقال تعالى: ﴿أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ﴾ [الأعراف: ٧١].

وأما الجدل في عهده ﷺ فوردت فيه آيات:

قال تعالى: ﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [النساء: ١٠٩].

قال تعالى: ﴿وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحج: ٦٨].

قال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ [المجادلة: ١].

وقال تعالى: ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ﴾

[الرعد: ١٣].

## حكم الجدال والمراء ولوفي الحق

أنزل الله تعالى كتابه وجعله حجة على عباده، فيه كفاية لمن يبحث عن الحق .  
فمن بحث عن الحق فيه وجده .  
قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ صَرَفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٤] .

فمن علم الحق بدليله من الكتاب أو السنة فليس له أن يزيد في الكلام، ويحاور في الخطاب، فالجدال هنا باب شر، والمراء في الدين بعد تبين الحق مذموم .  
وفي الحديث أن النبي ﷺ قال : « مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أَوْتُوا الْجِدَلَ » .  
وقرأه ﷺ الآية : ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٨] رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وسنده صحيح .

فالجدل بقصد إفحام الغير وتعجيزه، أو تنقيصه بالقدرح في كلامه ونسبته إلى القصور والجهل، جدال محظور، لا نجاة من إثمها إلا بالسكوت إذ الباعث عليها الترفع بإظهار العلم والفضل والتهجم على الغير مع ما في الممارسة من تهيج الغضب ودفع المخالف إلى الانتصار لكلامه بما يمكنه من حق أو باطل .<sup>(١)</sup>

قال بلال بن سعيد: إذا رأيت الرجل لجوجاً مमारياً معجباً برأيه فقد تمت خسارته . وقال ابن أبي ليلى: لا أمارى صاحبي، فإما أن أكذبه وإما أن أغضبه .

المراء: هو كل اعتراض على كلام الغير بإظهار خلل فيه، إما في اللفظ، وإما في المعنى، وإما في قصد المتكلم، وترك المراء بترك الإنكار والاعتراض . فإن كان الكلام حقاً فصدق به، وإن كان غير ذلك فبين بالشرع دليل بطلانه وكفى .

والخصومة لجاح في الكلام ليستوفى به مال أو حق مغصوب ولا تكون الخصومة مذمومة إلا إن كانت بالباطل أو بغير علم، كالذي يدافع قبل أن يعلم الحق في أي جانب، أو يمزج بخصومته كلمات مؤذية لا حاجة لها في نصره الحجة وإظهار الحق، أو يحمله على الخصومة محض العناد لقهر الخصم وكسره . وهذا هو مقصود اللدد والخصومة واللجاج وهو مذموم جداً .<sup>(٢)</sup>

(١) يراجع في ذلك تهذيب موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين) للقسامي مراجعة وتحقيق طائفة من الجامعيين: ص ٢٣-٢٤ .

(٢) يراجع المصدر السابق: ص ٢٣-٢٤ .

فأما المظلوم الذي ينصر حجته بطريق الشرع من غير لدد أو إسراف، وزيادة لحاج، ومن غير قصد عناد وإيذاء، ففعله ليس بحرام. ولكن الأولى تركه ما وجد إليه سبيلا، فإن ضبط اللسان في الخصومة على قدر الاعتدال متعذر. (١)

وفي الحديث: «إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم». رواه البخاري.

والخصومة توغر الصدر وتهيج الغضب، فينسى المتنازع سبب الخصومة ويبقى الحقد فيه، حتى يفرح كل واحد بمساءة صاحبه، ويحزن بمسرتة، ويطلق لسانه فيه، فمن دخل في الخصومة تعرض لهذه المحظورات.

وأقل ما في الخصومة تشويش خاطر. فينبغي ألا يفتح بابه إلا لضرورة، مع حفظ اللسان والقلب عن تبعات الخصومة، وذلك صعب جداً. (١)

إن الأولى والأصلح والمطلوب شرعاً استخدام طريقة القرآن في الحجاج والجدل والتعبير عن حقائق الإيمان. ولا يخفى أنها أفضل الطرق، وهي من أساليب الرسل في مناقشة الأمم الذين بعثوا إليهم. (٢) والأمثلة على ذلك كثيرة من نوح عليه السلام إلى محمد ﷺ:

فعن مجادلة نوح عليه السلام لقومه. قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا﴾ [هود: ٣٢].

وعن مجادلة إبراهيم عليه السلام لقومه قال تعالى: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ﴾ [الأنعام: ٨٠-٨٣].

وفصل القرآن مناظرة إبراهيم عليه السلام مع النمرود.

إن الدارس للقرآن الكريم المتدبر لآياته يلتقى مع مناظرات متعددة للكفار والاحتجاج عليهم بالأدلة العقلية الكافية الشافية. (٣)

وقد أمر الله تعالى بالجدل بالتي هي أحسن. قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت: ٤٦]. وقال سبحانه: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

(١) يراجع المصدر السابق: ص ٢٣-٢٤.

(٢) انظر النبوات لابن تيمية: ص ١٦١.

(٣) انظر منهج علماء الحديث والسنة: ص ١٧٠-١٧١.

## أمثلة للأدلة العقلية في الحديث النبوي

روى الإمام أحمد رحمه الله تعالى في مسنده عن بشير بن جحاش قال: إن رسول الله ﷺ بصق يوماً في كفه فوضع عليها إصبعه. قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: بني آدم أيّ تعجزني وقد خلقتك مثل هذه حتى إذا سويتك وعدلتك مشيت بين برديك وللأرض منك وئيد فجمعت ومنعت حتى إذا بلغت التراقي قلت: أتصدق وأني أوان الصدقة». (١)

وروى ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن العاص بن وائل أخذ عظماً من البطحاء ففتنه بيده ثم قال لرسول الله ﷺ: أحيى الله هذا بعد ما أرى؟ فقال رسول الله ﷺ: نعم يميتك الله ثم يحييك ثم يدخلك جهنم. قال: ونزلت الآيات من آخر يس. (٢)

قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا سيخلو به ربه كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر».

فسئل: كيف يا رسول الله ونحن كثير.

فقال: سأنبئك بمثل ذلك في آلاء الله هذا القمر من آيات الله كلكم يراه مخلياً به. فالله أعظم.

والتشبيه هنا تشبيه الرؤية بالرؤية لا للمرئي بالمرئي فإن الله تعالى ليس كمثل شئ.

\* حوار النبي ﷺ مع نصارى وفد نجران:-

وردت في كتب السيرة والتفسير قصة المباحلة المشهورة بين النبي ﷺ ووفد نصارى نجران. وقد أورد الطبري في تفسيره بعضاً من هذا الحوار نذكره:-

قال لهم النبي ﷺ: أستم تعلمون أنه لا يكون ولد إلا وهو يشبه أباه؟ قالوا: نعم.

(١) رواه أحمد وابن ماجه وله شاهد في الصحيحين عن أبي هريرة وهو حديث حسن إن شاء الله.

(٢) قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

قال: أَلستم تعلمون أن ربنا حي لا يموت وأن عيسى يأتي عليه الفناء؟ قالوا: بلى .  
 قال: أَلستم تعلمون أن ربنا قيم على كل شيء يكلؤه ويحفظه ويرزقه؟ قالوا: بلى .  
 قال: فهل يملك عيسى من ذلك شيئاً؟ قالوا: لا قال: أَلستم تعلمون أن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء؟ قالوا: بلى .  
 قال: فهل يعلم عيسى من ذلك شيئاً إلا ما علم؟  
 قالوا: لا .

قال: فإن ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء .  
 قال: أَلستم تعلمون أن ربنا لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يحدث الحدث؟ قالوا: بلى .  
 قال: أَلستم تعلمون أن عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة، ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها؟ ثم غذى كما يتغذى الصبي ثم كان يطعم الطعام ويشرب الشراب ويحدث الحدث؟ قالوا: بلى .  
 قال: فكيف يكون هذا كما زعمتم؟ .

قال: فعرفوا ثم أبوا إلا جحوداً. فأنزل الله تعالى: ﴿آلَمَ ۙ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ {آل عمران}. (١)

### حجية أحاديث الأحاد في العقائد والأحكام

ومن أساليب المتكلمين التي يبررون لأنفسهم بها نبذ الكتاب والسنة زعمهم أن حديث الأحاد لا يحتج به في العقائد، فيسقطون السنة النبوية من حساباتهم في إثبات أمور العقيدة والتوحيد، إذ إن أكثر السنة النبوية أحاد، والمتواتر منها بالنسبة إلى الأحاد قليل .  
 وحجتهم أن الأحاديث المتواترة تفيد القطع واليقين فيحتج بها، وأحاديث الأحاد -على كثرتها- ظنية تفيد العلم الظني لا اليقيني . فيعمل بها في الأحكام لا في العقائد، إذ إن الشرع نهى عن اتباع الظن والأخذ به .

(١) منهج علماء الحديث والسنة في أصول الدين: د. مصطفى حلمي ط. دار الدعوة الإسكندرية: ص ٣٦-٣٧ .  
 نقلاً عن الواحدي في أسباب النزول ص ٦١-٦٢ ط. الحلبي ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م.

وحديث الأحاد هو كل حديث لم يبلغ حد التواتر، حتى وإن كان مستفيضاً، حتى وإن كان صحيحاً مما اتفق عليه البخارى ومسلم وتلقته الأمة عنهما بالقبول.

والمحصلة: نبد أكثر السنة النبوية وقصر الاحتجاج فى أغلب مسائل العقيدة والتوحيد على القرآن وحده مع تقديم أقوال المتكلمين وآرائهم على الآيات عند تعارضهما فى الأذهان مستخدمين التأويل لصرف المعانى عن ظاهرها لتوافق مذاهب المتكلمين.

والصواب: أن أحاديث الأحاد الصحيحة حجة بنفسها فى العقائد والأحكام لا يفرق بينها وبين الأحاديث المتواترة وعلى هذا جرى علماء الأمة جيلاً بعد جيل<sup>(١)</sup> والتفريق بين الأحاديث المتواترة والأحاد فى الاحتجاج فى العقائد باطل من وجوه منها:-

١- أن هذا القول قول مبتدع محدث، لا أصل له فى الشريعة، لم يعرفه السلف الصالح رضوان الله عليهم، ولم ينقل عن أحد منهم، ولا خطر لهم على بال، (\*) وفى الحديث: «من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» متفق عليه، وقوله صلى الله عليه وسلم «إياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة فى النار». رواه أحمد وأصحاب السنن والبيهقى. والجملة الأخيرة منه عند النسائى والبيهقى بإسناد صحيح.

وإنما قال هذه المقالة جماعة من علماء الكلام، وأخذ بها من تأثر بهم من علماء الأصول من المتأخرين، وتلقاها عنهم بعض المعاصرين بالتسليم دون مناقشة أو برهان.

وما هكذا شأن العقيدة خاصة ممن يشترطون لثبوت مسائلها بثبوتها بأدلة قطعية عندهم.

(١) راجع فى ذلك للأهمية:

- الحديث حجة بنفسه فى العقائد والأحكام، ووجوب الأخذ بأحاديث الأحاد فى العقيدة والرد على شبه

المخالفين، كلاهما للشيخ الألبانى رحمه الله. الفتاوى لابن تيمية: ج١٨ / ١٦، ج٢٠٧ / ٢٥٧.

- الصواعق المرسله على الجهمية المعطلة: لابن القيم ج٢ / ٣٥٧-٣٧٩، ج٢ / ٤٢٠-٤٣٤.

- إحكام الأحكام لابن حزم: ج١ / ١١٩-١٣٣.

- الرسالة للشافعي: ص٤٠١-٤٣١.

(\*) رد خبر الأحاد فى العقائد مذهب المعتزلة وتابعهم عليه الأشاعرة والماتريدية.

وأعجب من ذلك وأغرب ادعاء اتفاق الأصوليين على الأخذ بذلك، وهي دعوى باطلة، وجرأة زائدة، فكيف يكون الاتفاق على ذلك وقد نص على أن خبر الأحاد يفيد العلم - كما يفيد العمل - الإمام مالك والشافعي وأصحاب أبي حنيفة وداود بن علي وابن حزم<sup>(١)</sup> والحسين بن علي الكرابيسي والحارث بن أسد المحاسبي وغيرهم.<sup>(٢)</sup>

قال ابن خويز منداد في كتاب (أصول الفقه) وقد ذكر خبر الواحد الذي لم يروه إلا الواحد والاثنان: ويقع بهذا الضرب أيضاً العلم ضروري، نص على ذلك مالك، وقال أحمد في حديث الرؤية: (نعلم أنها حق، ونقطع على العلم بها) وقال القاضي أبو يعلى في أول المخبر: (خبر الواحد يوجب العلم إذا صح سنده ولم تختلف الرواية فيه، وتلقته الأمة بالقبول، وأصحابنا يطلقون القول فيه، وأنه يوجب العلم، وإن لم تتلقه الأمة بالقبول).

قال: (والمذهب على ما حكيت لا غير).

وقال بذلك أبو اسحاق الشيرازي في كتبه في الأصول كالتبصرة وشرح اللمع وغيرهما، ولفظه في الشرح: (وخبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول يوجب العلم والعمل، سواء عمل به الكل أو البعض) ولم يحك فيه نزاعاً بين أصحاب الشافعي وحكى هذا القول القاضي عبد الوهاب من المالكية عن جماعة من الفقهاء. وذكره أبو بكر الرازي في كتابه أصول الفقه.<sup>(٣)</sup>

٢- أن الشرع دل على أخذ العلم من الأفراد والجماعات الناقلين له قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢]. والطائفة تقع على الواحد فما فوقه، والإنذار إعلام بما يفيد العلم. والتبليغ لأمر الشرع من عقيدة وغيرها بلا فرق.

(١) راجع إحكام الأحكام لابن حزم ج١ / ١١٩-١٣٨ حيث ذكر في الاحتجاج على ذلك أدلة كثيرة قوية.

(٢) وجوب الأخذ بحديث الأحاد في العقيدة للألباني: ط. دار العلم منها: ص ٢٣.

(٣) المصدر السابق: ص ٢٣-٢٥.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات: ٦]. وفي قراءة: ﴿فتبينوا﴾. ومفهوم الآية قبول خبر الواحد الثقة.

وفي الأحاديث الحث على تبليغ ما أخبر به النبي ﷺ، فلازم ذلك قبول خبره من الواحد طالما أنه من طريق صحيح. (١)

فإن قيل: أحاديث الأحاد تفيد الظن والشرع نهى عن اتباع الظن. (٢) فجوابه: -

هذا في الظن المرجوح الذي لا يفيد علماً. فيكون قائماً على الهوى مخالف للشرع. وليست أحاديث الأحاد من ذلك في شيء. بل هي من الشرع.

ولازم ذلك رد العمل بأحاديث الأحاد في الأحكام والمعاملات إذا اعتبرناها من الظن المنهى عن الأخذ به شرعاً. وهذا باطل غاية البطلان.

وعلى هذا نقول: -

أين الدليل الذي يعتد به على ترك العمل بحديث الأحاد في العقائد والتوحيد. هل ثبت ذلك بأية قرآنية أو حديث نبوي صحيح.

وهل ثبت عن الصحابة رضِيَ اللهُ عنهم العمل بذلك أو التصريح به.

وهل ثبت عن أحد من الصحابة رد ما أخبره به أحدهم من أحاديث نبوية تضمن أمور عقائدية... وهل فعل ذلك أحد من أئمة التابعين ومن بعدهم.

إننا نجزم بلا شك أنه ما من أحد من الصحابة أو التابعين أو أئمة الهدى رد خبر الواحد الذي يتضمن أموراً عقائدية، بل كانوا يتقبلون الخبر بالقبول واليقين طالما ثبت صحته، كما في أحاديث الرؤية وتكليم الله وندائه ونزوله في ثلث الليل الأخير كل ليلة... إلخ.

٣- أن النبي ﷺ قال «بلغوا عني» متفق عليه ومن بلغ عنه فقد أقام الحجة على المبلغ، وحصل له بذلك العلم، وادعاء أن العلم والحجة لا تقوم بإخبار المبلغ، ما كان للأمر بذلك معنى.

(١) والآيات والأحاديث الموجبة للأخذ بما جاء به القرآن الكريم والسنة الشريفة عامة وشاملة للمتواتر والأحاد بلا فرق، وفي العقائد والأحكام بلا فرق. وكفى بها حجة ظاهرة لا سبيل إلى دفعها إلا الهوى ومناصرة المتكلمين. وانظر في ذلك كتاب (الرسالة) للإمام الشافعي.

(٢) قال تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً﴾ [النجم: ٢٨].

وقد كان رسول الله ﷺ يرسل الواحد من أصحابه يبلغ عنه فتقوم الحجة بذلك على من بلغه. (١)

وقد أرسل ﷺ علياً ومعاذاً وأبا موسى في أوقات مختلفة إلى اليمن يبلغون عنه ويعلمون الناس الدين. وأهم شيء في الدين إنما هو العقيدة.

وهذا دليل قاطع على أن العقيدة تثبت بخير الواحد وتقوم به الحجة على الناس وإلا ما اكتفى ﷺ بإرسال الواحد بمفرده. ولأرسل معه من يتواتر به النقل.

٤- أن القول المذكور يستلزم اختلاف المسلمين فيما يجب عليهم اعتقاده فيكون الحديث حجة في حق الصحابي باطلاً مردوداً في حق من بعده فالصحابي الذي سمع من النبي ﷺ حصل له اليقين بما سمع واعتقد ذلك عن يقين.

ومن جاء بعده فلم يقبل قول هذا الصحابي لكونه حديث آحاد لا يرى هذا الاعتقاد ويرده. وما ثبت تواتراً في زمن التابعين ولم يثبت بعدهم متواتراً اختلف الاعتقاد بين الزمنين. . وهكذا.

ومن لوازم ذلك أن حديث الصحابي كان صدقاً وحجة في حق الصحابي، ويعد باطلاً ومردوداً في أزمان بعده.

ومن لوازم ذلك رد كل ما رواه الصحابة مباشرة عن النبي ﷺ في أمور الاعتقاد إذا لم ينقل عنهم متواتراً ويبقى إثبات ما كان فيها من اعتقادات أخذها الصحابة من النبي ﷺ كأفراد على وصول عقول المتكلمين إلى إدراكها وإثباتها.

٥- أن القول المذكور من لوازمه أن لا يكتفى بإخبار الواحد من علماء الحديث بأن هذا الحديث متواتر إذ إنه خبره عن تواتر الحديث خبر آحاد لا يحتج به. أي أنه لا يحتج إلا بما شهد بتواتره جميع الناس لا واحد أو قلة من أهل الاختصاص. ومثل هذا لا يتيسر لكل أحد أن يثبت شهادة الجميع بتواتر الحديث إما لنقص العلم عنده أو لعدم الاطلاع على كتب أكثر أهل الحديث.

(١) وانظر الرسالة للشافعي في مبعوثيه ﷺ : ص ٤١٤-٤١٩ .

ويزيد الأمر غرابة أن هؤلاء المتكلمين أبعد الناس عن تعلم الحديث ومطالعة كتب علمائه، وبضاعتهم فيه مزجاة ويفوتهم من أقوال المحدثين الكثير والكثير. (١)

وأعجب من ذلك ذمهم للتقليد في أمور العقيدة، وهم في علم الحديث لا يملكون إلا التقليد فيه.

٦- فإن قيل: حديث الأحاد يفيد الظن، ويحتمل الخطأ فيه، عمداً أو سهواً، أو بعدم ضبط في النقل ونحوه. وما كان هذا صفته لا تؤخذ منه عقائد. فوجب ترك العمل بحديث الأحاد لذلك. والجواب: هذا مردود من وجهين:-

الأول: إجماع السلف على قبول أحاديث الأحاد في العقائد وإثبات صفات الرب تعالى والأمور الغيبية العلمية بها.

الثاني: هذا الادعاء يوجب أيضاً طرح العمل بأحاديث الأحاد في الأحكام والفرعيات لنفس العلة وهذا باطل. فإن الذين نقلوا هذا هم الذين نقلوا هذا، فإن جاز عليهم الخطأ والكذب في نقلها، جاز عليهم ذلك في نقل غيرها، وحيث فلا وثوق بشيء نقل لنا عن نبياء ﷺ وهذا انسلاخ من الدين.

قال ابن القيم رحمه الله: ولا يمتنع إثبات الأسماء والصفات بها، كما لا يمتنع إثبات الأحكام الطلية بها، فما الفرق بين باب الطلب وباب الخبر، بحيث يحتج بها في أحدهما دون الآخر وهذا التفريق باطل بإجماع الأمة، فإنها لم تنزل تحتج بهذه الأحاديث في الخبريات، كما تحتج بها في الطليات العمليات، ولا سيما الأحكام العملية تتضمن الخبر عن الله بأنه شرع كذا، وأوجبه ورضيه ديناً، فشرعه ودينه راجع إلى أسمائه وصفاته، ولم تنزل الصحابة والتابعون وتابعوهم، وأهل الحديث والسنة يحتجون بهذه الأخبار في مسائل الصفات والقدر والأسماء والأحكام، ولم ينقل عن أحد منهم البتة أنه جوز الاحتجاج بها في مسائل الأحكام دون الأخبار عن الله وأسمائه وصفاته، فأين سلف المفرقين بين البابين؟.

(١) ويدل على شدة جهلهم بالحديث المتواتر إنكار تواتر بعض الأحاديث المعلوم تواترها عند علماء الحديث والمشتغلين به كنزول الله تعالى إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من كل ليلة وكرؤية المؤمنين لربهم في الجنة يوم القيامة ونزول المسيح عليه السلام في آخر الزمان وظهور الدجال... إلخ.

نعم سلفهم بعض متأخري المتكلمين الذين لا عناية لهم بما جاء عن الله ورسوله وأصحابه، بل يصدون القلوب عن الاهتداء في هذا الباب بالكتاب والسنة وأقوال الصحابة، ويحيلون على آراء المتكلمين وقواعد المتكلمين، فهم الذين يعرف عنهم التفريق بين الأمرين، وادعوا الإجماع على هذا التفريق، ولا يحفظ ما جعلوه إجماعاً عن إمام من أئمة المسلمين، ولا عن أحد من الصحابة والتابعين، وهذا عادة أهل الكلام، يحكون الإجماع على ما لم يقله أحد من أئمة المسلمين، بل أئمة المسلمين على خلافه. ١. هـ. (١)

٧- أن مآل الأخذ بهذا القول هو الاقتصار في العقيدة على ما جاء به القرآن وترك العمل في العقائد بالأحاديث النبوية، وعدم الاعتداد بما جاء فيها من الأمور الغيبية.

فإن أكثر الأحاديث النبوية آحاد، والمتواتر منها قليل بالنسبة إلى الآحاد، والمتواتر اللفظي منها أقل، والمتواتر المعنوي إنما تختلف ألفاظه وتفاوت. والناس يختلفون في إثبات هذا المتواتر ويتفاوتون.

ويشهد لذلك أن هؤلاء المتكلمين لا تجدهم يثبتون أمراً عقائدياً مستديلاً بثبوته متواتراً عند علماء الحديث، فهم أبعد الناس عن الأخذ بذلك، لأنهم أجهل الناس بالأحاديث وطرقها، وأزهد الناس في الاشتغال بها وطلبها. ولذلك تراهم يحكمون على أحاديث أنها من الآحاد وهي عند أهل العلم بالحديث من المتواتر.

وأغرب من ذلك وأعجب ادعاء بعضهم أنه لا حاجة إلى السنة في أمور العقيدة، وأنه لم يثبت في أحاديث الآحاد ما تنفرد السنة به في أمور العقيدة، والأعجب تصديق البعض ذلك والأخذ به. يقول أحدهم: وليس في العقائد ما انفرد الحديث بإثباته. (٢) ويقول في موضع آخر: وقد قرر مؤلف المقاصد: أن جميع أحاديث أسرار الساعة آحادية. (٣) فهذا بوضوح ما انتهى به الأمر بالنسبة لهؤلاء القائلين بعدم الأخذ بأحاديث الآحاد في العقائد أن نبذوا السنة النبوية كلها من الناحية العملية.

(١) الصواعق المرسله لابن القيم: ج ٢ / ٤١٢-٤١٧ .

(٢) وجوب الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة للألباني: ص ٣٥. نقلاً عن الإسلام عقيدة وشريعة للشيخ

محمود شلتوت ص ٤٣١ .

(٣) المصدر السابق: ص ٣٦ نقلاً عن الشيخ شلتوت ص ٦١ .

٨- أن كثيراً من العقائد الإسلامية التي تلقتها الأمة عن السلف، وتلقت أحاديثها بالقبول، هي من الآحاد، وترك العمل بأحاديث الآحاد ترك لهذه العقائد الإسلامية الثابتة، وتخطئة للسلف في اعتقادها واتخاذها ديناً، وأن يكون اسلامنا غير إسلامهم، وعقائداً غير عقائدهم. (١)

ومن أمثلة هذه العقائد السلفية:-

- ١- أفضلية نبينا محمد ﷺ على جميع الأنبياء والرسل.
- ٢- إثبات الشفاعة للنبي ﷺ العظمى في المحشر، وشفاعته لأهل الكبائر من أمته.
- ٣- معجزاته ﷺ المادية ما عدا القرآن الكريم.
- ٤- ما ورد في الأحاديث عن بدء الخلق وصفة الملائكة والجن، وصفة الجنة والنار، وأنهما مخلوقتان الآن.
- ٥- القطع بأن العشرة المبشرين بالجنة من أهل الجنة.
- ٦- الإيمان بالميزان ذى الكفتين يوم القيامة.
- ٧- الإيمان بحوضه ﷺ الكوثر. وأن من شرب منه لم يظماً أبداً.
- ٨- الإيمان بالقلم وأنه كتب كل شيء.
- ٩- الإيمان بأن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء.
- ١٠- الإيمان بأشراط الساعة: كخروج المهدي، وظهور الدجال، ونزول عيسى عليه السلام... إلخ.
- ١١- الإيمان بعروجه ﷺ إلى السموات العلى ورؤيته لآيات الله تعالى الكبرى فيها.

(١) راجع في ذلك (وجوب الأخذ بأحاديث الآحاد في العقيدة) للشيخ الألباني رحمه الله: ص ٣٦-٣٩.

- وراجع لمزيد من التوسع في هذه القضية:-

- أخبار الآحاد في الحديث النبوي للشيخ عبد الله بن جبرين.

- أصل الاعتقاد: دكتور عمر الأشقر.

- الأدلة والشواهد على وجوب الأخذ بخبر الواحد في الأحكام والعقائد: لسليم الهلالي.

وكما كان السلف الصالح لا يقدمون الاجتهادات العقلية على الأدلة الشرعية في مسائل العقيدة والتوحيد فقد كانوا كذلك لا يقدمون الاجتهادات الفقهية على الأدلة الشرعية في مسائل الفقه وقضاياها، لذا فقد كان منهجهم في ذلك اتباع الأحكام الفقهية المبنية على الكتاب والسنة وترك ما عداها من آراء الفقهاء المخالفة للكتاب والسنة. وهم في ذلك كله يرون العذر للمجتهدين المخالفين، لا يجعلون رد أقوالهم قدحاً في إمامتهم وعلمهم وصلاحتهم،<sup>(١)</sup> ولكن لا يرون عدراً لمن قلد الأئمة في آرائهم التي اتضح بجلاء مخالفتها للكتاب والسنة، ولم يكن من منهج السلف التقيد بإمام معين في كل فتاويه. والاجتهاد عندهم واجب علي من قدر عليه واستكمل أدواته. {فالعامي له أن يقلد من غلب على ظنه أنه من أهل العلم والدين أما العالم فعليه أن يأخذ بالأرجح} لذا ينبغي {أن يدرس ما دونه الأئمة الأربعة وغيرهم دون تعصب لرأي أحد منهم}.<sup>(٢)</sup>

والأئمة أنفسهم حثوا تلاميذهم وأتباعهم على تقديم الكتاب والسنة على اجتهاداتهم وآرائهم إذا تبينت المخالفة.

فعن الشافعي قال: «إذا صح الحديث فهو مذهبي وإذا رأيتم كلامي يخالف الحديث فاعملوا بالحديث واضربوا بكلامي الحائط».

وعن الإمام أحمد: «ليس لأحد مع الله ورسوله كلام».

وعن الإمام مالك: «ما من أحد إلا ومأخوذ من كلامه ومردود عليه إلا رسول الله ﷺ».

وعن أبي حنيفة: «لا ينبغي لمن لم يعرف دليلى أن يفتي بكلامي».

(١) انظر رفع الملام عن الأئمة الأعلام لابن تيمية.

(٢) المرجع السابق.

## فائدة:

تنقسم الأحكام الشرعية إلى :-

\* أحكام قطعية يقينية، وهي بدورها تنقسم إلى :

أ- أحكام قطعية لا يجهلها أحد من المسلمين لاستفاضة العلم بها بين العامة والخاصة، كوجوب صوم رمضان ووجوب الصلوات الخمس وحرمة الخمر وحرمة الزنا ووجوب الغسل من الجنابة، وهذه الأحكام تسمى المعلوم من الدين بالضرورة، فمن خالف هذا المعلوم من الدين بالضرورة يكفر كفر عين.

ب- أحكام قطعية لا يعلمها إلا الخاصة من العلماء، ويجهلها الكثير من العامة، كحرمة زواج المرأة وخالتها، أو المرأة وعمتها، وأن للجدة السدس في الميراث، وأن القاتل عمدًا لا يرث، وهذه الأحكام مع كونها قطعية فمن يخالفها لا يكفر حتى تقام عليه الحجة التي يكفر مخالفتها.

نقل الإمام النووي في شرحه على صحيح مسلم عن الإمام الخطابي أنه قال بعد ذكره أن مانعي الزكاة في عهد أبي بكر رضي الله عنه هم أهل بغي: فإن قيل كيف تأولت أمر الطائفة التي منعت الزكاة على الوجه الذي ذكرت وجعلتهم أهل بغي؟ وهل إذا أنكرت طائفة من المسلمين في زماننا فرض الزكاة وامتنعوا عن أدائها يكون حكمهم حكم أهل البغي؟ قلنا: لا، فإن من أنكر فرض الزكاة في هذه الأزمان كان كافراً بإجماع المسلمين، والفرق بين هؤلاء وأولئك أنهم إنما عذروا لأسباب وأمور لا يحدث مثلها في هذا الزمان، منها قرب العهد بزمان الشريعة الذي كان يقع فيه تبديل الأحكام بالنسخ، ومنها أن القوم كانوا جهالاً بأمور الدين، وكان عهدهم بالإسلام قريباً، فدخلتهم الشبهة فعذروا فأما اليوم وقد شاع دين الإسلام واستفاض في المسلمين علم وجوب الزكاة حتى عرفها الخاص والعام واشترك فيه العالم والجاهل، فلا يعذر أحد بتأويل يتأوله في إنكارها. وكذلك الأمر في كل من أنكر شيئاً مما أجمعت الأمة عليه من أمور الدين إذا كان علمه منتشرًا كالصلوات الخمس، وصوم شهر رمضان، والاعتسال من الجنابة، وتحريم الزنا والخمر، ونكاح ذوات المحارم، ونحوها من الأحكام إلا أن يكون رجلاً

حديث عهد بالإسلام ولا يعرف حدوده فإنه إذا أنكر شيئاً منها جهلاً به لم يكفر وكان سبيله سبيل أولئك القوم في بقاء اسم الدين عليه .

أما ما كان الإجماع فيه معلوماً من طريق علم الخاصة كتحریم زواج المرأة على عمتها وخالتها وأن القاتل عمداً لا يرث، وأن للجدّة السدس، وما أشبه ذلك من الأحكام فإن من أنكرها لا يكفر، بل يعذر فيها لعدم استفاضة علمها في العامة . ا.هـ . كلام الخطابي رحمه الله .

### \*\* أحكام ظنية غير قطعية:

والأحكام الظنية التي تلقتها الأمة بالقبول من يخالفها يعد مبتدعاً يعامل معاملة المبتدعين في الدين .

ومن خالف الحديث الصحيح فهو مخطئٌ ينكر عليه، ولا يعتد بخلافه لكونه من الخلاف غير السائغ وليس له الدليل المعتبر بل هو مخالف لما صح من الدليل .



### ٣- رفض التأويل الكلامي

رفض التأويل الكلامي من السمات البارزة للمنهج السلفي في الاستدلال، وهذا يعنى الأخذ بظاهر النصوص في مسائل الاعتقاد.

وظاهر النصوص ما يتبادر منها من المعانى بحسب ما تضاف إليه وما يحتف بها من القرائن.

والواجب فى النصوص إجراؤها على ظاهرها بدون تحريف.

فإذا كان الله تعالى أنزله باللسان العربى من أجل عقله وفهمه، وأمرنا باتباعه، وجب علينا إجراؤه على ظاهره بمقتضى ذلك اللسان العربى، إلا أن تمنع منه حقيقة شرعية.

ولا فرق فى هذا بين نصوص الصفات وغيرها، بل قد يكون وجوب التزام الظاهر فى نصوص الصفات أولى وأظهر، لأن مدلولها توقيفى محض لا مجال للعقول فى تفاصيله. (١)

قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٦) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ الشعراء: ١٩٢-١٩٥. وقال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ الزخرف: ٣. وقال تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ الأعراف: ٣.

وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها على أن نصوص الصفات تجرى على ظاهرها اللائق بالله عز وجل من غير تحريف، وأن ظاهرها لا يقتضى تمثيل الخالق بال مخلوق. فاتفقوا على أن لله تعالى حياة وعلماً وقدرة وسمعاً وبصراً حقيقة، وأنه مستو على عرشه حقيقة، وأنه يحب ويرضى، ويكره ويغضب حقيقة، وأن له وجهاً ويدين حقيقة لقوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ الفرقان: ٥٨. وقوله: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ البقرة: ٢٩. ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ المائدة: ١٢٠، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ الشورى: ١١. وقوله: ﴿الرَّحْمَنُ

(١) انظر (تقريب التدمرية) للشيخ محمد بن صالح العثيمين. ط. مكتبة السنة القاهرة ط. الأولى ١٤١٣هـ-١٩٩٢م: ص ٥٥ بتصرف يسير.

عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿طه: ٥﴾ وقوله: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤]، ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩]، ﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاتِهِمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٦] ﴿وَعَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ﴾ [النساء: ٩٣] وقوله: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]، ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] فأجروا هذه النصوص وغيرها من نصوص الصفات على ظاهرها، وقالوا: إنه مراد على الوجه اللائق بالله تعالى بلا تحريف ولا تمثيل.

### فساد ترك الأخذ بظاهر النصوص في العقائد:

والذين يجعلون ظاهر النصوص معنى فاسداً فينكرونه يكون خطوهم على وجهين:-

الأول: أن يفسروا النص بمعنى فاسد لا يدل عليه اللفظ فينكرونه لذلك، ويقولون: إن ظاهره غير مراد.

مثال ذلك: قوله تعالى في الحديث القدسي: «يا ابن آدم مرضت فلم تعدني، يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني، يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني»<sup>(١)</sup>.

قالوا: فظاهر الحديث أن الله يمرض ويجوع ويعطش وهذا معنى فاسد فيكون غير مراد.

فقول: لو أعطيتم النص حقه لتبين لكم أن هذا المعنى الفاسد ليس ظاهر اللفظ، لأن سياق الحديث يمنع ذلك فقد جاء مفسراً بقول الله تعالى في الحديث نفسه: «أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده، أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه، واستسقاك عبدي فلان فلم تسقه». وهذا صريح في أن الله سبحانه لم يمرض ولم يجوع ولم يعطش وإنما حصل المرض والجوع والعطش من عبد من عباده.<sup>(٢)</sup>

(١) رواه مسلم في صحيحه (٤٣/٢٥٦٩) كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل عيادة المريض من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) تقريب التدمرية للشيخ العثيمين: ص ٥٧-٥٨.

الوجه الثاني: أن يفسروا اللفظ بمعنى صحيح موافق لظاهره لكن يردونه لاعتقادهم أنه باطل وليس بباطل .

مثال ذلك: قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ {طه: ٥} .

قالوا: فظاهر الآية أن الله علا على العرش، والعرش محدود، فيلزم أن يكون الله سبحانه محدوداً، وهذا معنى فاسد فيكون غير مراد. (١)

فنقول: إن علو الله تعالى على عرشه - وإن كان العرش محدوداً- لا يستلزم معنى فاسداً فإن الله تعالى قد علا على عرشه علواً يليق بجلاله وعظمته ولا يماثل علو المخلوق علي المخلوق، ولا يلزم منه أن يكون الله محدوداً وهو علو يختص بالعرش والعرش أعلى المخلوقات، فيكون الله عالياً على كل شيء، وهذا من كماله وكمال صفاته فكيف يكون معنى فاسداً غير مراد؟! (٢)

وقد يجتمع الخطأ من الوجهين في مثال واحد، مثل قوله ﷺ: «إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء» .

فقالوا على الوجه الأول: ظاهر الحديث أن قلوب بني آدم بين أصابع الرحمن فيلزم منه المباشرة والمماسة وأن تكون أصابع الله سبحانه داخل أجوافنا، وهذا معنى فاسد فيكون غير مراد .

وقالوا: على الوجه الثاني: ظاهر الحديث أن لله أصابع حقيقية والأصابع جوارح وهذا معنى فاسد فيكون غير مراد .

فنقول على الوجه الأول:

إن كون قلوب بني آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن حقيقة لا يلزم منه المباشرة والمماسة، ولا أن تكون أصابع الله عز وجل داخل أجوافنا، ألا ترى إلى

(١) أو يتوهمون أنه استواء الله تعالى على العرش كاستواء الإنسان على ظهر الدابة أو السفينة فيكون الله تعالى محتاجاً إلي العرش في استوائه كاحتياج الإنسان إلى الدابة أو السفينة فينكرون ظاهر اللفظ لذلك . وهذا -كما بين الشيخ- ظن فاسد فاستواء الله ليس كاستواء المخلوقين بل هو استواء خاص أضافه إلى نفسه عز وجل يليق به كسائر صفاته وأفعاله . فإن الله تعالى لا يماثل المخلوقين .

(٢) تقريب التدمرية: ص ٦٠-٦١ .

قوله تعالى: ﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٦٤] فإن السحاب لا يياشر السماء ولا الأرض ولا يماسهما.

ويقال: ستره المصلى بين يديه وليست مباشرة له ولا مماسة له.

فإذا كانت البينة لا تستلزم المباشرة والمماسة فيما بين المخلوقات فكيف بالبينة فيما بين المخلوق والخالق الذي وسع كرسيه السموات والأرض وهو بكل شيء محيط، وقد دل السمع والعقل على أن الله تعالى بائن من خلقه، ولا يحل في شيء من خلقه ولا يحل فيه شيء من خلقه وأجمع السلف على ذلك.

ونقول على الوجه الثاني:

إن ثبوت الأصابع الحقيقية لله تعالى لا يستلزم معنى فاسداً وحيثئذ يكون مراداً قطعاً، فإن لله تعالى أصابع حقيقية تليق بالله عز وجل ولا تماثل أصابع المخلوقين، وفي صحيح البخارى ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله صلوات الله عليه فقال: يا محمد إنا نجد أن الله يجعل السموات على إصبع والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلائق على إصبع، فيقول: أنا الملك. فضحك النبي صلوات الله عليه حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحبر. ثم قرأ رسول الله صلوات الله عليه ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧] هذا لفظ البخارى فى تفسير سورة الزمر. (١)

فأى معنى فاسد يلزم من ظاهر النص حتى يقال أنه غير مراد؟؟ (٢)

فإن قيل إجراء النصوص على ظاهرها فى باب الصفات فيه تشبيه للخالق بالمخلوق فلزم ترك الظاهر وإثبات معانى يقبلها العقل وتتجنب التشبيه.

والجواب: هذا باطل من وجوه. فتوهم المشابهة والمماثلة ثم نفى ذلك يتضمن

عدة محاذير منها:-

(١) متفق عليه. رواه البخارى فى صحيحه (رقم ٤٨١١، ٧٤١٤، ٧٤١٥، ٧٤٥١، ٧٥١٣) كتاب التفسير وكتاب التوحيد. وأخرجه مسلم (٢٧٨٦/١٩-٢٢) كتاب صفة القيامة والجنة والنار. والنسائي فى تفسيره

رقم ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢،

(٢) تقريب التدمرية: ص ٦٢-٦٣.

الأول: أنه فهم من النصوص صفات تماثل صفات المخلوقين، وظن أن ذلك هو مدلول النص، وهذا فهم خاطئ، فإن الصفة التي دلت عليها النصوص تناسب موصوفها وتليق به.

وتمثيل الخالق بالمخلوق كفر وضلال لأنه تكذيب لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] ولا يمكن أن يكون ظاهر النصوص كفر وضلال. لقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سَبِيلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [النساء: ٢٦] وقوله: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [النساء: ١٧٦].

الثاني: أنه جنى على النصوص حيث نفى ما تدل عليه من المعاني الإلهية، ثم أثبت لها معاني من عنده، لا يدل عليها ظاهر اللفظ، فكان جانبا على النصوص من وجهين.

الثالث: أنه نفى ما دلت عليه النصوص من الصفات بغير علم فيكون بذلك قائلاً على الله ما لا يعلم، وهذا محرم بالنص والإجماع، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

الرابع: أنه إذا نفى عن الله عز وجل ما تقتضيه النصوص من صفات الكمال لزم أن يكون الله سبحانه متصفاً بنقيضها من صفات النقص، وذلك لأنه ما من موجود إلا وهو متصف بصفة، ولا يمكن وجود ذات مجردة عن الصفات فإذا انتفت صفة الكمال عنها لزم اتصافها بصفات النقص.

وحينئذ يكون من نفى عن الله تعالى ما تقتضيه النصوص من صفات الكمال، متعدياً في حق الله تعالى حيث جمع بين نفى صفات الكمال عنه، وتمثيله بالنقوصات والمعدومات، بل قد يرتقى به الغلو في النفي إلى تمثيله بالمستنعات المستحيلات ويكون أيضاً جانباً على النصوص حيث عطلها عما دلت عليه من صفات الكمال لله تعالى، وأثبت لها معاني من عنده لا يدل عليها ظاهرها فيجمع بين النفي والتمثيل في صفات الله، وبين التحريف والتعطيل في نصوص الكتاب والسنة ويكون ملجداً في أسماء الله وآياته. وقد قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠] وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفُونَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ

يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾. (١)

وباختصار:-

فإن الذين يخرجون النصوص الشرعية عن معانيها الظاهرة إلى معاني أخرى لم يدل عليها دليل شرعي بمقتضي ما ذهبت إليه عقولهم قد وقعوا في عدة محاذير منها:-

- ١- مخالفة طريق السلف.
  - ٢- تعطيل النصوص عن المراد بها.
  - ٣- تحريفها إلى معان غير مرادة بها.
  - ٤- تعطيل صفات الكمال التي تضمنتها هذه النصوص.
  - ٥- تناقض طريقتهم فيما أثبتوه وفيما نفوه.
- فيقال لهم في جانب الإثبات: اثبت ما نفيت مع نفى التشبيه كما أثبت ما أثبت مع نفى التشبيه.

ويقال لهم في جانب النفي: انف ما أثبت خوفاً من التشبيه كما نفيت ما نفيت خوفاً من التشبيه وإلا كنت متناقضاً والقول الفصل المطرد السالم من التناقض ما كان عليه سلف الأمة وأئمتها من إثبات ما أثبتته الله لنفسه من الأسماء والصفات إثباتاً بلا تمثيل، وتنزيهاً بلا تعطيل، وإجراء النصوص على ظاهرها على الوجه اللائق بالله عز وجل من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل. (٢)

فمنهج السلف قائم إذاً على:

- أ- رفض التأويل في النصوص العقائدية.
- ب- رفض التحريف للنصوص.
- ج- رفض التعطيل لمعاني النصوص.
- د- رفض التشبيه والتمثيل بين الخالق والمخلوق.
- هـ- رفض تكييف صفات الله عز وجل.

(١) تقريب التدمرية: ص ٦٥-٦٦.

(٢) راجع: تقريب التدمرية: ص ٣٧ بتصرف يسير.

## أ- رفض التأويل

يزعم المتكلمون أن أدلتهم العقلية المأخوذة من مصطلحاتهم الكلامية أدلة قطعية وأصلٌ يجب الرجوع إليه، فإذا عارضتها الأدلة الشرعية من الكتاب أو السنة وجب - (في زعمهم) - تأويل النصوص الشرعية تأويلاً يجعلها موافقة للأدلة العقلية. وهذا هو التأويل الذي يلجأ إليه المتكلمون في أبحاثهم الكلامية في مسائل التوحيد والعقائد الغيبية والصفات الإلهية.

فالتأويل إذاً في اصطلاح المتكلمين إنما يعنى اتخاذ العقل أصلاً يكون النقل تابعاً له فإذا ما ظهر تعارض بينهما - في زعمهم - فينبغي تأويل النص حتى يوافق العقل.

ومنهج المتكلمين في تأويل النصوص بأدلتهم العقلية باطل من وجوه منها:-

١- أن هذا النوع من التأويل للنصوص لتوافق أقوال المتكلمين هو في حقيقته تحريف للنصوص وتعطيل لها.

٢- أنه لا يجوز شرعاً معارضة كلام الخلاق العليم بالمصطلحات الكلامية التي وضعها بشر بعقولهم، وهي مأخوذة في الأصل من فلاسفة وعلماء كلام من غير المسلمين.

٣- أن موافقتهم فيما ذهبوا إليه تؤدي إلى الاستخفاف بأدلة الكتاب والسنة، والتقليل من قيمتها حيث لا يستدل بها على وجه الاستقلال بما يناقض الإيمان بها، كما أنه يؤدي إلى صرف الناس عن دراسة الكتاب والسنة وفهم معانيهما.

٤- أن الحجة العقلية الصحيحة لا تعارض الحجة الشرعية الصريحة بل يمتنع تعارضهما، إلا إذا كانت الحجة العقلية فاسدة، أو الفهم للحجة الشرعية فاسد.

٥- أن الشرع قد يأتي بأمر تحتار العقول في إدراكها، ولكنها غير مستحيلة عقلاً. مثال ذلك في الإيمان بالملائكة، فهذا إيمان بالغيب، عرف من النصوص الشرعية المتواترة، وهي مخلوقات نورانية، تحتار العقول في إدراك حقيقتها، ولكن وجودها غير مستحيل عقلاً، كما أن هناك مخلوقات لا ترى كالميكروبات والجراثيم الدقيقة لا ترى بالعين المجردة وثبت وجودها علمياً تحت المجهر (الميكروسكوب)،

وكالهواء لا يرى ووجوده ثابت من آثاره حولنا، وكالكهرباء لا ترى وتدرك من آثارها... إلخ.

ولفظ التأويل فى الشرع له عدة معاني:-

١- التأويل الذى هو بمعنى التفسير والبيان وهو الغالب على اصطلاح المفسرين للقرآن كابن جرير الطبرى وغيره.

٢- التأويل الذى بمعنى الحقيقة التى يؤول إليها الكلام كما قال تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٥٣] وأمثلة هذا النوع كثيرة فى القرآن ولاسيما ما يتعلق بأخبار المعاد.

٣- التأويل فى اصطلاح المتأخرين وهو صرف اللفظ عن ظاهره المتبادر منه إلى احتمال آخر مرجوح لدليل يقتضى ذلك.

فإن كان صرف اللفظ عن ظاهره لأمر يظنه الصارف دليلاً وليس بدليل على الصحيح فهذا تأويل فاسد. ومن ذلك تأويل المتكلمين لآيات وأحاديث الأسماء والصفات بدعوى التنزيه لموافقة أدلتهم العقلية فى قضية الأسماء والصفات. فهذا ليس بدليل تعارض به نصوص الكتاب والسنة ودعوى التنزيه لا تعارض الإثبات الذى عليه أهل السنة إذ إنهم لا يكتفون بصفة ولا يشبهون الخالق بالمخلوق، لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] فنفى التشبيه تنزيهاً للخالق مع إثبات صفتى السميع والبصير. وبالجمله فليست أدلة المتكلمين العقلية المأخوذة من علم الكلام بأدلة تؤول أو تخصص أو تقيّد بها الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة.

فإن كان صرف اللفظ عن ظاهره بدليل شرعى صحيح فى نفس الأمر فهذا تأويل صحيح مقبول. (١)

(١) طبقاً لاصطلاح المتأخرين لما ذكرنا.

على أن التأويل الصحيح في النصوص يتطلب كذلك. (١)

١- أن يحتمل اللفظ لغة هذا المعنى المرجوح.

٢- ورود ما يفيد وجوب هذا التأويل لظاهر النصوص الشرعية من النبي ﷺ إذ يمتنع اقتضاء صرف ظاهر نصوص الكتاب والسنة عن ظاهره بدون بيان وتنبية وإرشاد من النبي ﷺ.

٣- بيان النبي ﷺ لذلك وأن ظاهر النص غير مراد.

٤- سلامة دليل التأويل من معارض.

وقد أقر بصحة مذهب السلف في ترك تأويل أدلة الكتاب والسنة العديد من كبار علماء الكلام الأشاعرة في أواخر حياتهم وأظهروا الرجوع عما يخالف ذلك قبل موتهم.

فأبو الحسن الأشعري نفسه صرح برجوعه إلى مذهب السلف في آيات الصفات وأحاديثها ففي كتاب (مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين) ذكر أقوال جميع أهل الأهواء والبدع والمؤولين والنافين لصفات الله أو بعضها، ثم قال: «جملة ما عليه أهل الحديث والسنة الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله، وما جاء من عند الله، وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ لا يردون من ذلك شيئاً».

وقال أيضاً: «فهذه جملة ما يأمرون به ويستعملونه ويرونه، وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول، وإليه نذهب، وما توفيقنا إلا بالله، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وبه نستعين، وعليه نتوكل وإليه المصير». ١. هـ.

(١) راجع في ذلك:-

- أضواء البيان في إيضاح القرآن للشنقيطي تفسير سورة آل عمران ج١ / ص ٢٣٤-٢٣٥ .

- كلام ابن تيمية عن التأويل في كتابه نقض المنطق: ص ٥٦-٥٩ .

- رسالة الإكليل في التشابه والتأويل لابن تيمية ط. المطبعة السلفية.

- الرسالة المدنية لابن تيمية.

ومما يضح أن غثل به لاستيفاء هذه الشروط الحديث القدسي في الصحيح «يا ابن آدم مرضت فلم تعدني» وهذا من مجاز حذف المضاف تحتمله اللغة ودل عليه الدليل من نفس الحديث من قوله تعالى: «مرض عبدى فلان» وسلم هذا الدليل من معارض وهو من بيان الله ورسوله ﷺ وعلى هذا فليس من صفات الله المرض ولا الاستسقاء ولا الاستطعام تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. (وكتبه ياسر برهامي).

والباقلائي في كتابه (التمهيد) تكلم في فساد التأويل ورد على الآخذين به في أسماء الله تعالى وصفاته.

وإمام الحرمين أبو المعالي الجويني بعد أن انتصر للتأويل في كتابه (الإرشاد) رجع عنه في رسالته (العقيدة النظامية) وقال فيها: «والذي نرتضيه رأياً وندين الله به عقداً، اتباع سلف الأمة، فالأولى الاتباع وترك الابتداع والدليل السمعى القاطع في ذلك أن إجماع الأمة حجة متبعة وهو مستند معظم الشريعة» ١. هـ.

وقال أيضاً: «فيذا أنصرم عصرهم (أي الصحابة) وعصر التابعين على الإضراب عن التأويل كان ذلك قاطعاً بأنه الوجه المتبع بحق فعلى ذى الدين أن يعتقد تنزه الرب تعالى عن صفات المحدثات ولا يخوض في تأويل المشكلات ويكل معناها إلى الرب» ١. هـ.

والإمام أبو حامد الغزالي في كتابه (إلجام العوام عن علم الكلام): «اعلم أن الحق الصريح الذى لا مرأى فيه عند أهل البصائر هو مذهب السلف أعنى الصحابة والتابعين». ثم قال: «إن البرهان الكلى على أن الحق فى مذهب السلف وحده ينكشف بتسلم أربعة أصول مسلمة عند كل عاقل» ثم بين أن:-

الأول من تلك الأصول أن النبي ﷺ هو أعرف الخلق بصلاح أحوال العباد فى دينهم ودنياهم.

الأصل الثانى: أنه بلغ كما أوحى إليه ولم يكتم منه شيئاً.

الأصل الثالث: أن أعرف الناس بمعانى كلام الله وأحراهم بالوقوف على أسرارهم أصحاب رسول الله ﷺ الذين لازموه وحضروا التنزيل.

الأصل الرابع: أن الصحابة رضِيَ اللهُ عنهم فى طول عصرهم إلى آخر أعمارهم ما دعوا الخلق إلى التأويل، ولو كان التأويل من الدين أو علم الدين لأقبلوا عليه ودعوا إليه أولادهم وأهلهم.

ثم قال الغزالي: «وبهذه الأصول الأربعة المسلمة عند كل مسلم نعلم بالقطع أن الحق ما قالوه والصواب ما رأوه» (١) ١. هـ.

(١) راجع تفسير قوله تعالى: ﴿أفلا يتدبرون القرآن﴾ من: أعضاء البيان للشنقيطى وصور المنطق والكلام للحافظ السيوطى. وانظر المنتظم لابن الجوزى ج٩ / ص ١٧٠. وطبقات الشافعية للسبكي ج٦ / ص ٢١٠.

قال الشنقيطى رحمه الله: «ولا شك أن استدلال الغزالى هذا بأن مذهب السلف هو الحق استدلال لا شك فى صحته، ووضوح وجه الدليل فيه، وأن التأويل لو كان سائغاً أو لازماً لبين النبي ﷺ ذلك، ولقال به أصحابه وتابعوهم كما لا يخفى وذكر غير واحد عن الغزالى أنه رجع فى آخر حياته إلى تلاوة ما فى كتاب الله وسنة رسوله. وذكر بعضهم أنه مات وعلى صدره صحيح البخارى رحمه الله»<sup>(١)</sup>.

وعن أبى الحسن الأشعري أنه قال فى مسجد بالبصرة: «والذين ندين به هو التمسك بما جاء فى كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام وما روى عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان عليه الإمام أحمد بن حنبل آخذون»<sup>(١)</sup> . ا.هـ.

(١) راجع تفسير قوله تعالى: ﴿أفلا يتدبرون القرآن﴾ من أضواء البيان للشنقيطى وصون المنطق والكلام للحافظ السيوطى. وانظر المنتظم لابن الجوزى ج٩ / ص ١٧٠ . وطبقات الشافعية للسبكي ج٦ / ص ٢١٠ .

## ب- رفض تحريف النصوص

التحريف: هو التغيير والتبديل. مأخوذ من قولهم: حرقت الشيء عن وجهه حرفاً. من باب ضرب إذا أملته وغيرته، والتشديد للمبالغة وتحريف الكلام تفسيره بغير المعنى المتبادر منه.

والتحريف قسمان: تحريف للفظ وتحريف للمعنى. وكلاهما وقع من أهل الكتاب في كتبهم، فما في أيدي أهل الكتاب من كتب هي مما وقع فيه هذا التحريف بنص القرآن:-  
قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩] فهذا تحريف لفظي للكتاب كتابة.

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُورُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٨] وهذا تحريف لفظي للكتاب باللسان.

وقال تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ [المائدة: ٤١] وهذا تحريف لمعاني الكتاب. (١)  
والذين يخرجون عن المعاني الظاهرة للنصوص الشرعية بغير دليل هم محرفون للكتاب.  
من أمثلة ذلك:-

قول الجهمية والأشاعرة ونحوهم من أهل البدع في قوله تعالى: ﴿اسْتَوَى﴾ استولى بزيادة اللام. فهو كقول اليهود حنطة لما قيل لهم قوله حطة.  
وكقول بعض المبتدعة بنصب لفظ الجلالة في قوله تعالى: ﴿وكلم الله موسى تكليماً﴾.  
وكقول الأشاعرة في قول الله تعالى ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾: وجاء أمر ربك. ونحو ذلك.  
فهذا تحريف للفظ والمعنى. وتفسير بعض المبتدعة لصفة الغضب بإرادة الانتقام.  
وتفسيرهم الرحمة بإرادة الإنعام. وقولهم أن المراد باليدين بالنعمة أو القدرة. (٢)  
وهذا تحريف للمعنى. وهذا كله من الباطل ومن التحريف المنهى عنه.

(١) انظر (منة الرحمن في نصيحة الإخوان) للشيخ ياسر برهامي ط. مكتبة الإيمان الإسكندرية بتصرف: ص ٣٠.  
(٢) راجع الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية) تأليف الشيخ عبد العزيز المحمد المسلمان ط. دار الدعوة السلفية الإسكندرية: ص ٤٨.  
وانظر شرح العقيدة الواسطية لخليل هراس ط. الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ص ١٦ ط. الرابعة.  
وانظر شرح معارج القبول ج ١ / ص ٣٢١.

## ج- رفض التعطيل

التعطيل مأخوذ من العطل وهو الخلو والفراغ والترک ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَبْرُؤُ مَعْطَلَةٌ وَقَصْرٌ مَّشِيدٌ﴾ [الحج: ٤٥] أى بئر أهملها أهلها وتركوها، والمراد بالتعطيل هنا نفى الصفات الإلهية وإنكار قيامها بذاته تعالى.

والتعطيل للأسماء والصفات الإلهية مذهب الجهمية والمعتزلة. والفرق بين التحريف والتعطيل.

أن التعطيل: نفى للمعنى الحق الذى دل عليه الكتاب والسنة.

أما التحريف: فهو تفسير النصوص بالمعانى الباطلة التى لا تدل عليها.

والنسبة بينهما العموم والخصوص المطلق.

فإن التعطيل أعم مطلقاً من التحريف. بمعنى أنه كلما وجد التحريف وجد

التعطيل دون العكس.

وبذلك يوجدان معاً فيمن أثبت المعنى الباطل ونفى المعنى الحق. كتفسير

الأشاعرة: (استوي) باستولي، (المجيء) بمجىء الأمر، (واليد) بالقدرة،

(والرحمة) بإرادة الإنعام، ونحو ذلك من تأويلاتهم الباطلة.

ويوجد التعطيل بدون التحريف فيمن نفى الصفات الواردة فى الكتاب والسنة

وزعم أن ظاهرها غير مراد ولكنه لم يعين لها معنى آخر وهو ما يسمونه

بالتفويض.

والتفويض ليس من مذهب السلف. فإن السلف لم يكونوا يفوضون فى علم

المعنى، ولا كانوا يقرأون كلاماً لا يفهمون معناه بل كانوا يفهمون معانى النصوص

من الكتاب والسنة، ويثبتونها لله عز وجل، ثم يفوضون ما وراء ذلك من كنه

الصفات أو كفياتها كما قال مالك حين سئل عن كيفية استوائه تعالى على

العرش: (الاستواء معلوم والكيف مجهول). (١)

(١) شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية: تأليف محمد خليل هراس. ط. دار الدعوة السلفية ط ١٩٩٢م-

## د- رفض التشبيه والتمثيل

### بين الخالق والمخلوق

التمثيل كالتشبيه . وهو اعتقاد مشابهة الخالق بالمخلوق ، وتمثيل صفاته بصفاتهم . وهو ينقسم إلى قسمين :-

الأول : تشبيه المخلوق بالخالق وذلك كتشبيه النصارى المسيح بن مريم بالله ، وكتشبيه اليهود عزيراً بالله ، وكتشبيه المشركين أصنامهم بالله تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً .

الثاني : كتشبيه المشبهة الذين يشبهون الله بخلقه ، فيقولون له وجه كوجه المخلوق ، ويد كيد المخلوق ، وسمع كسمع المخلوق ونحو ذلك . تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً .

## هـ- رفض تكيف الصفات

التكيف تعيينه الكنه . يقال كَيْفَ الشيء أى جعل له كيفية معلومة .<sup>(١)</sup> والفرق بين التكيف والتمثيل :

أن التكيف : أن يعتقد أن صفاته تعالى على كيفية كذا . أو يسأل عنها بكيف . وأما التمثيل فهو اعتقاد أنها مثل صفات المخلوقين .

وليس المراد من نفي التكيف نفي الكيف مطلقاً فإن كل شيء لا بد أن يكون على كيفية ما ، وصفات الله عز وجل لها كيفية ، ولكن لا تصل إليها عقولنا كما قال تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشوري : ١١] ، وقال تعالى : ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم : ٦٥] . ولكن المراد من نفي الكيف نفي علمنا بالكيف إذ لا يعلم كيفية ذاته وصفاته عز وجل إلا هو سبحانه .<sup>(٢)</sup>

تفسير قوله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشوري : ١١] .

(١) تقريب التدرية : ص ٥١ .

(٢) شرح الواسطية لهراس : ص ٢٢ فلا يجوز أن نقول إننا ثبت الصفات بلا كيف ، ولكن ثبتها بكيفية لا نعلمها ، لذا نقول ثبتها من غير تكيف . أى نؤمن أن لها كيفاً يليق بالله سبحانه وتعالى ولا نكيفها بعقولنا .

اختلف في تفسير قوله تعالى: ﴿كَمِثْلِهِ﴾ والمراد من (الكاف) ومن (مثله) فقيل: المراد بذكر المثل هنا المبالغة في النفي بطريق الكناية فإنه إذا نفى عمن يناسبه كان نفيه عنه أولى كقولهم: ملك لا يخجل وغيرك لا يوجد.

وقيل: إن الكاف زائدة للتأكيد لأنه تعالى لا مثيل له وهو المشهور عند العربيين.

وقيل: إن (مثل) زائدة قاله ثعلب وغيره، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ﴾ [البقرة: ١٣٧] أي آمنوا بما آمنتم به.

والأول أولى: فإن الكناية باب مسلوكة عند العرب ومهيج مألوف لهم. قال ابن قتبية: العرب تقيم المثل مقام النفس فتقول مثلى لا يقال له هذا، أي أنا لا يقال لي. وقيل المراد بالمثل الصفة، وذلك أن (المثل) بمعنى المثل، والمثل الصفة كقوله تعالى: ﴿مثل الجنة﴾، فيكون المعنى ليس مثل صفة الله سبحانه وتعالى شيء من الصفات، المعنى ليس يشبهه ولا يماثله شيء من المخلوقات لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، لأن أسماء كلها حسني، وصفاته صفات كمال وعظمة، وأفعاله تعالى أوجد بها المخلوقات العظيمة من غير مشارك، فليس كمثل شيء لانفراده وتوحيده بالكمال من كل وجه، ومن فهم هذه الآية الكريمة حق فهمها وتدبرها مشى بها عند اختلاف المختلفين في الصفات على طريقة بيضاء واضحة، ويزداد بصيرة إذا تأمل معنى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، فإن هذا الإثبات بعد ذلك النفي للمماثل قد اشتمل على برد اليقين وشفاء الصدور وانثلاج القلوب، فهذه الحجة والبرهان القوي يتحطم كثير من البدع ويرغم بها أنوف طوائف من القاصرين المتكلمين، والمتكلفين المتأولين، ولاسيما إذا ضم إليه قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠].

وقوله: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ أي وهو سميع لما ينطق به خلقه على اختلاف لغاتهم وتفنن حاجاتهم. البصير الذي أحاط بصره بجميع المبصرات، فيرى النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء، ويرى سريان القوت في أعضاء الحيوانات الصغيرة، وسريان الماء في الأغصان. (١)

ويؤخذ من هذه الآية الكريمة:-

- ١- الرد على المشبهة الذين يشبهون الله بخلقه.
- ٢- الرد على المعطلة وهم الذين ينفون الصفات كالجهمية.
- ٣- الرد على المعتزلة ونحوهم ممن يثبتون الأسماء دون الصفات ويقولون سميع بلا سمع وبصير بلا بصر.
- ٤- الرد على الأشاعرة لأنهم يثبتون بعض الصفات<sup>(١)</sup> ويؤولون ويحرفون البعض وهم متناقضون. وقد ضل بضلالهم الكثيرون.
- ٥- فيها إثبات السمع والبصر لله تعالى على الوجه اللائق بجلاله وعظمته.
- ٦- تنزيه الله عن مشابهة خلقه وأن صفاته ليست كصفات خلقه. بل هي صفات لائقة بجلاله وعظمته.
- ٧- تقديم النفي على الإثبات لأن الأول من باب التخلية والثاني من باب التحلية.
- ٨- فيها نفي مجمل وإثبات مفصل ، وهذا هدى أهل السنة أخذاً من هذه الآية وغيرها.
- ٩- الرد على من زعموا أن السمع والبصر بمعنى العلم.
- ١٠- فيها دلالة على كثرة صفات كماله ونعوت جلاله عز وجل وأنها لكثرتها وعظمتها لم يكن فيها مثل وإلا فلو أريد نفي الصفات لكان العدم المحض أولى بهذا المدح فهذه الآية تدل على إثبات الصفات.
- ١١- فيها دليل لمن يفضل السمع على البصر.<sup>(٢)</sup>
- ١٢- الحث على مقام الإحسان.<sup>(٣)</sup>

(١) مما يثبتون سبع صفات: الحياة-الكلام-البصر-السمع-الإرادة-العلم-القدرة.

(٢) لذكر السمع قبل البصر في الآية.

(٣) الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

راجع في ذلك الأسئلة والأجوبة الأصولية: ص ٥٣-٥٤ .

## والمحصلة أن:-

مذهب السلف الإيمان بما وصف الله به نفسه في كتابه، وبما وصفه به رسوله ﷺ والتسليم بها، وإجراؤها على ظاهرها، والإيمان بما جاء فيها على الوجه اللائق بجلال الله وكماله، من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكيف ولا تمثيل ولا تشبيه.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة الواسطية مبيناً مذهب السلف:

فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه ولا يلحدون في أسماء الله وآياته، ولا يكيفون ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه، لأنه سبحانه لا سمي له، ولا كفاء له، ولا ند له، ولا يقاس بخلقه سبحانه وتعالى. فإنه أعلم بنفسه وبغيره، وأصدق قيلاً وأحسن حديثاً من خلقه، ثم رسله صادقون مصدقون بخلاف الذين يقولون عليه ما لا يعلمون<sup>(١)</sup> ولهذا قال: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٨٠) وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (١٨١) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

{الصفات: ١٨٠-١٨٢}.

فسبح نفسه عما وصفه به المخالفون للرسول، وسلم على المرسلين لسلامة ما قالوه من النقص والعيب. وهو قد جمع فيما وصف وسمى نفسه بين النفي والإثبات.

فلا عدول لأهل السنة والجماعة عما جاء به المرسلون فإنه الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين. ا.هـ.



(١) المتدعة من أهل الأهواء عكسوا الأمر، فنفوا عن الله تعالى ما أثبتته لنفسه من الصفات، وأثبتوا له من عند أنفسهم ما نزه نفسه عز وجل عنه مما يخالف ما تقتضيه أسماؤه وصفاته. فوقعوا في تكذيب الكتاب والسنة وبدلوا قولاً غير الذي قيل لهم.

#### ٤- التمسك بفهم الصحابة للكتاب والسنة وعملهم بهما

يقوم المذهب السلفي على فهم الكتاب والسنة والعمل بهما وفق فهم الصحابة رضي الله عنهم لهما، لذا يتمسك السلفيون بما ورد عن الصحابة ويقتدون بهم في ذلك، ويرون فهمهم للكتاب والسنة أولى ومقدم على من دونهم.

والتمسك بهدى الصحابة رضي الله عنهم وعملهم مما تكلم فيه علماء السلف وبينوا حدوده وأحواله.

\* ففي الجوانب العقائدية:-

ذهب السلف الصالح إلى اعتقاد ما ورد عن الصحابة رضي الله عنهم إجماعهم على اعتقاده، لا يحددون عنه، لذا فهم الصحابة رضي الله عنهم ومن أخذ عنهم للآيات القرآنية والأحاديث النبوية المتعلقة بعقائد الإسلام مما لا يقبل الخروج عنه عند أهل السنة والجماعة، ويقوى ذلك أن الصحابة رضي الله عنهم لا يعرف عنهم الاختلاف في أمور العقيدة،<sup>(١)</sup> بل كانوا في ذلك على إجماع واضح، يندرج الخلاف فيه عنهم، وإنما خالفهم أهل البدع والأهواء ممن جاءوا بعدهم، وبدلوا وغيروا، وظهر جلياً خروجهم عن معتقد الصحابة رضي الله عنهم وأصولهم الإيمانية.

والآيات القرآنية والأحاديث النبوية في تزكية معتقد الصحابة وأصولهم الإيمانية ظاهرة الدلالة على ذلك. قال تعالى في حقهم رضي الله عنهم: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا﴾ [البقرة: ١٣٧]. وقال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]. وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣].

وقال صلى الله عليه وسلم: «إن خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم الحديث»<sup>(٢)</sup>.

وقال صلى الله عليه وسلم: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عضواً عليها بالنواجذ»<sup>(٣)</sup>.

(١) لم يختلف الصحابة في مسألة اعتقادية يبني عليها عمل قط، ولكن وقع بعض الاختلاف في أمور نظرية لا يبني عليها عمل مثاله ما ورد عن اختلاف الصحابة في رؤيته صلى الله عليه وسلم لربه عز وجل في ليلة الإسراء والمعراج، والاختلاف في أيهما خلق أولاً العرش أم القلم.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه أحمد وأبو داود والترمذي. وقال حسن صحيح.

وقال ﷺ «وأصحابي أمانة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون» رواه مسلم.

وقال ﷺ في الفرقة الناجية أنها على ما هو عليه ﷺ وأصحابه ﷺ.

فما أجمع عليه الصحابة في الاعتقاد المبني على فهم فهموا به الآيات القرآنية والأحاديث النبوية لا يسع أحد عند أهل السنة والجماعة أن يخرج عنه والاصار بذلك من أهل الأهواء والبدع. ولهذا يحتج أهل السنة على أصحاب المذاهب المبتدعة بكونهم مخالفين لفهم الصحابة ﷺ للكتاب والسنة في أمور الاعتقاد فإذا كان الإجماع في الدين حجة فأولى الإجماع إجماع الصحابة ﷺ قال ابن كثير رحمه الله في تفسير قوله تعالى في سورة الأحقاف: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ [الأحقاف: ١١].

وأما أهل السنة والجماعة فيقولون في كل فعل وقول لم يثبت عن الصحابة ﷺ هو بدعة لأنه لو كان خيراً لسبقونا إليه لأنهم لم يتركوا خصلة من خصال الخير إلا وقد بادروا إليها. ا. هـ. (١)

\* وفي تفسير القرآن وفهم معانيه:

فإن الصحابة ﷺ أعلم الناس بكتاب الله تعالى، لم يفهم من آياته علماً وعملاً شيئاً، وبلغوا في ذلك شأناً لا يدركهم فيه من جاء بعدهم. لذا كان مقررأ عند السلف الصالح ومن سار على دربهم تقديم فهم الصحابة للقرآن الكريم على من سواهم ممن خلفهم في ذلك.

لقد صححنا  
الرسول ﷺ  
القرآن الكريم

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (٢): يجب أن يُعلم أن النبي ﷺ بين لأصحابه معاني القرآن، كما بين لهم ألفاظه، فقوله تعالى: ﴿لَتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤] يتناول هذا وهذا، وقد قال أبو عبد الرحمن السلمي: حدثنا الذين كانوا يقرءون القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما، أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يعلموا ما فيها من

(١) تفسير ابن كثير ج٤ / ص ٦٥٦ ط. المكتبة التوفيقية القاهرة.

(٢) من الإتقان في علوم القرآن للسوطي ط. دار التراث القاهرة ج٤ / ص ١٧٥-١٧٦ وراجع في ذلك مقدمة في التفسير لابن تيمية.

العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً، ولهذا كانوا يقولون مدة في حفظ السورة. وقال أنس: كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جدّ في أعيننا<sup>(١)</sup>. وإقام ابن عمر على حفظ البقرة ثمان سنين<sup>(٢)</sup>، وذلك أن الله قال: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ [ص: ٢٩] وقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ [محمد: ٢٤] وتدبر الكلام بدون فهم معانيه لا يمكن وأيضاً فالعادة تمنع أن يقرأ قوم كتاباً في فن من العلم كالطب والحساب ولا يستشرحونه، فكيف بكلام الله الذي هو عصمتهم وبه نجاتهم وسعادتهم. وقيام دينهم وديانهم! ولهذا كان النزاع بين الصحابة في تفسير القرآن قليل جداً، وهو وإن كان بين التابعين أكثر منه بين الصحابة، فهو قليل بالنسبة إلى ما بعدهم ومن التابعين من تلقى جميع التفسير عن الصحابة، وربما تكلموا في بعض ذلك بالاستنباط والاستدلال والخلاف بين السلف في التفسير قليل، وغالب ما يصح عنهم من الخلاف يرجع إلى اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد ا.هـ. من الاتقان في علوم القرآن للسيوطي<sup>(٣)</sup>.

ويقول ابن تيمية أيضاً: <sup>(٤)</sup> «فإن الصحابة والتابعين والأئمة إذا كان لهم في الآية تفسير، وجاء قوم فسروا الآية بقول آخر لأجل مذهب اعتقدوه، وذلك المذهب ليس من مذاهب الصحابة والتابعين صار مشاركاً للمعتزلة وغيرهم من أهل البدع في مثل هذا، وفي الجملة: من عدك عن مذاهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم إلى ما يخالف ذلك كان مخطئاً في ذلك بل مبتدعاً، لأنهم كانوا أعلم بتفسيره ومعانيه، كما أنهم أعلم بالحق الذي بعث الله به رسوله» ا.هـ. بتلخيص السيوطي.

### \*\* وفي الجوانب العملية من الدين: -

فإن ما ورد عن الصحابة رضي الله عنهم من الآراء الفقهية والأحكام الدينية والأقوال الاجتهادية لها مكانتها عند السلف الصالح ومن تابعهم من بعدهم.

(١) رواه أحمد في مسنده.

(٢) أخرجه في الموطأ.

(٣) ص ١٧٥-١٧٦.

(٤) المصدر السابق: ص ١٨٠.

والمعتمد عند علماء أهل السنة والجماعة أن تفسير القرآن على مراتب أولها تفسير القرآن بالقرآن حيث إن من الآيات القرآنية ما تبين ما أغمض أو أجمل أو أجمل أو أبهم في بعض آيات القرآن. وبعد ذلك تفسير القرآن بالسنة ففيما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم بيان شاف لآيات القرآن، يلي ذلك ما ورد عن الصحابة رضي الله عنهم في تفسير آيات القرآن، ثم من بعدهم من أخذ عنهم من كبار التابعين.

وذلك على مراتب وأحوال:-

فما أجمع عليه الصحابة من الأحكام الفقهية فهو حجة ملزمة، فالإجماع حجة، وأقوى الإجماع إجماع الصحابة، لذا فهناك إجماع على حجتيه. فالجماع يتفق الفقهاء على إجماع إلا إجماع الصحابة، فإن إجماعهم في الأحكام الشرعية ثبت بالتواتر، ولذلك لم يختلف في إجماعهم أحد، حتى الذين يستبعدون حدوث الإجماع سلموا بإجماع الصحابة»<sup>(١)</sup>.

أما ما اختلفوا فيه من الأحكام الفقهية وتعددت الآراء المتقولة عنهم فيها فكان السلف يتبعون أقوالهم فيأخذون قولاً منها يعملون به، حتى ذهب البعض إلى منع الخروج عن مجموع ما ورد عنهم من الأقوال ف«إذا كان قد أثر عن بعضهم رأى وأثر عن البعض الآخر رأى يخالفه، فالخروج عن مجموع آرائهم خروج عن جمعهم»<sup>(٢)</sup>.

«هذا وإن المأثور عن الأئمة الأربعة أنهم كانوا يتبعون أقوال الصحابة ولا يخرجون عنها، فأبو حنيفة يقول: «إذا لم أجد في كتاب الله تعالى أخذت بقول أصحابه، أخذت بقول من شئت، وأدع من شئت منهم، ولا أخرج من قولهم إلى قول غيرهم» ولقد قاله الشافعي في الرسالة برواية الربيع وهي من كتابه الجديد:<sup>(٣)</sup> ولقد وجدنا أهل العلم يأخذون بقول واحد (أى الصحابة) مرة ويتركونه أخرى، ويتفرقون في بعض ما أخذوا منهم، قال: (أى مناظره) فيألي أى شيء صرت من هذا؟ قلت: اتباع قول واحد إذا لم أجد كتاباً ولا سنة ولا إجماعاً ولا شيئاً في معناه يحكم».

ويقول في كتابه الأم برواية الربيع أيضاً وهو كتابه الجديد:<sup>(٣)</sup> «إن لم يكن في الكتاب والسنة صرنا إلى أقاويل أصحاب رسول الله ﷺ، أو واحد منهم، ثم كان قول أبى بكر وعمر<sup>(٤)</sup> أو عثمان إذا صرنا فيه إلى التقليد أحب إلينا، وذلك إذا لم نجد دلالة في الاختلاف تدل على أقرب الاختلاف من الكتاب والسنة لتتبع القول الذى معه الدلالة».

(١) أصول الفقه لمحمد أبو زهرة ط. دار الفكر العربى القاهرة ص١٦٧-١٦٨ .

(٢) أصول الفقه لأبى زهرة ص١٦٩ . نقلاً من المصدر السابق ص ١٧٠ .

(٣) أى مذهبه الجديد. وانظر الأم ج٧ / ص٢٤٧ .

(٤) وفى الحديث: اقتدوا بالذين من بعدي: أبى بكر وعمر.

وإن هذا يدل على أنه يأخذ بالكتاب والسنة، ثم ما يجمع عليه الصحابة، وما يختلفون فيه يقدم من أقوالهم أقواها اتصالاً بالكتاب والسنة، فإن لم يستبن له أقواها اتصالاً بهما اتبع ما عمل به الأئمة الراشدون رضوان الله تبارك وتعالى عنهم، لأن قول الأئمة مشهور وتكون أقوالهم محصاة عادة. وكذلك الإمام مالك رضي الله عنه، فإن الموطأ كثير من أحكامه يعتمد على فتوى الصحابة، ومثله الإمام أحمد<sup>(١)</sup>.

ولقد قال ابن القيم<sup>(٢)</sup> في بيان أن آراء الصحابة أقرب إلى الكتاب والسنة من آراء من جاءوا بعدهم:

«إن الصحابي إذا قال قولاً، أو حكم بحكم، أو أفتى بفتيا فله مدارك ينفرد بها عنا، ومدارك نشاركه، فأما ما يختص به فيجوز أن يكون سمعه من النبي صلوات الله عليه شفاهاً، أو من صحابي آخر عن رسول الله صلوات الله عليه، وإن ما انفردوا به عن العلم عنا أكثر من أن يحاط به، فلم يرو كل منهم كل ما سمع وأين ما سمعه الصديق والفاروق وغيرهما من كبار الصحابة إلى ما رووه، فلم يرو عن صديق الأمة مائة حديث، ولم يغيب عن النبي صلوات الله عليه في شيء من مشاهدته، بل صحبه من حيث بعث بل قبل البعث إلى أن توفي، وكان أعلم الأمة به صلوات الله عليه وبقوله وفعله، وهديه وسيرته، وكذلك أجلة الصحابة رواياتهم قليلة جداً بالنسبة إلى ما سمعوه من نبيهم وشاهدوه، ولو رووا كل ما سمعوه وشاهدوه ل زادوا على رواية أبي هريرة أضعافاً مضعفة، فإنما صحبه نحو أربع سنين. وقد روى عنه الكثير، فقول القائل لو كان عند الصحابي في هذه الواقعة شيء لذكره قول من لم يعرف سيرة القوم وأحوالهم، فانهم كانوا يهابون الرواية ويعظمونها ويقللون منها خوف الزيادة والنقص، ويحدثون بالشيء الذي سمعوه من النبي صلوات الله عليه مراراً ولا يصرحون بالسماح ولا يقولون قال رسول الله صلوات الله عليه فتلك الفتوى التي يفتى بها الصحابي لا تخرج عن ستة وجوه:

أحدها: أن يكون سمعها من النبي صلوات الله عليه.

الثاني: أن يكون سمعها ممن سمعها.

(١) أصول الفقه لأبي زهرة: ص ١٧٠-١٧١.

(٢) إعلام الموقعين لابن القيم: ص ٢٤٨ / ج ١ ط. الشيخ منير الدمشقي.

الثالث: أن يكون فهمها من آية من كتاب الله فهماً خفى علينا.

الرابع: أن يكون قد اتفق عليه ملؤهم ولم ينقل إلينا إلا قول المفتي وحده.

الخامس: أن يكون رأيه لكمال علمه باللغة دلالة اللفظ على الوجه الذي انفرد به عنا، أو لقرائن حالية اقترنت بالخطاب أو لمجموع أمور فهمها على طول الزمان من رؤية النبي ﷺ ومشاهدة أفعاله وأحواله، وسيرته وسماع كلامه والعلم بمقاصده وشهود تنزيل الوحي ومشاهدة تأويله بالفعل فيكون فهم ما لم نفهمه نحن، وعلى هذه التقارير الخمسة تكون فتواه حجة علينا.

السادس: أن يكون فهم ما لم يروه عن النبي ﷺ، وأخطأ في فهمه، وعلى هذا التقرير لا يكون قوله حجة ومعلوم قطعاً أن وقوع احتمال من خمسة أغلب على الظن من وقوع احتمال واحد معين، هذا مما لا يشك فيه عاقل، ولذلك يفيد ظناً غالباً قوياً على الصواب في قوله... وليس المطلوب إلا الظن الغالب، والعمل به متعين ويكفي العارف هذا الوجه. (١)

والصحابية على علمهم ليسوا بمعصومين كأفراد، وإن كان إجماعهم معصوم فإذا كانت الأمة لا تجتمع على ضلالة فأولى الأمة بذلك جيل الصحابة. أما الواحد منهم فليس معصوماً من الخطأ في الاجتهاد، فيرد خطؤه إن تبين بطلانه، ويعذر في ذلك، ويبقى الاتباع للكتاب والسنة.

يقول شارح الطحاوية في بيان حال السلف تجاه ما ثبت خطؤه من أقوال أحد الصحابة: ولكن إذا وجد لواحد منهم قول قد جاء حديث صحيح بخلافه فلا بد له في تركه من عذر. وجماع الأعذار ثلاثة أصناف:

أحدها: عدم اعتقاده أن النبي ﷺ قاله.

والثاني: عدم اعتقاده أنه أراد تلکم المسئلة بذلك القول.

والثالث: اعتقاده أن ذلك الحكم منسوخ.

فلهم الفضل علينا والمنة بالسبق، وتبليغ ما أرسل به الرسول ﷺ إلينا، وإيضاح ما كان يخفى علينا. (٢)

(١) أصول الفقه لأبي زهرة: ص ١٦٩-١٧٠.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٣٧ ط. أحمد شاکر. وانظر (رفع الملام عن الأئمة الأعلام) لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

ويشهد لفضل الصحابة وتقدمهم على من سواهم:-

١- أنهم أعلم الأمة بكتاب الله تعالى حفظاً وتلاوة وتفسيراً إذ أخذوه من فم النبي ﷺ مباشرة، وبين لهم ﷺ معانيه وهم أعلم الأمة بلغة القرآن، وبأسباب ومناسبات نزول آياته لم يغب عنهم منه شيئاً.

٢- أنهم أعلم الأمة بسنة النبي ﷺ وهدية، فهم حفظة أقواله ومشاهدوا أعماله، والأعلم بمواطن إقراره، ويعرفون مناسبة كل منها، والناسخ منها والمنسوخ، والعام منها والخاص، والمقيد منها والمطلق.

٣- أنهم من أشد الناس تمسكاً بما أخذوه عن النبي ﷺ من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ لا يفرقون في العمل بهديه ﷺ بين صغيرة وكبيرة، وقد ضربوا في اتباعه ﷺ وشدة حبههم لهديه وسنته أمثالاً رائعة لا مثيل لها، ولا يعرف أحد أشد حباً وشغفاً بمتابعة لشخص، كحب ومتابعة الصحابة للنبي ﷺ.

٤- أنهم أهل اجتهاد ونظر، لما ملكوا من وسائل الاجتهاد الكثيرة كالعلم بالكتاب والسنة، والإحاطة باللغة العربية، ورجاحة العقل والفراسة والفتنة، ومعرفة أسباب النزول، وعلل الأحكام، والقدرة العالية على الاستنباط والاستدلال من النصوص.

٥- أنهم أهل اللغة العربية، أحاطوا بها إحاطة تامة، علموا مشهورها وغريبها، جليلها ودقيقها، أساليبها البلاغية، مفهومها ودلائلها، لم يعرفوا لحن اللسان، ولم تلحقهم شوائب العجم.

٦- أنهم أهل صلاح وتقوي، وزهد وورع، وفراسة وكياسة، حريصون على الآخرة، معرضون عن الدنيا، فسهل عليهم الانقياد للحق، وانفتحت لهم أبواب الهدى والعلم، ولهم في ذلك باع ونصيب لا يلحقهم فيه من بعدهم.

والله تعالى يقول: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

ويقول عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمد: ١٧].

٧- ما لهم من أعمال عظيمة في نصره هذا الدين والجهاد في سبيله، وفي نشر هذه الدعوة وتعليمها للخلق جميعاً، حتى خرجوا بها في أرجاء المعمورة، وبلغوها تامة كما أخذوها وتلقوها.

- ٨- شهادة الله تعالى لهم بالإيمان والصدق ورضاه عنهم والتوبة عليهم وإخبار النبي ﷺ عن فضيلتهم ومنزلتهم وخيرتهم وعدالتهم.
- ٩- الأحاديث الكثيرة الواردة فى فضائل ومناقب الكثيرين منهم كإخلفاء الراشدين الأربعة: أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وبقية العشرة المبشرين بالجنة، وأهل بدر، وأصحاب بيعة الحديبية، والمناقب الجليلة لأئمتهم فى العلم والعمل كعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم.
- ١٠- إجماع الأمة جيلاً بعد جيل على جلالتهم وإمامتهم، والشهادة لهم بالعدالة والصلاح والخيرية.
- ١١- انتصاراتهم المذهلة، ودخول الشعوب ذات الحضارات العريقة فى الإسلام على أيديهم طواعية واختياراً دليل ظاهر على قوة إيمانهم وحسن فهمهم للإسلام، وقوة تأثيرهم به، ومثالية تطبيقهم له، لذلك كله مكنهم الله عز وجل على شعوب الأرض.



## أدلة فضل الصحابة رضوان الله عليهم

دلت النصوص الشرعية على أن جيل الصحابة رضي الله عنهم أفضل أجيال هذه الأمة، وأن لهم عند الله تعالى من سبق والمنزلة العالية ما ليس لغيرهم. وتشهد لذلك كله الشواهد التاريخية، والمواقف المرضية لهؤلاء الصحابة في خدمة هذا الدين ونصرته والدفاع عنه، وبذل الغالي والنفيس في سبيل ذلك.

لذا فإن أهل السنة والجماعة متفقون على تبجيلهم وتعظيمهم والشهادة لهم بصلاح العمل، وتمام العلم، وحسن الإخلاص، وسلامة العقيدة، ورفعة المنزل. لذا ردوا مناقبهم جيلاً بعد جيل واتخذوهم أسوة.

### الآيات القرآنية الواردة في فضل الصحابة رضي الله عنهم:

\* وردت في ذلك آيات كثيرة من ذلك:

١- قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

ففي الآية رضا الله عز وجل عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم على ما هم عليه بإحسان ووعد لهم بدخول الجنات والخلود فيها.

٢- قال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (١٨) وَمَغَانِمَ كَثِيرًا يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: ١٨-١٩].

ففيها رضا الله تعالى عن الصحابة الذين بايعوا النبي صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية وكانوا حوالى ألف وأربعمائة صحابي وإخباره عز وجل بما في قلوبهم من الصدق وبشرى لهم بتعجيل الخير لهم في الدنيا بالفتح القريب والمغانم الكثيرة إلى جانب ثواب الآخرة.

٣- قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمِثْلَهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى

سُوقَهُ يُعْجَبُ الزُّرَاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿الفتح: ٢٩﴾.

والآية إخبار بوصف أصحاب النبي ﷺ في التوراة والإنجيل، وبيان ما هم عليه من السمات الحسن والهدى القويم وشدة عبادتهم لله وإخلاصهم لله رجاء ثوابه ونصرتهم لنبية ﷺ ووعد الله لهم بالمغفرة والأجر.

٤- قال تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٧].

نزلت هذه الآية في غزوة تبوك وقد خرج الصحابة ﷺ مع النبي ﷺ في حر شديد وجذب وعسر من الزاد والماء فأصابهم جهد شديد، فأخبر تعالى بتوبته عليهم ورحمته بهم.

٥- قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتَلُوا وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحَسَنِي﴾ [الحديد: ١٠].

والفتح: فتح مكة عند جمهور المفسرين،<sup>(١)</sup> وفي الآية وعد من الله تعالى للمنفقين قبل الفتح وبعده مع تفاوت في تفاضل الجزاء، وفيها بيان ما ينتظر الصحابة المنفقين والمقاتلين مع النبي ﷺ من الثواب العظيم.

٦- قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (٢) وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ لِمَا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿الجمعة: ٢-٣﴾.

في الآية أن النبي ﷺ ابتعثه الله عز وجل إلى الأميين وهم العرب رسولاً فعلمهم كتاب ربهم وطهرهم بعد أن كانوا على الضلال وبتلك النعمة تحققت الغاية من البعثة والرسالة. ثم تعدى الخير عن طريقهم إلى أمم أخرى دخلوا بعد ذلك في هذا الدين.

(١) وأورد الطبري في تفسيره القول الآخر وهو يفيد أن المراد بالفتح صلح الحديبية وهو الراجح.

٧- قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يَحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنًا نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٩) وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ٨-١٠].

في الآية مدح عظيم وفضل كبير لصحابة النبي ﷺ. وفيها شهادة للمهاجرين أنهم ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ بأعمالهم ونصرتهم لهذا الدين. ووصفهم بأنهم ﴿الصَّادِقُونَ﴾. وفيها شهادة للأَنْصَارِ بِمَحَبَّتِهِمْ لِإِخْوَانِهِمُ الْمُهَاجِرِينَ وَإِثَارِهِمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَأَنَّهُمْ ﴿الْمُفْلِحُونَ﴾.

ثم ثناء على كل من جاء بعدهم وقد استغفر ودعا لهؤلاء السابقين ونقى قلبه من الغل لهم.

٨- قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٤].

والآية فيها ثناء وتقديم للمهاجرين من صحابة النبي ﷺ والشهادة لهم بصدق الإيمان والإخلاص في الجهاد ونصرة الله عز وجل. ووعد لهم بالمغفرة للذنوب والرزق الكريم في الآخرة.

٩- قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ وَسُحَّانَ لِلَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

في الآية أمر من الله لنبيه ﷺ أن يخبر الناس أنه ومن اتبعه من صحابته إنما يدعون إلى الله وحده على علم ويقين بما يدعون به وأنهم ينزهون الله تعالى عن الند والشريك والبراءة من الشرك والمشركين.

\* والصحابة رضوان الله عليهم هم أول من خاطبهم الله تعالى ووجه الثناء إليهم من هذه الأمة، فوصفهم أنهم الأحق بكلمة التقوى وهم أهلها، وناداهم بـ ﴿يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ﴾، وجعلهم ﴿شهداء على الناس﴾ وأخبر أنه لا يخزيهم يوم القيامة بل

يجعل لهم نوراً، وأثبت لهم الخيرية على سائر الأمم، وأثبت عدالتهم والآيات في ذلك كثيرة جداً منها: -

قال تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا﴾ [البقرة: ١٣٧].

والصحابه أول الداخلين في هذه الآية وهي عامة في كل المؤمنين.

وقال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١] وفيها إثبات

الخيرية لهذه الأمة على سائر الأمم، وأحق الأمة بهذا الوصف هم صحابة النبي ﷺ وهم أول من خوطب بها.

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ

وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾.

فتضمنت تأمين الله تعالى لصحابه النبي ﷺ من خزي يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣]

وفيها عدالة هذه الأمة وشهادتها على سائر الناس، وأحق الأمة بها هم صحابة النبي ﷺ.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ

اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ [الجمعة: ٩].

وأول من خوطب بهذه الآية ووصف فيها بالإيمان والاستجابة لله تعالى

ولرسوله ﷺ هم صحابة النبي ﷺ.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَىٰ الَّذِينَ مِنْ

قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٣].

والصحابه هم المنادون بهذا النداء الإيماني.

هذا هو موضع ربط الإيمان بالله وسلام

## الأحاديث النبوية فى فضل الصحابة رضي الله عنهم:

والأحاديث فى ذلك أيضاً كثيرة منها:

١- روى البخارى عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سئل رسول الله صلوات الله عليه وسلم أى الناس خير قال: «أقرانى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تبدر شهادة أحدهم يمينه وتبدر يمينه شهادته». (١)

٢- وفى الصحيحين عن عمران بن حصين رضي الله عنه أن النبي صلوات الله عليه وسلم قال: «إن خيركم قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» قال عمران: فلا أدرى أقال رسول الله صلوات الله عليه وسلم بعد قرنه مرتين أو ثلاثاً. (٢)

٣- وعند مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رجل النبي صلوات الله عليه وسلم أى الناس خير؟ قال: «القرن الذى أنا فيه ثم الثانى ثم الثالث». (٣)

٤- عن أبى هريرة رضي الله عنه أن النبي صلوات الله عليه وسلم قال: «لا تسبوا أصحابى فوالذى نفسى بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم أو نصيفه» (٤) رواه مسلم.

٥- فى الصحيحين عن علي رضي الله عنه أن النبي صلوات الله عليه وسلم قال: «لعل الله اطلع إلى أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة أو فقد غفرت لكم» (٥).

٦- وعند مسلم مرفوعاً (٦): «لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة».

٧- وفى حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه أن النبي صلوات الله عليه وسلم قال: «عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ» (٧).

(١) رواه البخارى فى فضائل الصحابة باب فضائل أصحاب النبي صلوات الله عليه وسلم ورواه مسلم فى فضائل الصحابة باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم.

(٢) رواه البخارى فى فضائل الصحابة باب فضائل أصحاب النبي صلوات الله عليه وسلم، ورواه مسلم فى فضائل الصحابة باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم.

(٣) رواه مسلم فى فضائل الصحابة باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم.

(٤) رواه مسلم فى فضائل الصحابة باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم.

(٥) رواه البخارى فى المغازى باب غزوة الفتح، وفى التفسير، وفى الأدب وفى الجهاد. ورواه مسلم فى فضائل الصحابة باب من فضائل أهل بدر رضي الله عنهم وقصة حاطب بن أبى بلتعة.

(٦) رواه مسلم فى فضائل الصحابة باب من فضائل أصحاب الشجرة أهل بيعة الرضوان.

(٧) رواه أحمد وأبو داود والترمذى وقال: حسن صحيح. ورواه ابن ماجه. وهو من أحاديث الأربعين النووية.

٨- وعن أبي بردة عن أبيه رضي الله عنه قال: صليت المغرب مع رسول الله ثم قلنا لو جلسنا حتى نصلى العشاء. قال: فجلسنا فخرج علينا فقال: ما زلتم هاهنا. قلنا: يا رسول الله صلينا معك المغرب ثم قلنا نجلس حتى نصلى معك العشاء. قال: أحسستم أو أصبتم. قال: فرفع رأسه إلى السماء، وكان كثيراً ما يرفع رأسه إلى السماء، فقال: النجوم أمانة السماء، فإذا ذهب النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمانة لأصحابي فإذا ذهب أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمانة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون. (١) رواه مسلم.

الأمنة: الأمن والأمان.

وفيه أن ذهاب الصحابة رضي الله عنهم وانقضاء جيلهم يعقبه ظهور البدع والحوادث في الدين والفتن، وقد كان، وهذه كلها من دلائل صدق نبوته صلى الله عليه وسلم.

٩- وفي الصحيح عن أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يأتي على الناس زمان يغزو فئام من الناس فيقال لهم: فيكم من رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم، ثم يغزو فئام من الناس فيقال لهم: فيكم من رأى من صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم، ثم يغزو فئام من الناس فيقال لهم: فيكم من رأى من صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم. (٢)

١٠- وعند مسلم في صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب، يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدكم بيده فهو مؤمن ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل. (٣)

١١- وعن وائلة رضي الله عنها مرفوعاً: «لا تزالون بخير ما دام فيكم من رآني وصاحبني، والله ما تزالون بخير ما دام فيكم من رأى من رآني وصاحبني». (٤)

(١) رواه مسلم في فضائل الصحابة باب بيان أن بقاء النبي صلى الله عليه وسلم أمان لأصحابه.

(٢) رواه البخاري في فضائل الصحابة باب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وفي الجهاد، وفي الأنبياء. ورواه مسلم في فضائل الصحابة باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم.

(٣) رواه مسلم في صحيحه.

(٤) رواه ابن أبي شيبة في الفضائل (١٢٤٦٣/٤) ورواه ابن أبي عاصم بأطول منه (١٤٨١) قال الحافظ ابن

حجر (فتح الباري ج٥/٧): وإسناده حسن.

كيف  
بكل شيا فقم  
مع حديثه  
بعض الأبيات  
بأمره وهو  
التيه

١٢- وعن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه أن النبي صلوات الله عليه قال: «الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، يوشك أن يأخذه». (١)

١٣- وفي الصحيحين مرفوعاً: «آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار». وفي رواية: «لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق».

وعند مسلم مرفوعاً: «اللهم اغفر للأنصار ولأبناء الأنصار ولأبناء أبناء الأنصار».

وفي رواية في الصحيحين: «إن الناس سيكثرون وهم يقلون فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم».

١٤- وفي حديث افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة قال صلوات الله عليه في صفة الفرقة الناجية أنها علي: «ما أنا عليه وأصحابي». (٢)

١٥- عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: نزلت على النبي صلوات الله عليه: «لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ» [الفتح: ٢] مرجعه من الحديدية، قال النبي صلوات الله عليه: «لقد أنزلت على الليلة آية أحب إلى مما على الأرض ثم قرأها عليهم النبي صلوات الله عليه فقالوا: هنيئاً مريئاً يا نبي الله بين السله عز وجل ما يفعل بك فماذا يفعل بنا؟ فنزلت عليه صلوات الله عليه ﴿لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفَّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٥]. (٣)

(١) رواه أحمد (٨٧/٤) و(٥٤/٥٧)، والبخاري في تاريخه، والترمذي (٢٤٤/١٣)، وأبو نعيم في

الخلية، والبيهقي في شعب الإيمان، وصححه ابن حبان، وفيه: عبد الرحمن بن زياد لا يعرف.

(٢) انظر السلسلة الصحيحة للألباني الحديث رقم ٢٠٤ وزيادة (ما أنا عليه وأصحابي) مروية عن أنس عند

الطبراني في الصغير وفي سندها مقال، وعن ابن عمرو عند الترمذي وفيها ضعف، ورويت عن أبي

أمامة وأبي الدرداء ووائل بن الأسقع وهي زيادة حسنة.

(٣) رواه البخاري في صحيحه كتاب المغازي باب (غزوة الحديدية) وانظر تفسير ابن كثير لسورة الفتح ج ٣

ص ١٨٣ ط. المكتبة التوفيقية.

من أقوال السلف في فضل الصحابة رضي الله عنهم:

- ١- عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه، وابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد صلوات الله عليهم فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على دينه، فما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رأوه سيئاً فهو عند الله سيء»<sup>(١)</sup>.
- ٢- وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «لا تسبوا أصحاب محمد فلمقام أحدهم ساعة - يعني مع النبي صلوات الله عليهم - خير من عمل أحدكم عمره»<sup>(٢)</sup>.
- ٣- وعن ابن عباس رضي الله عنهما: «لا تسبوا أصحاب محمد صلوات الله عليهم فلمقام أحدهم ساعة - يعني مع النبي صلوات الله عليهم - خير من عمل أحدكم أربعين سنة». وفي رواية: (خير من عبادة أحدكم عمره).
- ٤- وعن ابن عباس أيضاً: «لا تنسبوا أصحاب محمد صلوات الله عليهم فإن الله قد أمر بالاستغفار لهم، وقد علم أنهم سيقتلون»<sup>(٣)</sup>.
- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «أمروا بالاستغفار لأصحاب محمد صلوات الله عليهم فسبوهم»<sup>(٤)</sup>.
- وقيل لها: إن أناساً يتناولون أصحاب رسول الله صلوات الله عليهم حتى أبا بكر وعمر. فقالت رضي الله عنها: وما تعجبون من هذا انقطع عنهم العمل فأحب الله أن لا ينقطع عنهم الأجر.
- وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «كان أصحاب رسول الله صلوات الله عليهم خير هذه الأمة قلوباً، وأعمقهم علماً، وأفلمهم تكلفاً، اختارهم الله عز وجل لصحبة نبيه ونقل دينه.
- وعن سعيد بن زيد رضي الله عنه قال: «والله لمشهد رجل منهم - يعني الصحابة - مع رسول الله صلوات الله عليهم يغبر منه وجهه خير من عمل أحدكم ولو عمّر عمر نوح». ثم قال يتوعد من يبغضهم أو يسبهم: «لا جرم لما انقطعت أعمارهم أراد الله أن لا ينقطع الأجر عنهم إلى يوم القيامة، والشقى من أبغضهم والسعيد من أحبهم»<sup>(٥)</sup>.

(١) رواه أحمد والطبراني في مسنده وابن الأعرابي في معجمه. وهو صحيح موقوفاً. وانظر السلسلة الضعيفة والموضوعة رقم (٥٣٣) للألباني.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه وابن ماجه وابن أبي عاصم في السنة.

(٣) رواه أحمد.

(٤) رواه مسلم وأبو عاصم في السنة وابن أبي شيبة والهشمي في مجمع الزوائد من رواية الطبراني.

(٥) رواه الترمذي وأبو داود.

## رأى المتكلمين في صحابة النبي ﷺ :

\* ذهب المتكلمون إلى تقديم منهجهم وطريقتهم على منهج وطريقة الصحابة ورأوا أن الصحابة لم يحيطوا بأهيات أصول الدين،<sup>(١)</sup> وزعموا أن الصحابة انشغلوا بالجهاد في سبيل الله وإرساء قواعد هذا الدين وحمايته عن تعلم هذه المسائل الأصولية ودراساتها.

يقول د. مصطفى حلمي: «لقد بحث المتكلمون ونقبوا في تاريخ الصحابة وأيامهم فلم يجدوا آثاراً تدل على خوض الصحابة فيها بنفس طريقتهم وتبوياتهم، فاستنتجوا أنهم لم يعرفوها كما تهادى المتكلمون بالظعن في الصحابة فزعموا أنهم كانوا مشغولين بالجهاد عن تناول أهيات أصول الدين!! وهذا خطأ جسيم وتفسير مقلوب إذ لا يمكن تفسير الانتصارات المذهلة للصحابة إلا في ضوء استجاباتهم لعقيدة الإسلام وفهمها حق الفهم وتطبيقها عملياً<sup>(٢-٣)</sup>، فاجتذبوا غيرهم من الشعوب ذات الحضارة العريقة، فكان الصحابة في وضع الطلائع والصنفة الممتازة. ا.هـ.<sup>(٤)</sup>»

(١) ليس تقسيم الدين إلى فروع وأصول تقسيماً شرعياً، ويراد بالفروع الأحكام الفقهية، وبالأصول مسائل العقائد والتوحيد، فهذا تقسيم محدث، دأب عليه المتكلمون، ومن ثم جعلوا الكتاب والسنة للأحكام الفرعية الفقهية، والأدلة العقلية الكلامية لمسائل الأصول. ومن ثم قيل بالعدر بالجهل في الأحكام الفرعية وعدم العذر في مسائل الأصول ومنع التقليد فيها. والشرع لا يعرف هذا التقسيم الاصطلاحي عند المتكلمين وغيرهم، ولكن جرى به العمل بين العلماء من المتأخرين. ولا بد أن ننتبه هنا إلى أن التقسيم نوعان:-

١- تقسيم شرعي وهو الذي بُني عليه أحكام كما قسم القرآن الذنوب إلى شرك وما دون ذلك في قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ وقسم النبي ﷺ الشرك إلى أصغر وأكبر بقوله (أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر) - الرياء فإنكار هذا التقسيم ضلال والتسوية بين أحكامه هو من فعل أهل البدع.

٢- تقسيم اصطلاحى وهو الذى استحدثه العلماء والمتأخرون كتقسيم العلوم إلى فقه وتوحيد وتفسير ولا شك أنه حادث لكن إن لم يبين عليه حكم وكان غرضه البيان لم يضر إذ لا مشاحة في الاصطلاح أما إذا بنى على التقسيم حكم كأن يقال يعذر بالجهل في الفروع ولا يعذر في الأصول-أو يجب التقليد في العمل ويحرم في الاعتقاد ونحو ذلك فهذا هو البدعة المحدثة (وكتبه ياسر برهامي). وهذا هو الظن اللائق بهم، وعليه السنن الكونية فلا تمكين إلا لأهل الحق والإيمان بعد الصبر على البلاء والأخذ بالأسباب في نصرة الدين. قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥].

(٣) الذى عليه أهل الحق أن الدين قد كمل قبل وفاته ﷺ وأن الصحابة أخذوه منه تاماً، وطبقوه كاملاً، وبلغوه لمن بعدهم وأفيأماً أهل البدع من المتكلمين فيرون أن الدين قد كمل وتم على أيديهم فهم الذين هدوا الناس إلى الصواب في مسائل أصول الدين!!!

(٤) قواعد المنهج السلفى للدكتور مصطفى حلمى حفظه الله بتصرف: ص ٦٣ . ومنهج علماء الحديث فى أصول الدين له ص ٣٣ .

يقول د. مصطفى حلمي: «إن الادعاء بأن الصحابة كانوا مشغولين بالجهاد كما يذكر بعض المتكلمين يحمل في طياته ذم الصحابة. ومؤداه أيضاً أن الرسول ﷺ بلغ قرآناً لا يفهم معناه بل تكلم بأحاديث الصفات وهو لا يفهم معناها، وأن جبريل كذلك وأن الصحابة والتابعين كذلك. وهذا الموقف كما يذكر ابن تيمية ضلال عظيم». ا. هـ. (١)

وقد ذكر د. مصطفى حلمي بعض الأمثلة المروية عن الصحابة تدل على عمق فهمهم وإحاطتهم بأصول هذا الدين وعقائده، (٢) وإن لم يتكلموا فيها بطريقة واصطلاحات الفلاسفة والمتكلمين، لأن هذه الاصطلاحات الكلامية لم تعرف في عهدهم ولم تثار كما أثرت بعد ذلك على يد أهل البدع والأهواء من المتكلمين.

فمن أمثلة ذلك:

\* عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان مرة في جنازة فلما وضع الميت في لحده قام رجل فقال: اللهم رب القرآن اغفر له، فوثب ابن عباس إليه فقال: «القرآن منه» وفي رواية: «القرآن كلام الله وليس بمربوب منه خرج وإليه يعود».

\* وعن أبي بكر رضي الله عنه أنه كان يقول: أقول برأى فإن كان صواباً فمن الله وإن كان خطأً فمني ومن الشيطان.

\* وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه أوتى برجل قد سرق فسئل عن فعلته فاحتج بالقضاء والقدر على معصيته، فقال: قضى الله عليّ. فأمر عمر بقطع يده وضربه أسواطاً. وقال: القطع للسرقة والجلد لما كذب على الله.

\* وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه لما حاصره الثور في بيته رموه قائلين: «الله يرميك»، فقال: كذبتم لو رمانى ما أخطأني.

(١) قواعد المنهج السلفي: ص ١٨١ وانظر شرح ابن تيمية لحديث النزول وتفسيره لسورة الإخلاص ومقدمة الفتوى الحموية الكبرى.

(٢) قواعد المنهج السلفي: ص ٤٢-٤٥.

ولا شك أن النبي ﷺ وضح لأصحابه حقائق الدين ولم يترك شيئاً إلا وبينه لهم سواء من الأمور الماضية كبدء الخلق أو الأمور الغيبية كالملائكة وأحوال الآخرة، وما كان الصحابة ليتأخروا عن تعلم أمور دينهم خاصة العقائدية.

\* وعندما اعترض الخوارج على علي بن أبي طالب لأنه حكم الحكّمين بعد موقعة صفين: قالوا له: «حَكَّمْت رجلين؟» قال: ما حكمت مخلوقاً إنما حكمت القرآن<sup>(١)</sup>. وفي إجابته أنه ما حكم إلا القرآن ونفى أنه مخلوق.

\* وعن ابن مسعود أنه قال: من حلف بالقرآن فعليه بكل آية يمين: وفيه أن القرآن ليس بمخلوق، لذا جعل كفارة اليمين عن كل آية فيه. ولا يجوز الحلف بالمخلوق.

\* وسئل ابن عمر عن مرتكبي معاصي يزعمون أن ذلك بعلم الله تعالى فغضب<sup>عليه السلام</sup> وقال: «سبحان الله العظيم قد كان ذلك في علمه أنهم يفعلونها ولم يحملهم علم الله على فعلها». (٢)



(١) منهج علماء الحديث والسنة في أصول الدين: د. مصطفى حلمي ط. دار الدعوة ص ١٨ نقلاً عن فتاوى ابن تيمية تحقيق حسين محمد مخلوف ج ٥ / ص ٥٦ .  
(٢) المرجع السابق: ص ١٩ نقلاً عن (فرق وطبقات المعتزلة) للقاضي عبد الجبار ص ٢٦ ط. دار المطبوعات الإسكندرية. تحقيق د. النشار وعصام الدين محمد علي.

## علم الكلام

عرف ابن خلدون علم الكلام بأنه: «علم يتضمن اللجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة»<sup>(١)</sup>.

وينسب تنظيم علم الكلام وتبويبه وتفريعه إلى المعتزلة، لأنهم أول من فعل ذلك، ففي زمن (عمرو بن عبيد) تكلموا في الوعد وإنكار القدر. ثم جاء بعده (العلاف) و(النظام) وأشباههم من أهل الكلام فنفوا الصفات الإلهية<sup>(٢)</sup>.

واختلف في سبب تسميته (علم الكلام): فقيل إما لما فيه من المناظرة على البدع وهى كلام صرف وليست راجعة إلى عمل، أو لأن سبب وضعه والخوض فيه هو تنازعهم في إثبات الكلام النفسى وتمييزاً له عن الفقه لأن الفقه عمل<sup>(٣)</sup>.

### أهم موضوعات علم الكلام:

١- الرد على الدهرية القائلين بقدوم العالم: وذلك بالبرهنة على أن لهذا العالم خالقاً هو الله تعالى<sup>(٤)</sup>.

٢- تنزيه الله تعالى: بالرد على النصارى القائلين بالتثليث<sup>(٥)</sup>، والرد على اليهود في تشبيه صفات الخالق بالمخلوقين، والرد على المجوس القائلين بإله للنور وإله للظلام.

(١) قواعد المنهج السلفي: ص ٧٢ ومنهج علماء الحديث والسنة: ص ٧٣-٨٢.

(٢) المرجع السابق: ص ٧٠.

(٣) المرجع السابق: ص ٧٢.

- ابن خلدون: توفي عام ٨٠٨هـ الموافق ١٤٠٥م.

- عمرو بن عبيد: توفي عام ١١٤هـ الموافق ٧٦١م.

(٤) وهذا هو توحيد الربوبية وهو الغاية الكبرى عند علماء الكلام والفلسفة وتوحيد الربوبية وحده لا يكفي في الإسلام حتى يكون معه توحيد الألوهية - بإفراد الله بالعبادة - وتوحيد الأسماء والصفات بإفراد الله تعالى في أسمائه وصفاته ووصفه بما وصف به نفسه في كتابه وسنة نبيه ﷺ بلا تشبيه أو تمثيل أو تأويل أو تعطيل أو نفي.

(٥) يقول ابن تيمية: «وكثير من المصنفين في الكلام لا يردون على أهل الكتاب إلا ما يقولون أنه يعلم بالعقل من تثليث النصارى ومثل تكذيب محمد ﷺ ولا يناظروهم في غير هذا من أصول الدين، وهذا تقصير منهم ومخالفة لطريق القرآن، فإن الله يبين في القرآن ما خالفوا به الأنبياء، ويذمهم على ذلك، والقرآن مملوء من ذلك، إذ كان الكفر والإيمان يتعلق بالرسالة والنبوة، فإذا تبين ما خالفوا فيه الأنبياء ظهر كفرهم» أ.هـ. معارج الوصول إلى أن أصول الدين وفروعه قد بينها الرسول ﷺ ص ٢٣.

- ٣- إثبات الصفات الواجبة لله: القادر، العالم، الحي، القيوم، الواحد. والرد على نفاتها.
- ٤- الكلام في رؤية الله عز وجل في الجنة.
- ٥- الكلام في كلام الله مخلوق أو غير مخلوق.
- ٦- الكلام في أفعال العباد: مخلوقة هي أم غير مخلوقة، وهل الاستطاعة قبل الفعل أم معه.
- ٧- الكلام في حكم مرتكب الكبيرة هل يكفر بها أم لا.
- ٨- الكلام في إثبات النبوات عامة (للرد على نفاتها من البراهمة)، وإثبات نبوة محمد ﷺ خاصة.
- ٩- الكلام عن الإمامة العظمي: من يصلح لها، وهل تتم بأهل الحل والعقد أم أنها تتم بالنص.

### حجج المتكلمين في الدفاع عن منهجهم العقلي

- \* من حجج المتكلمين في الدفاع عن منهجهم العقلي:-
- ١- أن علم الكلام ظهر في زمن تابعي التابعين، ودون في الكتب، واشتهر بلا نكير، مما يفهم منه استحسانهم له، فهو إذاً من البدع الحسنة، ولم لا؟ فيه الرد على الشبهات، وتقوية وتثبيت أقدام الموحدين.
- ٢- أن الأدلة العقلية لازمة لبيان صحة الحقائق الدينية ولا بد من البراهين العقلية ليكون التعريف بالحق صحيحاً.
- ٣- أن القرآن الكريم ذم التقليد والمقلدين في آيات كثيرة، وحث على النظر والاستدلال، ولا يكون ترك التقليد ولا يكون النظر والاستدلال إلا باستعمال العقل.
- ٤- أن أهل الحديث لما انصرفوا عن الاستدلال بالعقل صاروا عاجزين عن مجارة أعداء الدين من المتكلمين والسبب قلة بضاعتهم في علم الكلام.

٥- أن الأمر بمجادلة أعداء الدين جاء في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥] والخطاب لكل الأمة كما هو للنبي ﷺ ولا يتأتى الجدل إلا بدراسة علم الكلام واستخدامه.

٦- أن تعلم علم الكلام ودراسته أقل أحواله أنه فرض كفاية على الأمة ليكون فيها من يقدر على دفع شبه أعداء الدين والمبتدعين من أهل الكلام منهمجهم وطريقتهم. قال الإمام الغزالي في الإحياء:

«فاعلم أن الحق: أنه لا بد في كل بلد من قائم بهذا العلم<sup>(١)</sup> مستقل، يدفع شبه المبتدعة التي ثارت في تلك البلدة، ولكن ليس من الصواب تدريسه على العموم كتدريس الفقه والتفسير فإن هذا من الدواء، والفقه مثل الغذاء، وضرر الغذاء لا يحذر، وضرر الدواء محذور» ا.هـ. (٢)

وقد أوجب على تلك الادعاءات بأجوبة ملخصها:-(٣)

١- أن السلف الصالح لم يمارسوا علم الكلام بل تركوا دراسته، والآثار عن الأئمة التي تشهد بذلك كثيرة. وإنما شجع الناس على ترجمة كتب الفلسفة وعلم الكلام عن اليونانية الخلفاء والحكام الذين استمالتهم مذاهب أهل البدع، أما العلماء والأئمة فأعرضوا عن ذلك كله، وليس في الدين بدعة حسنة، وما لم يكن في عهد النبي ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم من الدين، فلا يكون من بعدهم ديناً، وقد أكمل الله لنا الدين قبل أن تعرف الأمة علم الكلام. قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

٢- أن عقل الإنسان ليس له أن يوجب شيئاً أو يحرمه، وليس له حق التشريع من دون الله تعالى، وإنما مرد التحليل والتحرير إلى الشرع، وعلي ذلك الحجة والحساب. قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

(١) أي علم الكلام.

(٢) من رسالة (فصل الكلام في ذم علم الكلام) إعداد يحيى مختار غزاوي ط. المدينة للتوزيع مؤسسة الريان بيروت ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م ص ٢٣-٢٤. نقلاً عن الغزالي في الإحياء. وانظر مفاتيح الغيب للرازي ط. دار الغد العربي المجلد الأول ص ٤٧٧-٤٧٩ حيث استدلل علي الفرضية بورود ذم التقليد والأمر بالنظر العقلي والمجادلة بالتي هي أحسن وإن هذا لا يتأتى إلا بعلم الكلام فوجب على الأمة بذلك وانظر مقدمة المستصفي في الأصول للغزالي.

(٣) راجع في ذلك قواعد المنهج السلفي: ص ٦٨-٨٦.

وقال تعالى: ﴿رسلنا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾. فلو كانت الحجة تلزم بالعقل فقط لم يكن بعث الرسل شرطاً لاستحقاق العقوبة الأخروية.

٣- أن منهج السلف مبني على الاتباع لا التقليد، وشتان ما بين الحالين: فالتقليد: أخذ قول الغير بلا حجة.

والاتباع: السير على منهج الرسول ﷺ ومتابعته بعد قيام الأدلة اليقينية على صدق نبوته، وهو المبلغ عن الله، والموحى إليه منه.

أما أهل الكلام فمعلوم عنهم أنهم لا يجتمعون على رأى واحد فى مسألة، فهم دائموا الاختلاف، ينقض بعضهم أقوال بعض، ويطعن بعضهم فى أقوال بعض، حتى أنه قد صرح أذكيأؤهم أنهم لم يحصلوا غايتهم من علم الكلام بعد طول بحث وتنقيب.

٤- أما العيب على أهل الحديث بعدم القدرة على مجاراة المتكلمين ومجادلتهم، فلا يخفى أن القدرة على اللجاج والمجادلة والمماراة ليست من الأمور الممدوحة، خاصة أمام نصوص الكتاب والسنة، التى بينت لنا كل ما نحتاج إليه من أصول الدين وفروعه. وقد جاء الشرع بدم الجدل والمماراة.

ولو أراد الصحابة -ومن بعدهم أهل الحديث- الخوض فى علم الكلام والجدل والمماراة لطلبوه وخاضوا فيه واشتغلوا به، ولكنهم قد استغنوا بما عندهم من الحق عنه.

ومحاورات الرسل والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم مع أقوامهم كما أوردها القرآن الكريم بعيدة كل البعد عن الجدل الفلسفى وأساليب علماء الكلام، وكذلك سنة النبي ﷺ، ويعلم من أخبار رسل النبي ﷺ إلى هرقل والمقوقس وكسرى وغيرهم من الملوك والحكام كانت تقتصر على الدعوة إلى دين الله دون جدل فلسفى أو خوض فيه، فعلم بذلك أن الجدل والخوض فيه لا خير من ورائه.

٥- أما الأمر القرآنى بمجادلة أعداء الإسلام بالتى هى أحسن فليس المراد به المجادلة بعلم الكلام وطسرق المتكلمين وأقوال الفلاسفة، وهذا الأمر القرآنى أمر مجمل، وضحته وبيته سنة النبي ﷺ وسيرته فى حواراته مع المشركين من العرب واليهود من أهل الكتاب والنصارى كوفد نجران ومراسلاته ﷺ للملوك

والحكام، وكلها - كما هو معلوم - خالية من المجادلات الفلسفية والمناظرات الكلامية وإنما اقتصررت على بيان حقائق هذا الدين والدعوة إليه .

٦ - أما ادعاء وجوبه وأنه فرض كفاية فهو باطل من وجوه: (١)

منها أن الكتاب والسنة فيهما الغنى عن علم الكلام والفلسفة فلا لوم على من تمسك بهما وأعرض عما سواهما . فكيف يقال فيه أنه تارك لواجب .

وغاية ما يحصله المتكلمون موافقتهم للشرع في مواضع وصلوا إلى الحق فيها بطرقهم الكلامية وفي المقابل يخطئون في مواضع، ويختلفون في مواضع، وتتعدد أقوالهم، وتفترق عقائدهم، كما هو معلوم عنهم، فكيف يعد من تمسك بهدى القرآن والسنة مقصر، ومن خاض في مناهج المتكلمين موفق، وقد عرض نفسه للزلل .

أن الأنبياء والرسل - وهم أكمل الخلق وصفوته - لم يكونوا من حكماء الفلاسفة أو حذاق المتكلمين، ولا يعرف هذا من سيرتهم، ولم يدعو إليه . فكيف يقال عندئذ بوجوبه؟ .

قد علمت أن الشرع ذم الجدل والمماراة، وأن السلف الصالح عابوا على المتكلمين وطعنوا فيهم، (٢) فكيف يكون ذلك مع وجوبه على الأمة .

يقول ابن الصلاح رحمه الله: - «المنطق مدخل الفلسفة، ومدخل الشرع، وليس الاشتغال بتعليمه وتعلمه مما أباحه الشارع ولا استباحه أحد من الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين والسلف الصالحين وسائر من يقتدى به» ا.هـ. (٣)

ولذلك اشتهر بين المتأخرين قولهم: «من تمنطق فقد تزندق» .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتابه: (نقض المنطق): «أما المنطق فمن قال: إنه فرض كفاية، وأن من ليس له به خبرة فليس له ثقة بشيء من علومه: فهذا القول غاية في الفساد». (٤)

(١) يراجع في ذلك: مقارنة بين الغزالي وابن تيمية: ص ٢٨-٢٩ الرد على المنطقيين لابن تيمية: ص ١٤-

١٥، ص ١٧٩، نقض المنطق: ص ١٥٧ .

(٢) وسنذكر طرفاً من ذلك بعد قليل إن شاء الله .

(٣) مقارنة بين الغزالي وابن تيمية: ص ٢٩ نقلاً عن فتاوى ابن الصلاح ط. القاهرة ص ٤٣ ١٣٤٨ هـ، مناهج

البحث عند مفكري الإسلام للدكتور علي النشار ص ١٤٢ ط. دار الفكر العربي القاهرة ١٩٦٧ م .

(٤) نقض المنطق لابن تيمية: ص ١٥٥-١٥٦ .

إبل الواقع قديماً وحديثاً: أنك لا تجد من يلزم نفسه أن ينظر في علومه وينظر به إلا وهو فاسد النظر والمناظرة، كثير العجز عن تحقيق علم وبيانه»<sup>(١)</sup> فأحسن ما يحمل عليه كلام المتكلم على هذا: أن يكون قد كان هو وأمثاله في غاية الجهل والضلالة، وقد فقدوا أسباب الهدى كلها، فلم يجدوا ما يردهم عن تلك الجهالات إلا بعض ما في المنطق من الأمور التي هي صحيحة فإنه بسبب بعض ذلك رجع كثير من هؤلاء عن بعض باطلهم، وإن لم يحصل لهم حق ينفعهم، وإن وقعوا في باطل آخر. ومع هذا فلا يصح نسبة وجوبه إلى شريعة الإسلام بوجه من الوجوه إذ أن من هذه حاله فإنما أتى من نفسه بترك ما أمر الله به من الحق، حتى احتاج إلى الباطل. ومن المعلوم أن القول بوجوبه قول غلاته وجهال أصحابه. ونفس الخذاق منهم لا يلتزمون قوانينه في كل علومهم بل يعرضون عنها إما لظولها وإما لعدم فائدتها وإما لفسادها، وإما لعدم تميزها وما فيها من الإجمال والاشتباه. فإن فيه مواضع كثيرة هي لحم جمل غث على رأس جبل وعر، لا سهل فيرتقى ولا سمين فينتقل. ولهذا ما زال علماء المسلمين وأئمة الدين يذمونهم ويذمون أهلهم وينهون عنه وعن أهلهم، حتى رأيت للمتأخرين فتياً فيها خطوط جماعة من أعيان زمانهم من أئمة الشافعية والحنفية وغيرهم فيها كلام عظيم في تحريمه وعقوبة أهلهم. حتى إن من الحكايات المشهورة التي بلغتنا: أن الشيخ أبا عمرو بن الصلاح أمر بانتزاع مدرسة معروفة من أبي الحسن الأمدى وقال: أخذها منه أفضل من أخذ عكا\*.) مع أن الأمدى لم يكن أحد في وقته أكثر تبحراً في العلوم الكلامية والفلسفية منه، وكان من أحسنهم إسلاماً وأمثلهم اعتقاداً<sup>(١)</sup>. ومن المعلوم أن الأمور الدقيقة سواء كانت حقاً أو باطلاً إيماناً أو كفراً لا تعلم إلا بذكاء وفتنة فكذلك أهلهم أي أهل المنطق قد يستجهلون من لم يشركهم في علمهم وإن كان إيمانه أحسن من إيمانهم إذا كان فيه قصور في الذكاء والبيان<sup>(١)</sup>. ا.هـ. بتصرف.

ويقول أيضاً رحمه الله: <sup>(٢)</sup> «وأيضاً فالقرآن ليس فيه أنه قال ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة والجدل، بل قال تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة

(١) نقض المنطق لابن تيمية: ص ١٥٥-١٥٦.

(\*) كانت عكا وقتها في أيدي الإفرنج الصليبيين.

(٢) مقارنة بين الغزالي وابن تيمية: ص ٣٦-٣٨ نقلاً عن ابن تيمية في الرد على المنطقيين: ص ٤٦٧-٤٦٩،

الْحَسَنَةَ وَجَادِلْهُمْ بِأَتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴿النحل: ١٢٥﴾ وذلك أن الإنسان له ثلاثة أحوال إما أن يعرف الحق ويعمل به، وإما أن يعرفه ولا يعمل به، وإما أن يجحده فصاحب الحال الأول هو الذي يدعى بالحكمة، فإن الحكمة هي العلم بالحق والعمل به، وليست الحكمة مما يقولونه من حكمة نظرية وعملية هي بعينها الفلسفة.

والنوع الثاني: من يعرف الحق لكن تخالفه نفسه، فهذا يوعظ الموعدة الحسنة، فهاتان هما الطريقتان: الحكمة والموعظة، وعامة الناس يحتاجون إلى هذا وهذا، فإن النفس لها أهواء تدعوها إلى خلاف الحق وإن عرفته، فالناس يحتاجون إلى الموعدة الحسنة وإلى الحكمة فلا بد من الدعوة بهذا وهذا. وأما الجدل فلا يدعى به، بل هو من باب دفع الصائل، فإن عارض الحق معارض جودل بالتي هي أحسن. وقال تعالى: ﴿بِأَتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ ولم يقل: بالحسنة، كما قال في الموعدة، لأن الجدل فيه موافقة ومغاضبة، فيحتاج أن يكون بالتي هي أحسن، حتى يصلح ما فيه من الممانعة والمدافعة. والمجادلة بعلم، كما أن الحكمة بعلم، وقد ذم الله من يجادل بغير علم، في غير موضع في كتابه. والله لا يأمر المؤمنين أن يجادلوا بمقدمة يسلم بها الخصم إن لم تكن علماً، فلو قدر أنه قال باطلاً لم يأمر الله تعالى أن يحتج عليهم بالباطل، والقرآن مقصوده بيان الحق ودعوة العباد إليه، وليس المقصود ذكر ما تناقضوا فيه من أقوالهم لتسجيل الخطأ عليهم». ا. هـ.

\* أمثلة لاستفسار الصحابة رضي الله عنهم للنبي صلوات الله عليه وسلم في مسائل أصول الدين والأمر الغيبية ليتعلموها.

روى البخارى فى كتاب (بدء الخلق) من صحيحه أن أناساً من أهل اليمن من الصحابة سألوه صلوات الله عليهم قالوا: جئناك نسألك عن هذا الأمر؟

قال صلوات الله عليهم: كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء وكتب فى الذكر كل شيء وخلق السموات والأرض. وروى أيضاً عن عائشة رضي الله عنها أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل النبي صلوات الله عليه وسلم: كيف يأتيك الوحي... الحديث.

وفى كتاب الأنبياء من صحيح البخارى عن أنس رضي الله عنه قال: بلغ عبد الله بن سلام مقدم رسول الله صلوات الله عليهم المدينة فأتاه فقال: إني سألتك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي: أول أشرط الساعة، وما أول طعام يأكله أهل الجنة؟ ومن أى شيء ينزع الولد إلى أبيه؟ ومن أى شيء ينزع إلى أخواله... الحديث.

وفى كتاب (التوحيد) من صحيحه روى البخارى عن أبى هريرة رضي الله عنه أن الناس قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل تضارون فى القمر ليلة البدر؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: فهل تضارون فى الشمس ليس دونها سحاب قالوا: لا يا رسول الله، قال: فإنكم ترونه كذلك... الحديث. تسببه الموثوق به، وبه الموثوق به

وروى فيه أيضاً عن عمران رضي الله عنه أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم فيما يعمل العاملون؟ فقال صلى الله عليه وسلم: كل ميسر لما خلق له.

والأحاديث فى ذلك كثيرة، تدل على حرص الصحابة على تعلم مسائل أصول الدين من النبي صلى الله عليه وسلم، وتدلل على أن النبي صلى الله عليه وسلم لم ينههم عن ذلك أو يمنعهم منه بل كان يجيبهم ويعلمهم ما يحتاجون إليه فى دينهم من ذلك.

### بين أهل الحديث والمتكلمين

فى كتابه (نقض المنطق) بين شيخ الإسلام ابن تيمية بعضاً مما يميز أهل الحديث ويقدمهم فى العلم والفضل على علماء المتكلمين: فمن ذلك:-

١- يقول ابن تيمية رحمه الله:- «من المعلوم أن أهل الحديث يشاركون كل طائفة فيما يتحلون به من صفات الكمال ويمتازون عنهم بما ليس عندهم. فإن المنازع لهم لا بد أن يذكر فيما يخالفهم فيه طريفاً آخرى، مثل: المعقول والقياس والرأى، والكلام والنظر والاستدلال والمحااجة والمجادلة، والمكاشفة والمخاطبة والوجد والذوق ونحو ذلك.

وكل هذه الطرق لأهل الحديث صفوتها وخلاصتها، فهم أكمل الناس عقلاً، وأعدلهم قياساً، وأصوبهم رأياً، وأسدهم كلاماً، وأصحهم نظراً، وأهداهم استدلالاً، وأقومهم جدلاً، وأتمهم فراسة، وأصدقهم إلهاماً، وأحدهم بصراً ومكاشفة، وأصوبهم سمعاً ومخاطبة، وأعظمهم وأحسنهم وجداً وذوقاً. وهذا هو للمسلمين بالنسبة إلى سائر الأمم، ولأهل السنة والحديث بالنسبة إلى سائر الملل»<sup>(١)</sup> ١. هـ.

(١) نقض المنطق لشيخ الإسلام ابن تيمية ط. مكتبة السنة المحمدية القاهرة بتصحيح الشيخ محمد حامد الفقي: ص ٧-٨.

«وذلك لأن اعتقاد الحق الثابت يقوى الإدراك ويصححه. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمد: ١٧] وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا﴾ (٦٦) وَإِذَا لَا تَيْنَاهُمْ مِّنْ لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا (٦٧) وَلَهْدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ [النساء: ٦٦-٦٨] (١) ١. هـ.

ولهذا كان الذم لأهل البدع أكثر كلما زاد بعدهم ومخالفتهم للكتاب والسنة وأهل الحديث. وكلما قويت متابعتهم للكتاب والسنة قل ذمهم.

ولهذا كان أهل الحديث معظمين عند جميع طوائف الأمة، وتوجد الإسلام والإيمان كلما ظهر وقوى كانت السنة وأهلها أظهر وأقوي. وإن ظهر شيء من الكفر والنفاق ظهرت البدع بحسب ذلك. مثل دولة المهدي والرشيدي ونحوهما ممن كان يعظم الإسلام والإيمان، (٢) وكان في أيام المتوكل قد أعز الإسلام حتى ألزم أهل الذمة بالشروط العُمريّة وألزموا الصغار، فعزت السنة والجماعة، وقمعت الجهمية والرافضة ونحوهم وكذلك في أيام المعتضد والمهدي والقادر وغيرهم من الخلفاء الذين كانوا أحمد سيرة وأحسن طريقة من غيرهم، وكان الإسلام في زمنهم أعز، وكانت السنة بحسب ذلك. (٣)

(وفي دولة أبي العباس المأمون ظهر الخرمية ونحوهم من المنافقين وعرب من كتب الأوائل المجلوبة من بلاد الروم ما انتشر بسببه مقالات الصابئين وراسل ملوك المشركين من الهند ونحوهم حتى صار بينه وبينهم مودة)، (٤) (وكان من أثر ذلك ما ظهر من استيلاء الجهمية والرافضة وغيرهم من أهل الضلال وتقريب الصابئة ونحوهم من المتفلسفة) (حتى امتحنت الأمة بنفى الصفات والتكذيب بكلام الله ورؤيته، وجرى من محنة الإمام أحمد وغيره ما جرى مما يطول وصفه). (٥)

(١) المصدر السابق: ص ٨.

(٢) المصدر السابق: ص ١١٨.

(٣) المصدر السابق: ص ١٢٠.

الخرمية: أتباع بابك الخرمي الذي عاث في الأرض فساداً بخراسان وغيرها. وقتل على يد المعتصم سنة ٢٢٣ هـ. انظر البداية والنهاية لابن كثير ج ١٠ / ص ٨٥.

الشروط العُمريّة: الشروط التي أخذها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب على أهل الذمة عند فتح المسلمين للقدس.

(٤) المصدر السابق: ص ١٩.

(٥) المصدر السابق: ص ١٩-٢٠.

٢- قد يعاب على أهل الحديث بأنهم يحتاجون أحياناً بأحاديث ضعيفة أو موضوعة أو بآثار لا تصلح للاحتجاج أو أنهم لا يفهمون معنى الأحاديث الصحيحة. أو الأمر راجع إلى شيئين: إما زيادة أقوال غير مفيدة تظن أنها مفيدة كالأحاديث الموضوعة وإما أقوال مفيدة لكنهم لا يفهمونها<sup>(١)</sup> أو لا ريب أن هذا موجود في بعضهم يحتاجون بأحاديث موضوعة في مسائل الأصول والفروع وبآثار مفتعلة وحكايات غير صحيحة، ويذكرون من القرآن والحديث ما لا يفهمون معناه<sup>(٢)</sup>.

وهذا يقع إما على طريق الخطأ المغفور، أو منكرًا من القول وزورا، وهذا على قلته فيهم، فهو في مخالفاتهم أكثر بكثير أو بيان ذلك أن ما ذكر من فضول الكلام الذي لا يفيد - مع اعتقاد أنه طريق إلى التصور والتصديق - هو في أهل الكلام والمنطق أضعاف أضعاف ما هو في أهل الحديث، فبإزاء احتجاج أولئك بالحديث الضعيف احتجاج هؤلاء بالحدود والأقيسة الكثيرة العقيمة التي لا تفيد معرفة، بل تفيد جهلاً وضلالاً، وبإزاء تكلم أولئك بأحاديث لا يفهمون معناها تكلف هؤلاء من القول بغير علم ما هو أعظم من ذلك وأكثر، وما أحسن قول الإمام أحمد: «ضعيف الحديث خير من رأى فلان»<sup>(٣)</sup> ا. هـ.

ثم لأهل الحديث من المزية: أن ما يقولونه من الكلام الذي لا يفهمه بعضهم هو كلام في نفسه حق،<sup>(٤)</sup> وقد آمنوا بذلك، وأما المتكلمة فيتكلمون من القول ما لا يفهمونه ولا يعلمون أنه حق، وأهل الحديث لا يستدلون بحديث ضعيف في نقض أصل عظيم من أصول الشريعة بل إما في تأييده وإما في فرع من الفروع، وأولئك يحتاجون بالحدود والمقاييس الفاسدة في نقض الأصول الحقة الثابتة<sup>(٥)</sup> ا. هـ.

٣- أو إذا كانت سعادة الدنيا والآخرة هي باتباع المرسلين، فمن المعلوم أن أحق الناس بذلك: هم أعلمهم بآثار المرسلين وأتبعهم لذلك، فالعالمون بأقوالهم وأفعالهم المتبعون لها هم أهل السعادة في كل زمان ومكان<sup>(٦)</sup>.

(١) المصدر السابق: ص ٢٢ .

(٢) المصدر السابق: ص ٢٣ .

(٤) لأنه من كتاب الله وسنة النبي ﷺ .

(٥) المصدر السابق: ص ٢٣ .

(٦) المصدر السابق: ص ٢٤ .

وهم لم يشاركوا سائر الأمة فيما عندهم من أمور الرسالة، ويمتازون عنهم بما اختلفوا به من العلم الموروث عن الرسول مما يجمله غيرهم أو يكذب به. (١) لكن المعلوم من حيث الجملة: أن الفلاسفة والمتكلمين من أعظم بنى آدم حشواً وقولاً للباطل وتكديماً للحق في مسائلهم ودلائلهم، لا يكاد -والله أعلم- تخلو لهم مسألة واحدة عن ذلك. (٢)

٤- {أنتك تجد أهل الكلام أكثر الناس انتقالاً من قول إلى قول، وجزماً بالقول في موضع وجزماً بنقيضه وتكفير قائله في موضع آخر، وهذا دليل عدم اليقين}. (٣)  
 {وأما أهل السنة فما يُعلمُ أحد من علمائهم، ولا صالح عامتهم رجوع قط عن قوله واعتقاده، بل هم أعظم الناس صبراً على ذلك وإن امتحنوا بأنواع المحن، وفتنوا بأنواع الفتن، وهذا حال الأنبياء وأتباعهم من المتقدمين كأهل الأخدود ونحوهم، وكسلف هذه الأمة والصحابة والتابعين وغيرهم من الأئمة}. (٤)

{وبالجملة: فالثبات والاستقرار في أهل الحديث والسنة أضعاف أضعاف أضعاف ما هو عند أهل الكلام والفلسفة} (٥) {والمقصود: أن ما عند عوام المؤمنين وعلمائهم أهل السنة والجماعة من المعرفة واليقين والطمأنينة، والجزم للحق والقول الثابت، والقطع بما هم عليه: أمر لا ينازع فيه إلا من سلبه الله العقل والدين}. (٦)

٥- {وأيضاً تجد أهل الفلسفة، والكلام أعظم الناس افتراقاً واختلافاً، مع دعوى كل منهم أن الذي يقوله حق مقطوع به، قام عليه البرهان، وأهل السنة والحديث أعظم الناس اتفاقاً واتساقاً}. (٧)

{ولست تجد اتفاقاً واتساقاً إلا بسبب اتباع آثار الأنبياء من القرآن والحديث، وما يتبع ذلك، ولا تجد اختراقاً واختلافاً إلا عند من ترك ذلك وقدم غيره عليه}. (٨)

(١)(٢) المصدر السابق: ص ٢٤ .

(٣)(٤) المصدر السابق: ص ٤٢ .

(٥) المصدر السابق: ص ٤٣ .

(٦) المصدر السابق: ص ٤١ .

(٧) المصدر السابق: ص ٤٣ .

(٨) المصدر السابق: ص ٤٦ .

والمعتزلة والروافض لما كانوا أبعد عن السنة والحديث كانوا أعظم افتراقاً في هذه، لاسيما الرافضة، فإنه يقال: إنهم أعظم الطوائف اختلافاً، وذلك لأنهم أبعد الطوائف عن السنة والجماعة بخلاف المعتزلة فإنهم أقرب إلى ذلك منهم، وكذلك الخوارج أقرب إلى ذلك منهم<sup>(١)</sup>. (١) هو معنى ذلك من الخوارج أتم به كاصول السنة مع المعتزلة

٦- وأيضاً المخالفون لأهل الحديث: هم مظنة فساد الأعمال، إما عن سوء عقيدة ونفاق، وإما عن مرض في القلب وضعف إيمان ففيهم من ترك الواجبات واعتداء الحدود والاستخفاف بالحقوق وقسوة القلب ما هو ظاهر لكل أحد، وعامة شيوخهم يرمون بالعظائم، وإن كان فيهم من هو معروف بزهد وعبادة، ففي زهد بعض العامة من أهل السنة وعبادته ما هو أرجح مما هو فيه. ومن المعلوم أن العلم أصل العمل، وصحة الأصول توجب صحة الفروع، والرجل لا يصدر عنه فساد العمل إلا لشيئين: إما الحاجة وإما الجهل، فأما العالم بقبح الشيء، الغنى عنه فلا يفعله، اللهم من غلب هواه عقله، واستولت عليه المعاصي، فذلك لون آخر وضرب ثان<sup>(٢)</sup>.

فقد حكى عن الجهم بن صفوان: أنه ترك الصلاة أربعين يوماً لا يرى وجوبها<sup>(٣)</sup>. وأبلغ من ذلك: أن منهم من يصنف في دين المشركين والردة عن الإسلام كما صنف الرازي كتابه في عبادة الكواكب والأصنام وأقام الأدلة على حسن ذلك ومنفعته ورغب فيه. وهذه ردة عن الإسلام باتفاق المسلمين وإن كان قد يكون تاب منه وعاد إلى الإسلام<sup>(٤)</sup>. (٤) هو هو الرازي مؤلف التفسير

٧- المتكلمون لم يكن لهم من المعرفة بالحديث ما يعدون به من عوام أهل الصناعة<sup>(٥)</sup> فضلاً عن خواصها، ولم يكن الواحد من هؤلاء يعرف البخاري

(١) المصدر السابق: ص ٤٦.

(٢) المصدر السابق: ص ٤٥.

(٣) المصدر السابق: ص ٤٦.

(٤) المصدر السابق: ص ٤٧.

(٥) يقول الإمام الذهبي عن حجة الإسلام الغزالي (في سير أعلام النبلاء) ولم يكن له علم بالآثار ولا خبرة بالسنن النبوية العاصية على العقل.

والغزالي نفسه يقول في كتابه رسالة قانون التأويل: وبضاعتي في علم الحديث مزجة أي قليلة. وانظر مقارنة بين الغزالي وابن تيمية للدكتور محمد رشاد سالم من (سلسلة زاد المسافرين وتبني الغافلين)

ومسلماً وأحاديثهما إلا بالسمع كما يذكر ذلك العامة، ولا يميزون بين الحديث الصحيح المتواتر عند أهل العلم بالحديث، وبين الحديث المقتري المكذوب، وكتبهم أصدق شاهد بذلك ففيها عجائب. وتجد عامة هؤلاء الخارجين عن منهج السلف من المتكلمة والمتصوفة يعترف بذلك إما عند الموت وإما قبل الموت والحكايات في هذا كثيرة معروفة<sup>(١)</sup>.

وأشهر مثال لذلك الإمام أبو الحسن الأشعري الذي عاش على الاعتزال أربعين عاماً ثم رجع عن ذلك إلى مذهب أهل الحديث وصنف كتابه (الإبانة)، وكذلك أبو حامد الغزالي المتبحر في الكلام والفلسفة والتصوف رجع إلى مذهب أهل الحديث وألف (إلجام العوام عن علم الكلام).

وكذلك عبارات الرازي في كتابه (أقسام اللذات) وفيها رجوعه عن الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية وقد ظهر له أنها لا تجدي.

ثم إن من عجيب الأمر: أن هؤلاء المتكلمين المدعين لحقائق الأمور العلمية والدينية، المخالفين للسنّة والجماعة يحتج كل منهم بما يقع له من حديث موضوع، أو مجمل لا يفهم معناه، وكلما وجد أثراً فيه إجمال نزلّه على رأيه<sup>(٢)</sup>.

وبالجملة فإهم أبعد عن معرفة الحديث، وأبعد عن اتباعه من هؤلاء، هذا أمر محسوس، بل إذا كشفت أحوالهم وجدتهم من أجهل الناس بأقواله ﷺ وأحواله وبواطن أموره وظواهرها، حتى لتجد كثيراً من العامة أعلم بذلك منهم، ولتجدهم لا يميزون بين ما قاله الرسول وما لم يقله بل لا يفرقون بين حديث متواتر عنه، وحديث مكذوب موضوع عليه وإنما يعتمدون في موافقته على ما يوافق قولهم سواء كان موضوعاً أو غير موضوع، فيعدلون إلى أحاديث يعلم خاصة الرسول بالضرورة اليقينية أنها مكذوبة عليه عن أحاديث يعلم خاصته بالضرورة اليقينية أنها قوله، وهم لا يعلمون مراده<sup>(٣)</sup>.

(١) المصدر السابق: ص ٦٠.

(٢) المصدر السابق: ص ٦٩.

(٣) المصدر السابق: ص ٨١-٨٢.

## أسباب معارضة السلف المتكلمين:

يمكن تلخيصها فى الاتى: (١)

١- أن فى الكتاب والسنة غنى عن أى وسائل أخرى لمعرفة عقائد الدين الإسلامى وقد كمل الدين بختام بعثة النبى ﷺ وقد بين ﷺ للأمة كل ما تحتاج إليه أتم البيان.

٢- خشية الفتنة فى الدين بسبب استخدام مصطلحات المتكلمين التى لم ترد فى الكتاب والسنة خاصة وقد تسببت بالفعل فى منازعات وخصومات بين المسلمين لعدم الاتفاق على مدلولاتها وتراكيبها.

٣- عدم قدرة كل فرد على النظر فى هذه العلوم والاجتهاد فيها، بينما يمكن لكل أحد الاقتداء بتشريعات الدين وأحكامه والرجوع إلى علماء الدين وفقهائه فى الحوادث المتجددة للاستفصال من حكم الدين فيها بأدلتها الشرعية.

٤- علم الكلام لا يفيد الاشتغال به شيئاً جديداً، فكل ما عدا الكتاب والسنة من فضول الكلام المضيع للوقت والجهد. ولو عكف المتكلمون على دراسة الكتاب والسنة لأدركوا ذلك وعرفوه. (٢)

٥- أن قضايا المتكلمين ومجادلاتهم ومسائلهم لا تظهر للأفهام كما أن قضايا الغيب المختص بشرحها وبيانها هم الأنبياء والرسل ويجب قبول ما جاءوا به والتسليم به، ولا يصح جعل العقل بديلاً عن الرسل والأنبياء فى تعريف هذه العقائد والغيبات.

(١) لمزيد من البيان راجع (السلفية بين العقيدة الإسلامية والفلسفة الغربية) د. مصطفى حلمي ص ٦٩-٧٤ .  
 (٢) وصف ابن تيمية رحمه الله من عاصره من المتكلمين بقوله: «وهم فى الحقيقة لا للإسلام نصرؤا ولا للفلاسفة كسروا». وقال أيضاً فيهم: (يسفسطون فى العقولات ويقرمطون فى السمعيات». وانظر شرح حديث النزول ومجموع الفتاوى ج٥ / ص٣٣، ص٤٤ .

## طريقة السلف

## أسلم وأحوط وأعلم وأحكم

ومن ميل المتكلمين ونصرتهم لمذهبهم تقديمهم لطريقتهم على طريقة السلف، فيقولون طريقة السلف أسلم وأحوط، وطريقة المتكلمين أعلم وأحكم، فيجعلون المتأخرين من المتكلمين أحذق وأعلم من السلف، ويجعلون الفضل والعلم والبيان والتحقيق والمعرفة للمتكلمين، ويجعلون النقص والتقصير أو الخطأ والجهل للسلف، وأفضل أحوالهم التماس الأعدار للسلف في ادعائهم التقصير والتفريط منهم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ولا ريب أن هذا شعبة من الرفض، فإنه وإن لم يكن تكفيراً للسلف - كما يقوله من يقوله من الرافضة والخوارج - ولا تفسيقاً لهم - كما يقوله من يقوله من المعتزلة والزيدية وغيرهم - كان تجهيلاً لهم وتخبطة وتضليلاً، ونسبة لهم إلى الذنوب والمعاصي، وإن لم يكن فسقاً فزعماً أن أهل القرون المفضولة في الشريعة أعلم وأفضل من أهل القرون الفاضلة.

ومن المعلوم بالضرورة لمن تدبر الكتاب والسنة، وما اتفق عليه أهل السنة والجماعة من جميع الطوائف: أن خير قرون هذه الأمة - في الأعمال والأقوال والاعتقاد وغيرها من كل فضيلة - أن خيرها: القرن الأول، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، كما ثبت ذلك عن النبي ﷺ من غير وجه، وأنهم أفضل من الخلف في كل فضيلة: من علم وعمل وإيمان وعقل ودين، وبيان وعبادة، وأنهم أولى بالبيان لكل مشكل. هذا لا يدفعه إلا من كابر المعلوم بالضرورة من دين الإسلام.

كما قال ابن مسعود رضي الله عنه من كان منكم مستنّاً فليستن بمن قد مات فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة. أولئك أصحاب محمد أبر هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم حقهم، وتمسكوا بهديهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم. وقال غيره: «عليكم بأثر من سلف فإنهم جاءوا بما يكفي وما يشفي، ولم يحدث بعدهم خير كما من لم يعلموه» ١.هـ.

وقال: «وما أحسن ما قال الشافعي رحمه الله في رسالته: هم فوقنا في كل علم وعقل ودين وفضل، وكل سبب ينال به علم أو يدرك به هدي، ورأيهم لنا خير من رأينا لأنفسنا» ١.هـ.

\* وبطلان ما أدعاه المتكلمون ظاهر من وجوه منها: (١)

١- أن السلف هم الأعلام بالقرآن الكريم والسنة النبوية حفظاً ودراية وفهماً، والأكثر تمسكاً بما فيهما، لا يعرضون عن الكتاب أو السنة، ولا يرون الهدى إلا فيهما، ولا شك أن هداية القرآن والسنة فوق كل هداية لمن نالها وعمل بها.

٢- أن الرسول ﷺ أكمل الخلق وأعلمهم بالحقائق، وأقومهم قولاً وحالاً، ويلزم من ذلك بالقياس العقلي الصحيح عند كل سليم الفطرة أن يكون أعلم الناس بهديه واقتداءً به أن يكون أفضل الخلق.

فإن قيل: في المتسبين إلى السنة من به تفریط وعدوان.

فالجواب: أن ذلك في غيرهم أكثر.

وهذه المخالفات سببها قلة المعرفة بالحديث والسنة، وقلة اتباع ذلك مع ما مع المخالفين من نوع تحقيق لبعض العلم وإحسان لبعض العمل. وبالجملة فهم أرجح من غيرهم وإن وجد بعض التقصير.

٣- أن زعم أن الخلف أدركوا من حقائق الأمور الباطنة الغيبية في أمر الخلق والبعث والمبدأ والمعاد وأمر الإيمان بالله واليوم الآخر، والأخلاق التي تزكو بها النفوس وتصلح، دون السلف الصالح هو جهل. فإن السلف أدركوا من ذلك كله النصيب الوافر. والنبى ﷺ بين لهم ذلك كله أتم بيان، محبة لإفادة ذلك، ولقدرته على البيان، وتبليغاً للرسالة، ولحرصه على هدايتهم. فيمتنع أن يكون عند غير علماء الحديث ما ليس عندهم من علم هذا كله.

وإذا لم يكن في الطوائف من هو أعلم بالحقائق وأبين لها منه وجب أن يكون كل ما يذمون به من جهل بعضهم هو في طائفة الخلف الذام لهم أكثر.

٤- أن ادعاء انشغال الصحابة عن تعلم أصول دينهم بالجهاد والدعوة من لوازمه ذم الصحابة، وزعم أنهم لم يحيطوا علماً بأصول دينهم، ونقلوا ما لم يفهموه فهماً كاملاً، وأن النبى ﷺ بلغهم الكتاب ولم يبين لهم ما يحتاجون إليه في فهمه، ويلزم منه كذلك: أنهم نقلوا للتابعين علماً لم يتقنوه، وأخذ عنهم

التابعون علماً غير كامل، ولم يستوعبوه، حتى خرج علماء الكلام فأظهروا ما كان خافياً، وأكملوا ما كان ناقصاً، وأحاطوا بما كان غامضاً، وبينوا ما كان مستوراً، وكشفوا ما كان منسياً، وهذا باطل قطعاً وإلا: كيف اجتمعت الأمة في عهد قرون الخيرية ولم تفترق، ثم ظهرت فيها الاختلافات في أصول الدين وعقائده بظهور المتكلمين، وكيف انتصر المسلمون الأوائل وتوسعوا في فتوحاتهم، وقصر من بعدهم عن تحصيل ما حصلوا من الفتوحات والانتصارات.

ولهذا فإن التاريخ يسجل الصلة العكسية بين ظهور الحضارة الإسلامية واتساع نفوذها وأثر إشعاعها وفتوحاتها وبين ظهور الفرق وانقسام صفوف المسلمين بين نحل ومذاهب تتطاحن وتتناحر<sup>(١)</sup>.

٥- أن هذا يعنى تفضيل وتقديم القرون المفضولة على قرون الخيرية فى العلم والمعرفة والبيان والاعتقاد.



(١) منهج علماء الحديث والسنة في أصول الدين: ص ٣٥.

## بين العلمانية والسلفية

العلوم التي تُكوّن عقل الإنسان قسماً:-

١- علوم بديهية (أو فطرية أو غريزية): وهي علوم تتميز بالصحة المطلقة، وهي عامة لدى كل الناس وإن تفاوتت في وضوحها بينهم.

٢- علوم مكتسبة: تتضمن المعارف المختلفة والقوانين الناتجة من الاستقراء.

وهذه العلوم يختلف الناس في اكتسابها والتيقن منها اختلافاً كبيراً. لذا فهي معارف جزئية، وهي نسبية، تحقق البعض منها، فصارت عنده يقيناً خاصاً به، ولم ير غيرهم ثبوت تيقنها.

ومن الملاحظ هنا:

أن العلوم المكتسبة مأخوذة ومبنية على العلوم البديهية، وعليه فهي علوم مبنية على أسس ثابتة صحيحة،<sup>(١)</sup> ولكن الواقع على خلاف ذلك، فهي تختلف وتتفاوت، فمنها ما يراه البعض صحيحاً ويرده آخرون، ويأخذ به البعض ويرفضه آخرون، وبالتالي لا تجتمع على العلوم المكتسبة كل عقول الناس.<sup>(٢)</sup>

ويعنى هذا أنه ليس في العقل شيء ثابت، بل هو قابل للتغير وفق أنساق فكرية جديدة، فالعقل ليس قائمة متحجرة من المبادئ والتصورات تم إعطاؤها من قبل وبصفة نهائية كاملة، بل هو ظاهرة كباقي الظواهر الأخرى يصيبه ما يصيبها من تبدل وتحول وينطبق عليه ما ينطبق عليها من تاريخية وجدل.<sup>(٣)</sup>

\* إن تقسيم المعقولات إلى ضرورية وكسبية يمكن ضبطه نظرياً ولكن في المجال العملي التطبيقي تتداخل هذه المعقولات فيما بينها فتستولى فكرة معينة على عقل شخص وتترسخ عنده فيعدها من المبادئ العقلية الأولية الضرورية بل ويتصور منكرها لمبدأ أولي!! فالعقل مجموعة أفكار يحملها شخص ويتعامل على ضوءها

(١) وبناءً على ذلك يرى أصحاب المذاهب العقلانية أن العقل بعلمه الفطرية والمكتسبة قادر على إيجاد منهج عقلي يوحد بين الناس جميعاً.

(٢) ولهذا لم ينجح المنهج العقلي في جمع شمل الناس جميعاً بل اختلف أصحاب المنهج العقلي إلى فرق متعددة ومذاهب متضاربة يعادي بعضها بعضاً ويسفه بعضها بعضاً.

(٣) السلفية وقضايا العصر: ص ١٦٥ نقلاً عن العقلانية المعاصرة لسالم يفوت ص ٦٩

والعقلانية ممارسة فكرية ليست ذات قيمة مطلقة واحدة ولكنها متنوعة متغيرة. أو لا ريب أن للعقل مبادئ كلية مشتركة بين جميع الناس لكن العقلانية - كما أسلفنا - ليست تحاكماً إلى تلك المبادئ بقدر ما هى تحاكم إلى الأفكار المكتسبة التى يرى أصحابها أنها أقرب الأفكار إلى تلك المبادئ العقلية الصادقة، هذه الأفكار مكتسبة من ثقافة معينة. (١)

إن الفكر العقلانى يبنى إلى حد كبير على مفاهيم وقيم ومعارف مستمدة من الظروف الاجتماعية والثقافية التى يعيش فيها الإنسان ويتأثر بها، فليست العقلانية نمطاً للتفكير المجرد الذى يمكن تداوله بين مختلف الثقافات كما أن العلم التجريبي فى تطور متواصل، ومن ثم اتساع فى رؤيته للأشياء فإن العقلانية المرتكزة عليه تفقد قيمتها وذلك أن ما تبنيه هذه العقلانية فى مجال الفكر أو المناهج أو التصور للوجود والحياة فى حالة تغير دائم وراء العلم المتجدد، وهذه التعدادات والتغيرات تصبح مصدر تشكك وشقاء لا تبقى معه قيم أو منظورات أو اتجاهات يقينية. (٢)



(١) السلفية وقضايا العصر: ص ١٧١ .

(٢) راجع (السلفية وقضايا العصر): ص ١٦٧-١٧٤ .

## العقلية التغريبية في مواجهة الدين

يعمد المتأثرون بالتغريب، والآخذون بالعلمانية، إلى الدعوة إلى تحرير الرؤية العقلية من أى وصاية دينية، بزعم أن قيام العقلانية مرهون بتحطيم المرجعية الدينية والنص الديني، وهذه النظرية مبناها على محاولة إعادة تطبيق ما وقع فى أوروبا مع مواجهة النصرانية المحرفة وإقصاء هيمنتها والقضاء على دورها فى تسيير دفة الحياة والمساهمة فى صياغة أحداثها.

إن العقلانية الأوروبية قد انتهت إلى إحلال العقل محل الدين، وهذا دأب أوروبا فى أكثر تاريخها الطويل. فالعقلانية اليونانية القديمة من قرون ما قبل الميلاد لم تكن تعرف الإيمان بدين، ولم تنقاد لوحى سماوي، إنما عرفت الخضوع للعقل، والعقل وحده. ولما اعتنقت أوروبا الديانة النصرانية وحرقت نصوصها، عانت فى تطورهما العلمى الحديث من صراع مع الدين، وحسنت أمرها بإحلال العقل محل الدين ورفض النظرة التقديسية للنصوص القائمة على إيمان يقينى بأنها وحى من عند الله.

لقد عانى الفكر الغربى فى سبيل زحزحة النظرة التقديسية للنص الدينى والتحرر من قبضة تعاليم النصرانية، وقد ساعدت عوامل عديدة هذا الفكر العلمانى فى التخلص من سيطرة الكنيسة، منها: الاضطهاد الشديد الذى مارسته الكنيسة ضد العلم والعلماء، ومنها: ما أثير كثيراً حول صحة إلهية الكتب النصرانية المقدسة، خاصة مع مخالفة المعارف الدينية المأخوذة عن الكنيسة عن الكون والإنسان لما كشفه العلم التجريبي الحديث. وكان لا بد أن تتنحى الكنيسة المحرفة للدين، ولكن فى غياب اهتداء أوروبا إلى الوحي الصحيح والدين الإسلامى القويم، صارت للعقل المكانة البارزة فى قيادة الحضارة الأوروبية الحديثة.

وعندما سعى المتأثرون بالتغريب والمنادون بالعلمانية<sup>(١)</sup> إلى جعل العقل الأصل الذى يرجع إليه دون سواه فى إعادة بناء الأمة، كان لزاماً التصدى لقضية الدين

(١) العلمانية: هي ترجمة Secularism وتعني اللادينية أو الدنيوية. وهي دعوة إلى إقامة الحياة على غير الدين وتعني في جانبها السياسي اللادينية في الحكم.  
راجع في ذلك جذور العلمانية للدكتور السيد فرج أحمد.

ومواجهة جمهور المسلمين بضرورة إغفال قضية الانقياد للدين، ممثلاً في الوحي المنزل، من الكتاب والسنة.

وقد سلك هؤلاء في سبيل إقصاء الدين وتهميش دوره في إعادة بناء الأمة مسالك متنوعة: -

فمنهم من شكك في صحة الدين كله، كتاباً وسنة!!! باعتبارها أساطير لا حقائق، وتراث من عصور متخلفة!!! وجعلوا في مقدمة أسلحتهم محاولة زعم أن القرآن والسنة فيهما معتقدات تتعارض مع العلم التجريبي المعاصر. ومن ثم إبطال منهج الإيمان بالنصوص الإسلامية وعصمتها في مقابل تقوية التسليم للمنهج العلمي دون سواه.

ومنهم من آثر ألا يصطدم صراحة بالنصوص الشرعية وإن كان يضمّر رفضها، وجعل طريقته لتحقيق ذلك عدم النظر للنصوص ومضامينها على أنها نصوص مقدسة يجب الخضوع لها، بل تدرس كتراث يخضع للمنهج العقلاني وأدوات النقد الأدبية، مع التحرر من منهج علماء المسلمين وأصولهم في دراسة النصوص الشرعية.

ومنهم من عمد إلى نقد التاريخ الواقعي للمسلمين، والتعرض لتشويه الجوانب الإيجابية للتاريخ الإسلامي باسم النقد والدراسة، ومن ثم تحطيم صورة المجتمعات الإسلامية قديماً وحديثاً، واستغلال تلك الصورة في الطعن في الدين ونصوصه.



### الموقف السلفي من العقلانية(\*)

تقدم السلفية هدى الرسول ﷺ وهدى الصحابة رضياً وعملاً على ما سواهما، ولا يعنى ذلك رفض العقل وعلومه أو إلغاء دوره. ولقد ذكرنا أن العلوم العقلية على ضربين: علوم ضرورية أو بديهية هي الأصل.

وعلوم مكتسبة مبنية -أو هكذا يجب أن تكون- علي العلوم الضرورية وذكرنا أن العلوم الضرورية لا اختلاف بين الناس فيها وإن اختلف الناس في درجة وضوح هذه العلوم بينهم.

وذكرنا أن العلوم المكتسبة قد يختلف الناس فيها بحسب قدراتهم العقلية ومعارفهم ومستوياتهم العلمية، ومن ثم تقع بينهم المخاصمات والمنازعات في إثبات أشياء من هذه العلوم. وعند النزاع يحاول كل فريق إثبات صحة قوله ببيان موافقة تلك النظرة أو هذا الرأي الذي يتبناه للعلوم الضرورية الأساسية، أو إثبات بطلان نظرة أو رأى المخالفين له للعلوم البديهية.

وهذا كله مبنى على تحكيم العقل ومعايره الأولية. فما هو موقف السلفية من ذلك؟.

السلفية كمنهج لا ترفض ذلك، إذ لا مخالفة في ذلك الفهم للشرع، ووظيفة العقل في القرآن.

ولكن كما بينا: أن هذا التحكيم للعقل لم يحول بين البشرية وبين النزاعات والخلافات والمخاصمات، بل وتقلب العلوم المكتسبة وتغيرها في إطار التقدم العلمي والتطور الحضاري.

وفوق ذلك فهناك أمور لا يقدر العقل بمقاييسه المحدودة أن يحيط بها علماً في الكون والحياة، وهذا ما يؤكده التطور العلمي عصرًا بعد عصر.

(\*) العقلانية: وصف منسوب إلى العقل، فأصل الكلمة: العقل مع إضافة الألف والنون للمبالغة، ثم ياء

النسب، فتاء التأنيث. أي أن:-

العقلانية= العقل+ألف ونون (للمبالغة) + ياء النسب+ تاء التأنيث. والعقل لغة: المنع والحجر والتقييد.

فيقال: عقل الجعير بالعقال، إذا ربطه ليمنعه من التفلت، فلا يغادر المكان الذي جعله له صاحبه. وعقل

الإنسان الذي يتلقى به المعارف، يمنعه كذلك من الوقوع فيما يهلكه أو يفسده أو يشينه.

وأهم من ذلك الأمور الاعتقادية والغيبية التى هى فوق مستوى العقل وإدراكه فيما يتعلق بالحياة البشرية فيما مضي، وما سيكون إليه مآلها فيما يستقبل فى الآخرة وهى علوم لا طمأنينة للنفس وسكينة إلا بالتصور المرضى لها.

وهذا هو دور الوحي المتمثل فى الكتاب والسنة. وهذا هو الإيمان بالرسول والأنبياء والكتب المنزلة ودورها فى هداية البشرية وإرشادها، وتعليمها العلم الذى لا غنى لها عنه.

وحينما يؤمن المرء بالوحي والنبوة، ويتلقى منهما، يصبح لديه مصدران للعلم: العقل الذى جعله الله أداة للمعرفة والاستنباط.

والوحي المنزل الذى جعله الله نوراً للهداية والمعرفة.

وكلاهما من عند الله، يأخذان الإنسان إلى غاية واحدة وهدف واحد، لا يتصور -ولا ينبغى- أن يكون هناك تعارضاً بينهما ولا يجوز أن يختلف نص ثابت من الكتاب أو السنة مع قياس عقلى صحيح.

ولا يجوز أن يخالف دليل نقلى صحيح أى دليل عقلى صحيح.

لم تكن مشكلة العقل والنقل، أو الوحي والمعرفة الإنسانية موجودة لدى السلف الأولين. ذلك أن العقل المؤمن كان حاسماً فى موقفه المنهجى المبني على منطق العقل السليم: الوحي من علم الله الذى يمثل الحق المطلق فى كل ما قدمه من قضايا، ومن ثم: فإن أى تشكيك فى قضية من قضاياها ينقض ذلك الإيمان أى أن هذا التشكيك يعنى موقفاً غير عقلي.

العقل مصدر للمعرفة، وهو الوسيلة التى كلفنا الله على أساسها وأمرنا أن ننظر فى أمر الرسالة، ومن ثم الوحي من خلالها: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلِي وَفِرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِّنْ جِنَّةٍ﴾ [سبأ: ٤٦] لكن هذا العقل جزء من الإنسان المخلوق المحدود، ومن ثم فإن المعرفة الناتجة عنه تبقى دون العلم الذى يقدمه الوحي. إنه علم الإنسان أمام علم الله. وهى معادلة واضحة وعقلية.

لكن ذلك لم يكن يعنى لدى أولئك السلف، أنه ينبغى أن يضم العقل وأن تبطل وظيفته الإبداعية ما دام الوحي موجوداً، لم ينظروا إلى إيمانهم بالوحي وحقائقه المطلقة على أنه استغناء عن العقل، ومن ثم عزل له. كلا إن العكس هو الصحيح، إن انطلاق العقل -لدى هؤلاء- وإبداعه وفتوحاته فى المجالات

السياسية والاجتماعية والعلمية، وتنوع نشاطاته، كان نتيجة ذلك الإيمان بالوحي<sup>(١)</sup>.

والمقصود أنه لدى السلف -الأولين- من صحابة رسول الله ﷺ وتابعيهم بإحسان، كان وجود الوحي -مع توفر العقل- السبيل إلى قيام حياة إنسانية تتحلى في كل جوانبها بالكمال -الممكن بشرياً- آمنوا بهذا في وعيهم، وتحققوه في حياتهم. فلم يكن وجودهما معاً مشكلة، بل إن المشكلة، في فقدهما أو فقد أحدهما:

حيث إن فقدان الوحي يحرم العقل من الهادى الذى يدفعه فى مجالات العلم، ويحدد له غايات حركته ويرسم له الضوابط التى يحقق بالتزامه بها إنتاجاً مثمراً.

كما أن فقدان العقل أو فساده: يعنى أن لا يتحقق لتعاليم الوحي وجودها الواقعى فى حياة الناس. فتبقى هذه الحياة دون مستواها الإنسانى المأمول<sup>(٢)</sup>.

فإن قيل: كثيرون يظنون أن التعارض يقع أحياناً بين العقل والشرع، ويتشككون عندئذ فى القول بضرورة موافقة العقل للشرع والشرع للعقل؟.

### والجواب:

أن الدليل الثابت شرعاً إما أن يكون قطعياً فى دلالته وإما أن يكون ظنياً. والأمر الثابت عقلاً إما أن يكون قطعياً لا اختلاف بين الناس فيه وإما أن يكون ظنياً محل اختلاف واجتهاد فى الأخذ به أو تركه. وعلى هذا:

فيستحيل أن يتناقض قطعياً أيّاً كان مصدرهما، العقل أو الشرع. لأن الدليل القطعى هو الذى يجب ثبوت مدلوله ولا يمكن أن تكون دلالته باطلة.

لكن يمكن أن يتعارض قطعى وظنى وهنا يقدم القطعى أيا كان مصدره على الظنى أيا كان مصدره.

كما يمكن أن يتعارض ظنيان، وهنا يجب إعمال الجهد فى المفاضلة بينهما بطرق الترجيح المعتمدة.

(١) السلفية وقضايا العصر: ص ١٩٧-١٩٨ .

(٢) المرجع السابق: ص ١٩٩ .

والغالب أن ما يظنه البعض أو يتصوره تعارض بين العقل والشرع هو في الحقيقة تصور في الذهن البشري القاصر نتيجة أفكار إما بسبب فهم خاطئ للنصوص أو بسبب علم مكتسب غير قطعي، يتصوره صاحبه من الحقائق العلمية اليقينية وليس الأمر كذلك. (١)

والإيمان المبني على التسليم للوحي جعل الموقف السلفي يقوم على أساس دخول العقل تحت الوحي، بمعنى أن الوحي هو الموجه وله السيادة والعقل تابع يمارس عمله ووظيفته في ظل توجيهات الوحي وإرشاداته وبهذه التبعية من العقل للوحي يستقيم الأمر بل ويوصف إنتاج العقل بأنه شرعي أو موافق للشرع.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ثم الشرعي قد يكون سمعياً وقد يكون عقلياً، فإن كون الدليل شرعياً يراد به كون الشرع أثبتته ودل عليه، ويراد به كون الشرع أباحه وأذن فيه، فإن أريد بالشرعي ما أثبتته الشرع، فإما أن يكون معلوماً بالعقل أيضاً، ويكون الشرع نبه عليه ودل عليه فيكون شرعياً وعقلياً - كأدلة التوحيد والمعاد ونحوها. وإما أن يكون الدليل الشرعي لا يعلم إلا بمجرد خبر الصادق فإنه إذا أخبر بما لا يعلم إلا بخبره كان ذلك شرعياً سمعياً. وأما إذا أريد بالشرعي ما أباحه الشرع وأذن فيه، فيدخل في ذلك ما أخبر به الصادق، وما دل عليه القرآن وما دلت عليه وشهدت به الموجودات (٢). (درء تعارض العقل والنقل ج ١ / ١٩٠).

وبالجملة:-

فإن التعارض بين الوحي والعقل افتراض خاطئ لأن الإيمان بأن العقل البشري خاضع للوحي وتابع له ينفي هذا الافتراض، ورفض العمل بالوحي والخضوع له لا يسمى عقلاً أو منهجاً عقلياً، ولكنه في مسمى الشرع هوى وضلال.

إن الوحي يخاطب العقل ويبين له المنهج الصحيح للنظر في شؤون الحياة كلها، وهو في بيانه وإرشاده وتوجيهه للعقل لا يكبت العقل، بل على العكس من ذلك، يفتح له آفاقاً واسعة ومجالات رحبة للإحاطة والإدراك قد يعجز العقل بمفرده على الإلمام بها كاملة في كل عصر وزمان.

(١) راجع بيان منهج ابن تيمية في ذلك: السلفية وقضايا العصر ص ١٩٩-٢٠٣ .

(٢) السلفية وقضايا العصر: ص ٢٠٦ نقلاً عن ابن تيمية في كتابه درء تعارض العقل والنقل.

والعقل البشرى حين يتحرك فى إطار الوحي لا يتحرك فى مجال ضيق إنما يتحرك فى مجال واسع جداً، يتحرك فى مجال هو هذا الوجود كله الذى يحتوى عالم الشهادة وعالم الغيب أيضاً، كما يحتوى أغوار النفس ومجالات الأحداث ومجالات الحياة جميعاً. (١)

فإن قيل: إن أوروبا لم تعرف التقدم العلمى الحاضر إلا بعد أن أقصت الدين وتعاليمه عن الحياة، فتخلصت من جمود النصرانية وسيطرة الكنيسة، وجعلت العلم وحده قائدها إلى المدنية المعاصرة. وعليه فواجبنا أن نقصي الدين الإسلامى بتعاليمه وأحكامه، ونطلق العنان للعلم -والعلم وحده- ليقودنا إلى الحضارة المتقدمة التى نتطلع إليها.

والجواب:-

أن هذا القصور للتقدم الأوروبى ينطوى على خطأ يحتاج لتوضيح، فشتان بين ما كان فى أوروبا وبين ما ينبغى أن تكون عليه كما ينبغى أن نصحح أيضاً نظرتنا إلى الحضارة الأوروبية الحديثة لنميز بين جوانبها الإيجابية التى يجب أن نسعى لمثلها وجوانبها السلبية التى يجب أن نتجنبها.

فأوروبا عندما ثارت على الدين، فإنما ثارت على الكنيسة التى حرفت وبدلت وغيرت، حتى صارت تعاليم النصرانية المحرفة عائقاً أمام العلم والعلماء، وكما ذكرنا فإن العلم الصحيح لا يعارض الوحي، ولكن إن وقع التحريف والتبديل والتغيير للوحى وقع التعارض مع العلم، وهذا ما كان فى أوروبا.

إن مصادمة النصرانية المحرفة -متمثلة فى رجال الدين النصراني- للعلم الدينى وعلمائه (٢) لهو دليل واضح على صدق ما أخبر به القرآن الكريم من وقوع التحريف فى الدين النصراني، ومن ثم انحراف الكنيسة ورجالها ثم اضطهادهم للعلماء الدينيين ومصادرتهم لاكتشافاتهم العلمية الجديدة.

(١) السلفية وقضايا العصر: ص ٢٠٦-٢٠٧ نقلاً عن سيد قطب فى ظلال القرآن ج٢ / ١٠٩٩ .

(٢) قلت: جرت عادة الكثير بإطلاق لفظ العلم والعلماء على المكتشفين والمخترعين فى مجالات الطب والفلك والكيمياء والفيزياء ونحوها من علوم الدنيا والذى أرشدنا إليه القرآن أن كل من لم يؤمن بالله فليس بعالم بل هو جاهل لا يعلم ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿وَلَكِنَّمَا كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ولذا فيجب أن يقيد إطلاق هذه الكلمة العظيمة كما قال تعالى: ﴿وَلَكِن أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون﴾. وكتبه (ياسر برهامي).

وهذا التحريف ثابت في القرآن الكريم باستفاضة:-

فمنه تحريف بالكتابة:

قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُوبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ نَمْنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩].

ومنه تحريف باللسان:-

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٨].

ومنه تحريف للمعاني:-

قال تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ [المائدة: ٤١].

والديانة النصرانية مبناها علي تقليد رجال الدين والكنيسة واتباعهم فيما يحرمون ويحللون: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١] وفي ظل تحريف الكتب المقدسة ومعانيها وضع الأبحار والرهبان لأتباعهم النصارى ضلالات وجهالات إما أخذاً من نص محرف أو الاجتهاد المبني على نص محرف وبالتالي نسبوا للنصرانية الحققة ما ليس منها وعادوا به بعد ذلك العلم والعلماء حتى صارت النصرانية المحرفة في جهة والعلم التجريبي الثابت من جهة لذا لم تجد أوروبا بد من رفض الدين بالكلية أو تحجيمه داخل جدران الكنيسة لا يتعدها في ظل مفهوم جديد عن الدين ودوره في الحياة.

\* أما في الإسلام: فالتحريف منتفي، إذ تكفل الله عز وجل بحفظ هذا الدين بحفظ كتابه الكريم من التحريف والتبديل، كما أنه عز وجل هياً لهذه الأمة من حفظ لها سنة نبيه ﷺ عبر القرون الطويلة، فصارت أهم مصادر هذا الدين باقية نقية دون تحريف. ومن هنا يمتنع أن يتعارض العلم الصحيح مع الوحي الثابت متمثلاً في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة.

وهذا يفسر لنا لماذا لم يعرف العالم الإسلامي عبر تاريخه الطويل هذا الصراع

بين العلم والدين.

\* إن أوروبا عندما أقصت النصرانية المحرفة كدين عن الحياة، وأخذت بالعلم طريقها إلى التحضر، فقدت نور الوحي وهداه، ومن ثمّ كونت حضارة مادية بحتة، آلت بها إلى تسخير العلم في الشر كما تسخره في الخير، إلى جانب فقد التمسك بالقيم الأخلاقية والإنسانية في التعاملات العالمية، حتى صارت الدول الأوروبية المتحضرة تستعمر الشعوب الضعيفة، وتذيقها ألوان القهر والإذلال وتستغل خيراتها وتنهب ثرواتها، وتستعبد رجالها وتستبيح أعراضها، فإن أجبرت على الخروج من تلك البلاد إجباراً، سعت بشتى الوسائل إلى ربط اقتصاد هذه الدول باقتصادها، واستغلال حاجاتها إلى تقدمها العلمى فى غزوها فكرياً وثقافياً. ليسهل السيطرة عليها بعد ذلك. كما هو معلوم مشاهد.

\* إن الأخذ بأسباب العلم والتقدم العلمى بالصورة التى نراها الآن فى العالم الغربى هو جانب إيجابى ينبغى الاقتداء بأوروبا فيه، أما افتقاد تعاليم السماء ونور الوحي وهدى الدين فجانب سلبى يهدد بتدمير هذه الحضارة بيد أبنائها وينبغى أن نتجنب اتباع أوروبا فيه.

فإن قيل: وهل يظل الدين الإسلامى واجب الاتباع فى كل عصر وزمان وهو رسالة قد مضى عليها أكثر من أربعة عشر قرناً تغيرت فيها جوانب الحياة وتطورت البشرية فيها تطوراً كبيراً فى ظل تقدم علمى مبهر يلزم معه تطور البشرية فى جوانبها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والأخلاقية.

والجواب:-

الإسلام رسالة عالمية لكل البشر بلا استثناء، ومحمد ﷺ رسول لكل الناس من زمان البعثة وحتى قيام الساعة فهو خاتم المرسلين، ولا نبي ولا رسول بعده، ولا وحي منزل بعده، وهذا يعنى وجوب اتباع شريعة الإسلام والالتزام بها فى كل عصر ومصر، وحتى نزول عيسى عليه السلام فى آخر الزمان وقيام الساعة.

وهذا مما قرره النصوص الشرعية العديدة:-

قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨]. والمراد إلا إلى جميع الخلائق من المكلفين.

قال محمد بن كعب: يعنى إلى الناس عامة. وقال قتادة فى هذه الآية: أرسل الله تعالى محمداً ﷺ إلى العرب والعجم فأكرمهم على الله تبارك وتعالى أطوعهم لله عز وجل.

وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾

الأحزاب: ٤٠.

وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ الفرقان: ١

وقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ

الإسلام ديناً﴾ المائدة: ٣.

وفى الحديث المرفوع قوله ﷺ: «مثلى ومثل الأنبياء كمثلى رجل بنى داراً فأكملها وأحسنها إلا موضع لبنة فكان من دخلها فنظر إليها قال ما أحسنها إلا موضع هذه اللبنة، فأنا موضع اللبنة ختم بى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام»<sup>(١)</sup>.

وعن أنس مرفوعاً: «إن الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعدى ولا نبي»<sup>(٢)</sup>.

وعن أبى هريرة مرفوعاً: «فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لى الغنائم، وجعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بى النبون»<sup>(٣)</sup>.

وفى الصحيحين مرفوعاً: «إن لى أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحى الذى يمحو الله تعالى بى الكفر، وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب الذى ليس بعده نبي». والأحاديث فى هذا كثيرة.

ولهذا كله تكفل الله عز وجل بحفظ هذا الدين بحفظ وحيه المنزل وإبعاده عن يد التحريف والتبديل والتغيير.

ومما هو مقرر عند علماء الأمة صلاحية هذا الدين لكل زمان ومكان، لما امتازت به شريعته من عموم وخصوص وشمولية وواقعية، لا يتسع المقام لبيانه ويؤيده تاريخياً مقدرة الإسلام على القيام بمهام الحضارة العالمية لقرون طويلة ضمت خلالها قوميات مختلفة، وبلداناً مترامية الأطراف، وشعوباً لها رصيد من حضارات قديمة

(١) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

(٢) رواه الترمذي وقال: صحيح غريب.

(٣) رواه مسلم وابن ماجه والترمذي.

متنوعة، صهرتها جميعاً فى بوتقة واحدة، خرجت للعالم حضارة زاهية متفردة لها قيمها ومبادئها وأخلاقياتها إلى جانب التقدم العلمى والحضارى المادى.

فعموم الشريعة الإسلامية فى قواعدها وأحكامها ومبادئها، التى تحقق مصالح الناس فى كل عصر ومكان، وتفى بحاجاتهم مهما بلغ المجتمع البشرى مما يؤهلها للبقاء والاستمرار.

والتأمل لأحكام الشريعة يرى حرص الشريعة على مصالح الناس الحقيقية ودرء المفاسد عنهم لتحقيق المنافع العاجلة والآجلة الدنيوية والأخروية.

ومن مميزات الشريعة كذلك تشريع الرخص عند وجود المشقات فى تطبيق الأحكام كإباحة المحرمات عند الضرورة بقدرها، وإباحة الفطر فى رمضان للمسافر والمريض... إلخ.

ولا شك أن هذه الرخص ضرب من ضروب رعاية المصلحة ودرء المفسدة عن الناس.

وباستقرار أحكام الشريعة وجد أنها تراعى مصالح العباد التى تتعلق بأمر ضرورية وحاجية وتحسينية. فالضرورية هى التى لا قيام لحياة الناس بدونها وإن فاتت يختل نظام الحياة وهذه الضرورات هى: حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال.

والحاجيات هى التى يحتاجها الناس لتحقيق اليسر والسعة فى عيشهم فإذا فاتتهم وقع الناس فى الضيق والخرج.

أما التحسينات فهى التى ترجع إلى محاسن العادات ومكارم الأخلاق فإن فاتت فقدت حياة الناس النهج القويم السليم والعادات الكريمة.

كل هذه المصالح قامت أحكام الشريعة على تحصيلها وتحقيقها فى المجتمع.

كما تمتاز الشريعة بمبادئها العامة الغير تفصيلية التى صيغت بكيفية تيسر تطبيقها من زمان إلى زمان، كمبدأ الشورى، والمساواة والعدالة. إلى جانب الأحكام التفصيلية فيما ينبغى ألا تتغير من زمان إلى زمان كأحكام العقيدة وتفاصيل العبادات كالصلاة والصيام والحج وعلاقات الأفراد داخل المجتمع كتنظيم الأسرة وكيفية الزواج والحضانة والميراث والطلاق والنفقة.

والشريعة فوق ذلك تمتاز بالاعتدال بعيداً عن الإفراط والتفريط. (١)

ولا يخفى أن نسخ شريعة لا يكون إلا بشريعة أخرى فى قوة المنسوخ سواء كان النسخ كلياً أو جزئياً وهذا منتفياً بالنسبة للشريعة الإسلامية إذ إن الإسلام قد ختم الشرائع السابقة كلها ونسخها، وأن الشرائع الإلهية قد انقطعت فلا وحي إلهى منزل بعد وفاة النبي ﷺ خاتم النبيين والمرسلين فتبين بذلك كله أن الإسلام هو الشريعة الباقية الأخيرة إلى قيام الساعة، لا يسع أحد الخروج عنها أو التغيير فيها.

قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ {المائدة: ٣}.



(١) راجع فى ذلك: (أصول الدعوة) للدكتور عبد الكريم زيدان ص ٥٤-٦٥ ، ص ٦٨-٧٣ .



ثانياً  
ملاحظ عملية للسافية  
في  
وقتنا الحاضر



وتتضمن قضايا عملية وسمات خاصة تميزت بها الدعوة السلفية في وقتنا الحاضر. منها:

(١) الاهتمام بقضايا التوحيد.

(٢) الحرص علي تحقيق الوحدة الإسلامية المثمرة.

(٣) الشمولية في الدعوة.

(٤) مفهوم التقدم الحضاري عند السلفيين.

(٥) تيسير فهم الإسلام.

(٦) سلفية المنهج سلفية المواجهة. (بين الأصالة والمعاصرة).



(١)

الاهتمام

بقضايا

التوحيد



### التوحيد أولاً لو كانوا يعلمون

\* التوحيد حق الله على العبيد، كما قال ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه (حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً).

\* ومن حقق التوحيد غفرت له ذنوبه وإن كانت كتراب الأرض. ففي الحديث القدسي «أن من لقي الله لا يشرك به شيئاً غفر الله عز وجل له ذنوبه وإن كانت تراب الأرض».

\* ومن استكمل التوحيد دخل الجنة بغير حساب: ففي الحديث في السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب «أنهم لا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون». وهذا كمال التوحيد.

\* ومن وقع في الشرك -والعياذ بالله- فقد حبط عمله كائناً من كان: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ {الزمر: ٦٥}.

والأنبياء معصومون من الكبائر والذنوب فضلاً عن الشرك والكفر، فالخطاب لبيان شناعة الشرك وأنه لو وقع من نبي أو رسول كائناً من كان لحبط عمله وكان من الخاسرين، فما بال من هم دونهم بكثير من آحاد العباد، فهذا تهديد شديد ووعيد أكيد لكل الناس، ليجتنبوا الشرك ويتعدوا عنه غاية البعد. فهو خطاب لكل الناس في شخص الأنبياء والمرسلين.

\* والشرك من دون سائر الذنوب لا يغفر لصاحبه كائناً من كان، وما عداه من الذنوب فهو في مشيئة الله إن شاء غفره وإن شاء حاسبه عليه. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ {النساء: ٤٨}.

والمشرك خالد مخلد في النار لا يخرج منها أبداً.

والدعوة إلى التوحيد هي أول ما يبدأ به، فلا يقدم على التوحيد من واجبات الدين شيئاً، فالتوحيد هو الذي بعث الله به الرسل والأنبياء، والتوحيد أول ما بدأت به الرسل والأنبياء مع أقوامهم:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ {النحل: ٣٦}.

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

فدعوة التوحيد أمر الله بها أول رسله -نوحاً عليه السلام- وكل رسله حتى محمداً ﷺ .  
ولما أرسل الرسول ﷺ رسله وقواد جيوشه كان يأمرهم أن يبدأوا أولاً بالدعوة إلى التوحيد. فلما بعث علياً رضي الله عنه إلى خيبر أمره أن يدعوهم أولاً إلى توحيد الله.  
ولما بعث معاذاً رضي الله عنه إلى اليمن أمره أن يدعوهم أولاً إلى توحيد الله.

ففي الصحيح عن ابن عباس أنه رضي الله عنه قال لمعاذ لما بعثه إلى اليمن: «إنك تقدم علي قوم أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله». وفي رواية: «فادعهم إلي أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله» (١).

ولم يرسل نبي ولا رسول -صلوات الله وسلامه عليهم- إلا بالإسلام أي أن دين الأنبياء والرسل واحد وإن اختلفت الشرائع. قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥].

\* قال تعالى عن نوح عليه السلام: -

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٢٥) أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ [هود: ٢٥-٢٦]

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [المؤمنون: ٢٣]

\* وقال نوح عليه السلام لقومه:

﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَيَّ اللَّهُ وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [النساء: ١٥٠-١٥١].

\* وقال تعالى عن هود عليه السلام:

وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ [هود: ٥٠].

(١) رواه البخاري ومسلم وأحمد. وانظر صحيح الجامع ج١ / ٤٥٥، ٤٥٦ حديث رقم ٢٢٩٦-٢٢٩٨.

\* وقال تعالى عن صالح عليه السلام:

﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ {هود: ٦١}.

\* وقال تعالى عن شعيب عليه السلام:

﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ {هود: ٨٤}.

ومن دعاء إبراهيم عليه السلام:

﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ {البقرة: ١٢٨}.

وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا بِنَاهُ يَاقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ {البقرة: ١٣٢}.

\* وقال تعالى عن يعقوب عليه السلام:

﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهِمَا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾

{البقرة: ١٣٣}.

وقال تعالى عن بيت لوط عليه السلام:

﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٣٥) فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾

{الذاريات: ٣٥-٣٦}.

وقال تعالى عن يوسف عليه السلام أنه قال في دعائه:

﴿أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ {يوسف: ١٠١}.

وقال تعالى عن موسى عليه السلام:

﴿وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ {يونس: ٨٤}.

وعن السحرة لما غلبهم موسى عليه السلام أعلنوا إسلامهم فلما توعدهم فرعون بالعذاب صبروا على إيمانهم وقالوا داعين الله: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ {الأعراف: ١٢٦}.

وعن سليمان عليه السلام أنه كتب لقوم سبأ:

﴿أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ {النمل: ٣١}.

ولما آمنت بلقيس أعلنت إسلامها:

﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].

وقال تعالى عن حوارى عيسى عليه السلام:

﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢].

وقال تعالى عن مؤمنى الجن أنهم من المسلمين:

﴿وَأَنَا مِمَّنِ الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ [الجن: ١٤-١٥].

فالتوحيد دين الله، وهو دعوة كل رسول، والإسلام هو دين الله.

فإن قيل: إن الناس كانوا فى الماضى مشركين فلزم أن تكون الدعوة إلى التوحيد حيثئذ أول ما ينبغى أن يدعوا إليه. ولكن اليوم الناس على الإسلام يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فما الداعى إذاً لدعوة الناس إلى التوحيد من جديد والمناداة فيهم بأنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ؟.

### والجواب:

أن هذه مقالة خاطئة بعيدة عن معرفة حال الناس اليوم ومعرفة ما هو التوحيد الذى جاءت به الرسل. فالناس اليوم أبعد ما يكونون -إلا من رحم ربك وهم قليل- عن تحقيق العبودية لله تبارك وتعالى.

فالعالم الإسلامى يبلغ تعداداه أكثر من ألف مليون نسمة من إجمالى قرابة ستة آلاف مليون نسمة أى نسبة المسلمين لا تتعدى خمس مجموع العالم.

فكل ستة أشخاص بينهم خمسة من الكفار وواحد فقط من المسلمين.

وهؤلاء الخمسة آلاف مليون كافر ما بين نصرانى وهندوسى وبوذى ووثنى وملحد. يحتاجون إلى دعوتهم إلى التوحيد وتصحيح عقائدهم أكثر من حاجتهم إلى الهواء الذى يتنفسونه والطعام والشراب الذى يتناولونه. والإفوراء حياتهم الدنيا عذاب أليم وسوء المصير فى الآخرة.

أما الألف مليون مسلم ففيهم من المأسى والانحرافات ما يصعب حصره، فكثير من البدع والضلالات والخرافات والخزعبلات والمعتقدات الباطلة تنتشر بينهم، وكثير من أعمال الشرك الظاهر والخفي، الأكبر والأصغر، يرتكبونها بألستهم وجوارحهم، وتستولى على قلوبهم وعقولهم، فأين هم من أفراد الله تعالى بالعبادة وتوحيد الله تعالى؟.

### كلمة التوحيد قبل توحيد الكلمة

إن كثيراً ممن ينتسبون إلى الإسلام اليوم يرددون الشهادتين وينطقون بكلمة التوحيد ولكن :-

منهم من يؤمن بأن له حرية اختيار المناهج والنظم والقوانين الوضعية بلا قيود وإن شريعة الإسلام ونظمه لا تلزمه فرجماً أدى العبادات الدينية ولكنه يعزل الدين عن حياته وينادى بإبعاده عن شئون الحكم والسياسة والاقتصاد وأمور المجتمع . وهذا فهم خاطئ لعبوديته لربه ولعمله بالإسلام .

ومنهم من ينساق بشدة إلى ارتكاب المعاصي والمنكرات، فيترك الصلاة ولا يؤدي الزكاة ويتفنن في أكل المال بالباطل بالرشوة تارة وبالربا تارة أخرى وبالمعاملات المخالفة للشرع أحري، يأكل المحرمات ويشرب الخمر ويمارس الزنا، وقد استمرت نفسه كل ذلك واعاداته بل لا تتصور الحياة بدونه، ولسان حاله الإعراض عن الدين وتعلم أحكامه .

ومنهم من يقع في الشرك الصريح، فيصرف العبادات لغير الله، فينذر ويذبح للموتى من الصالحين، ويطوف بأضرحتهم وقبورهم، يعظمها ببناء القباب عليهم، وتشيد المساجد فوقها، ثم يدعوها من دون الله، يستغيث بها، ويتعلق قلبه بها حباً وخوفاً ورجاءاً .

ومنهم من يعتنق معتقدات الفرق الضالة كالمعتزلة والرافضة أو يؤمن بالحلول والاتحاد ومقالات زنادقة الصوفية وضلال الفلاسفة ناهيك عن عقائد الفرق المخالفة لأهل السنة كالأشعرية والماتريدية التي يعتنقها جمهور المسلمين بل وعلمائهم ويصفونها بأنها عقائد أهل السنة والجماعة وينسبونها للسلف !! .

وغير ذلك كثير وما ذكرناه بعض من كل، وجزء يسير من ضلال كبير يكتنف أكثرية المسلمين في عقائدهم وعباداتهم ومعاملاتهم وأخلاقياتهم وسلوكياتهم في هذا الزمان .

وهذه المظاهر كلها دليل واضح علي جهل المسلمين اليوم، بحقيقة دينهم، وأصل التوحيد، وغياب الفهم الصحيح عن عقولهم وحاجتهم الماسة إلى تحقيق التوحيد.

\* وبعيداً عن ذلك فإن هناك حقيقة هامة يجب ألا تغيب عن بالنا أبداً وهي: (إن قضية التوحيد لا يدعى إليها الكفار وحدهم لكي يؤمنوا بها ويصححوا اعتقادهم من خلالها بخلع رداء الكفر أو الشرك والدخول فيها ولكن يدعى إلى قضية التوحيد أيضاً المؤمنون بها والمعتنقون لها والمستمسكون بها لكي تظل حية في قلوبهم راسخة في ضمائرهم عاملةً في واقع حياتهم لا يفترون عنها أبداً ولا يغفلون عن مقتضياتها. وأن أعظم دليل على ذلك قول الله جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَيَّ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦]. هكذا يدعى أهل الإيمان إلى الإيمان. (١)

ولقد علم أعداؤنا جيداً أن الجذور الحقيقية التي تضمن البقاء والسيادة والعزة لهذه الأمة في الأرض هي العقيدة فراحوا يخبث ودهاء يضعون الحواجز والسدود بين المسلمين وبين عقيدتهم الصافية الخالصة - من ناحية- ويشوشون عليها لتعكير صفائها من ناحية أخرى فوق وقع المسلمون قروناً ماضية في هذا الخلط العجيب وهذا الانفصام النكد وبخاصة في هذه الأيام التي تذبح فيها العقيدة على أيدي أبنائها الذين أبعدوا كثيراً عن حقيقتها ومقتضياتها حتى رأينا من يردد كلمة التوحيد وهو لا يفهم لها معنى ولا يعرف لها مضموناً ولا يقف لها على مقتضى. (٢) ا.هـ.

(١) لقد ظل القرآن يربي الصحابة علي العقيدة الإسلامية لا في مكة وحدها بل في المدينة كذلك فقضية العقيدة لا تذكر لفترة من الزمن ثم تترك للحديث عن قضايا أخرى.

(٢) خواطر علي طريق الدعوة: جراح وأفراح للشيخ محمد حسان ط. دار الخلفاء المنصورة ط. الأولى ١٤١٤هـ ص ٤٩-٥٠ بتصرف يسير.

فإذا عرفت أهمية التوحيد، عرفت أهمية تعليم الناس أمور التوحيد وبيان قضاياهم، وإذا عرفت خطورة الشرك وعظم وزره عرفت أهمية تحذير الناس من مظاهر الشرك الظاهرة والباطنة، وتوضيح صورته للناس ليتجنبوها. (١)

وإذا عرفت هذا عرفت لماذا يهتم السلفيون بالدعوة إلى التوحيد والتحذير من الشرك، فهذه هي السمة الأولى المميزة للدعوة السلفية في ساحات الدعوة أنها: (دعوة التوحيد) ودعوة (التحذير من الشرك).

وإذا عرفت هذا عرفت خطأ من لا يعطى هذا التوحيد حقه في البيان والتوضيح من أصحاب جماعات الدعوة الأخرى، بل قد ينطوى تحت دعوتها الكثيرون ممن يجهلون قضايا الشرك وصوره، وقد يتساهلون في التعامل مع بعض الصور الخفية أو الظاهرة للشرك الأصغر أو الأكبر.

وإذا عرفت هذا عرفت خطأ الذين يصرفون العبادات لغير الله، من دعاء غير الله والاستغاثة به، وتعلق القلب بالأموال ممن يظن فيه الصلاح، والتوكل عليهم والتمسح بهم والتبرك بقبورهم وأضرحتهم والنذر لهم والتوسل بهم... إلخ.

ومما يزيد حاجة الناس إلى فهم التوحيد بأدلته من الكتاب والسنة وعلى ما كان عليه السلف الصالح، ما ألحقه علماء الكلام وأتباع الفلاسفة من استعمال اصطلاحات المتكلمين وطريقتهم في الاستدلال، مما أبعد الناس عن الكتاب والسنة في أخطر قضايا الدين، وأذهب عن العقول والقلوب تفاعلها مع وحى الله المنزل، وتأثرها به، مما يزيد إيمانها ويثبت عقيدتها. وما زال الناس جيلاً بعد جيل نتيجة تأثرهم بمنهج المتكلمين من الأشاعرة والمعتزلة وغيرهم يتصورون التوحيد أدلة عقلية ومصطلحات فلسفية واستدلالات كلامية لا يقدرّون عليها فيصرفون عنها وعن التوحيد ومسائله.

(١) والعجب كل العجب تسمية هذه الشريكات بشذوذات عقائدية لا تستدعي تكفير صاحبها ترى ماذا يريدون تهوين خطرها على دين العباد أم تبرئة ساحة معتنقيها تزلماً أم الغاية جمع الأمة على دين من عقائد شتى منها ما هو من الإسلام ومنها ما هو مخالف للإسلام موغل في الشرك والوثنية.

## التوحيد والعقيدة عند السلفين

التوحيد عند السلفين يتضمن عدة قضايا هامة لا تقبل أن يأخذ ببعضها دون البعض. فترك واحدة منها بعد البلاغ والبيان يطعن في الإيمان كله. (١)

وهذه القضايا من التوحيد والعقيدة تشمل :- (٢)

- ١- أفراد الله تعالى في ربوبيته وأسمائه وصفاته.
- ٢- أفراد الله تعالى بالعبادة.
- ٣- أفراد الله تعالى بالحكم والتشريع.
- ٤- الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين والبراءة من الشرك والمشركين.
- ٥- الإيمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والقضاء والقدر.
- ٦- قضية الإيمان والكفر.
- ٧- الاعتقاد في الصحابة رضي الله عنهم وأهل البيت. ومسألة الإمامة والخلافة.

وتعد قضية التحاكم إلى شرع الله تعالى والتبرؤ من كل شرع سواه من أخطر القضايا العقائدية التي غابت عن عقول وقلوب المسلمين اليوم مع غياب المفهوم الشامل للتوحيد مع أن الخضوع لشرع الله تعالى وإثبات الحكم لله من خصائص الألوهية فكيف تستبدل شريعته عز وجل بقوانين البشر الوضعية.

لقد ظن كثير من السذج والبلهاء والمخدوعين أن شرع البشر من ملاحظة وزنادقة وعلمانيين وشيوعيين وديمقراطيين وغيرهم من تتحكم فيهم الأهواء وتسيطر عليهم الشبهات والشهوات، ظنوا أن تشريع هؤلاء هو قارب النجاة وسط هذه الرياح الهوجاء والأمواج العاتية والظلمات الحالكة التي يترنح الناس فيها كترنح من يتخبطه الشيطان من المس وخاب الجميع وخسروا!!! (٣)

(١) وبهذا الأصل يفترق السلفيون عن أصحاب الكثير من المناهج الإصلاحية المنسوبة للإسلام ولا تدخل هذه القضايا في حساباتها، ويفنون أعمارهم في قضايا فرعية عملية أو خلافات جزئية ويتناسون التوحيد الذي هو أصل الدين الأصيل والذي من أجله نزلت الشرائع وأرسلت الرسل.

(٢) راجع: (منة الرحمن في نصيحة الإخوان) لشيخنا ياسر برهامي حفظه الله.

(٣) جراح وأفراح: الشيخ محمد حسان ص ٥٥.

قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

### تفويض الأسماء والصفات ليس من توحيد السلف

يظن البعض ويزعم أن مذهب السلف تفويض معانى الأسماء والصفات أى إثبات ألفاظها كحروف من كلام أعجمي لا يفهم لها معنى، وهذا الادعاء باطل من وجوه منها:-

١- أن إثبات الصفات وهو عقيدة السلف ينافى تماماً القول بتفويضها، إذ إن مضمون الإثبات إثبات ما فيها من معانى معروفة من اللغة العربية، على الوجه اللائق بجلال الله وكماله، ومعنى تفويض المعنى الجهل به وعدم معرفته، وعدم الأخذ بمعنى اللفظ كما يفهم من اللغة، فالإثبات ينافى تفويض المعنى. (١)

٢- أن الأقوال الكثيرة والآثار العديدة المنقولة عن السلف الصالح فى إثبات الصفات تتضمن إثباتهم لمعانيها، وليس فيها تفويض معناها، مع التأكيد أنها ليست كصفات المخلوقين ولكنها على الوجه اللائق بكمال الله وجلاله.

أما ما قد ينقل عن البعض مما يوهم نفى المعنى فالمراد المعنى الذى مال إليه المتأولة والمعطلة ومن شابههم. (٢) وإلا فما أحد ينسب إليه ذلك من السلف إلا وقد ثبت عنه أقوال متعددة فى إثبات المعنى على الوجه اللائق بكمال الله وجلاله.

قال العلامة محمد خليل هراس رحمه الله: عن التفويض: «ومن الخطأ القول بأن هذا هو مذهب السلف كما نسب ذلك إليهم المتأخرون من الأشاعرة وغيرهم، فإن السلف لم يكونوا يفوضون فى علم المعنى، ولا كانوا يقرأون كلاماً لا يفهمون معناها، بل كانوا يفهمون معانى النصوص من الكتاب والسنة، ويثبتونها لله عز

(١) راجع: تحفة الإخوان فى صفات الرحمن إعداد محمد بن محمد بن عبد العليم مراجعة رئاسة إدارات البحوث العلمية والدعوة والإرشاد بالسعودية.

(٢) أى نفى لمعنى الذى ابتكره المعطلة من الجهمية وغيرهم وحرفوا به نصوص الكتاب والسنة عن ظاهرها إلى معان تخالفه.

راجع فى ذلك: مختصر الصواعق المرسله لابن القيم: ص ١٢٤.

رسالة الإكليل لابن تيمية من الفتاوى الكبرى ج-٢ / ص ٢٢-٢٣. فتح رب البرية بتلخيص الحموية لابن عثيمين رحمه الله ص ٦٣.

وجل، ثم يفوضون فيما وراء ذلك من كنه الصفات أو كیفیاتها، كما قال مالك حين سئل عن كیفیة استوائه تعالى على العرش الاستواء معلوم والکیف مجهول<sup>(١)</sup>. ا. هـ.

وقال فی بیان مذهب السلف فی إثبات الصفات: «وقد يعبرون عن ذلك بقولهم تمر كما جاءت بلا تأويل، ومن لم يفهم كلامهم ظن أن غرضهم بهذه العبارة هو قراءة اللفظ دون التعرض للمعنى وهذا باطل، فإن المراد بالتأويل المنفى هنا هو حقيقة المعنى وكنهه وكيفيته» ا. هـ.

قال الحافظ الذهبي رحمه الله: «المتأخرون من أهل النظر قالوا مقالة مولدة ما علمت أحداً سبقهم بها، قالوا: هذه الصفات تمر كما جاءت ولا تؤول مع اعتقاد أن ظاهرها غير مراد. فتفرع من هذا أن الظاهر يعنى به أمران:

أحدهما: أنه لا تأويل لها غير دلالة الخطاب كما قال السلف الصالح: الاستواء معلوم، وكما قال سفيان وغيره: قراءتها تفسيرها. يعني أنها بينة واضحة في اللغة لا يبتغي بها مضائق التأويل والتحريف. وهذا هو مذهب السلف مع اتفاقهم أيضاً أنها لا تشبه صفات المخلوقين بوجه.

الثاني: أن ظاهرها هو الذي يتشكل في الخيال من الصفة كما يتشكل في الذهن من وصف البشر فهذا غير مراد فإن الله تعالى فرد صمد ليس له نظير وإن تعددت صفاته فإنها حق. ولكن ما لها مثل ولا نظير. ا. هـ.<sup>(١)</sup>

قال صاحب المعارج: هذا التصور الفاسد هو الذي يحمل جهلة النفاة على ما صنعوا من النفي حين لم يفهموا من ظاهرها إلا ما يقوم بالمخلوق ولم يتدبروا من هو الموصوف فأساءوا الظن بالوحي ثم قاسوا وشبهوا بعد أن فكروا وقدروا ثم نفوا وعطلوا.<sup>(٢)</sup>

(١) معارج القبول للشيخ حافظ بن أحمد حكيمي الجزء الأول ط. دار الفتح الإسلامي بالإسكندرية نقلاً عن الذهبي: ص ٣٣١-٣٣٢.

(٢) المصدر السابق: ص ٣٣٢.

ومن الخطأ الشنيع تحكيم العقل في أمور الإلهيات والغيبيات، فإن هذا الاجتهاد لا يقبل في العقيدة ولا يندن به حولها إن مثل هذا الاجتهاد في العقيدة يسوق أصحابه كما هو مشاهد وواقع إلى الكفر الصراح والشطح البعيد.

### حرمة عبادة غير الله باسم التوسل والتبرك والشفاعة

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ {الأحقاف: ٥}.

وقال تعالى: ﴿والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير إن تدعوهم لا يسمعوا دعائكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير﴾ {الأعراف: ١٩٧}.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ {التقصص: ٨٨}.

وقال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شَرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ {سبأ: ٢٢}.

وقال تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ {النجم: ٢٦}.

وقال تعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً﴾ {الزمر: ٤٤}.

وقال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ {البقرة: ٢٥٥}.

والآيات في ذلك كثيرة. (١)

وقال عليه السلام: «من مات وهو يدعو من دون الله نداً دخل النار». رواه البخاري.

وفي حديث ذات أنواط لما قال بعض الصحابة ممن أسلموا حديثاً بعد فتح مكة للنبي عليه السلام: «اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط قال لهم عليه السلام: «الله أكبر إنها السنن قلتُم والذي نفسى بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اجعل لنا إلهاً كما لهم ألهة قال إنكم قوم تجهلون». رواه الترمذى وصححه.

(١) يراجع في ذلك: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد.

معارج القبول ج١/٤٧٦-٥٠٥ كتاب الزيارة لابن تيمية والجواب الباهر في زوار المقابر له أيضاً تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد: للألباني رحمه الله، وكتاب (التوسل) له أيضاً. ومعلوم أن مظاهر الشرك الصريحة تنشب في الأمة بسبب هذه المحرمات من صور التوسل غير المشروع وعبادة غير الله باسم التبرك والشفاعة والغلو في الصالحين وتصريف العبادات لهم.

## حرمة اتخاذ القبور مساجد والغلو في الصالحين

عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد». متفق عليه.

وقال صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي توفي فيه: «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» متفق عليه.

وقال صلى الله عليه وسلم: «إلا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد. ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك» رواه مسلم.

وعن أبي هريرة مرفوعاً: «اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد، لعن الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد». رواه أحمد بسند صحيح وعن ابن مسعود مرفوعاً: «إن من شرار الناس من تدركه الساعة وهم أحياء ومن يتخذ القبور مساجد». رواه أحمد وغيره. وهو حديث صحيح. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لما كان مرض النبي صلى الله عليه وسلم تذاكر بعض نساءه كنيسة بأرض الحبشة يقال لها مارية - وقد كانت أم سلمة وأم حبيبة قد أتتا أرض الحبشة - فذكرتا من حسناتها وتصاويرها قالت: فرجع النبي صلى الله عليه وسلم رأسه فقال: (أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً ثم صوروا تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة). متفق عليه.

والدعوة السلفية تجعل كل هذا نصب عينها فتدعو الناس أولاً إلى هذه القضية الكلية (توحيد الله) ثم تبدأ بعد ذلك في تفصيل فرعياتها وجزئياتها، فلا يزال الفرد الذي يسير في الطريق السلفي يرقى كل يوم درجة من درجات سلم التوحيد ويضيف كل يوم مسألة من مسائله، فلا يمر عليه وقت يسير حتى يكون بحول الله وتوفيقه وحمله - موحداً خالصاً كل يوم في زيادة من دينه.

وبهذا تفرق الدعوة السلفية عن كل ما عداها من دعوات الإصلاح الجزئية التي تنسب إلى الإسلام، وذلك أن هذه الدعوات تبدأ من جزئيات الدين كأن تحاول تصحيح الحكم والسياسة، وهذه جزئية من جزئيات الدين، وترى أن الوصول إلى تحقيق هذه الجزئية لا يكون إلا بتجميع الناس وعدم تنفيرهم حتى يساعدتهم الناس في الوصول إلى الحكم، ويرون أن تجميع الناس لا يتأتى لهم إلا بالسكوت عن

هم

المراد

أخطائهم العقائدية وبذلك يندس فيهم المشركون، والذين يدعون غير الله ويندس فيهم أيضاً أهل الأهواء من طلاب الرياسات والزعامات، لأنهم يرون أن طريقهم موصل لذلك، ويسكتون عن كثير من البدع العقائدية والخرافات حتى لا ينفروا الناس من دعوتهم في زعمهم، ويخترعون لهذا ما يسمونه (بمصلحة الدعوة) فيحلون كثيراً من المحرمات، ويحرمون كثيراً من الطاعات، وقد يكون هذا في مصلحة مصلحتهم كحزب يسعى إلى الحكم والرياسة، ولكنه حتماً ليس في مصلحة الدعوة الإسلامية التي يقوم أساسها على التوحيد الكامل، وليس أساسها على الحكم، والرياسة فتصحيح الحكم والسياسة من الدين ولكنه ليس أصل الدين ومنطلقه، ولذلك نص الذين ينتهجون هذا النهج في الدعوة (إصلاح الحكم والسياسة أولاً).

وشتان أن يكون هدف الدعوة هو التوحيد، وأن يكون هدف الدعوة هو الرياسة والزعامات فليس هذا بلباس الإسلام، والدعوة السلفية تسعى فيما تسعى إليه إلى إصلاح السياسة والحكم، ولكنها تنزل ذلك منزلته من أوامر الدين من حيث الأهمية والأولوية، وتسعى إليه بالتدرج السليم الصحيح الذي يتناسب مع القائمين بالدعوة وجهودهم.

وكذلك الشأن في كل دعوة اتخذت جزئية من جزئيات الإسلام مراداً ومنطلقاً وغاية لها كالدعوات إلى الإصلاح الاجتماعي من محاربة شرب الخمر والاختلاط وأندية الفسوق والفجور ونحو ذلك، وكذلك دعوات البر والإحسان والعطف على الفقراء واليتامي، هذه الجمعيات والدعوات مشكلتها أنها تتوقف عند جزئية من جزئيات الدين فلا تصل إلا إلى أقل القليل من النتائج، وقد يبقى أفرادها في دوائر ضيقة من العلم والعمل، ثم يتفرقون ويتمزقون، بل قد يجتمع معهم أهل النيات الفاسدة ومحبي الظهور والمدح، وهذه الأمور من جزئيات الإسلام وإن كانت مطلوبة مرادة، إلا أنها يجب أن تبقى في الإطار العام من دعوة الإسلام الشاملة العامة، وأن تكون أجزاء في هيكل التوحيد وإخلاص الدين لله سبحانه وتعالى.

ولذلك كان المنطلق السلفي في إخلاص الدين لله أولاً وتحقيق التوحيد، ثم إنزال جميع تكاليف الإسلام منازلها بعد ذلك من إصلاح الحكم والسياسة

والقضاء وإقامة الحدود وتطهير المجتمعات من الفساد، وتربية الرجال والنساء على الدين الحق من عبادات ومعاملات وأخلاق أقول: هذا المنطلق السلفى هو المنطلق الصحيح السليم، وهى دعوة الرسل، وعلى رأسهم محمد بن عبد الله ﷺ الذى دعا إلى التوحيد أولاً وأخيراً، ثم أنزل الأعمال منازلها حيث مناسباتها. (١)

على أننا نرى أن الدين قد كمل بعد حياة الرسول، ولا يجوز تعطيل فرضية من فرضياته، ولكن يقوم أهل الدعوة والجهاد من أوامر الدين بما يستطيعون وما يطيقون تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]. ويجب أن يكون ذلك على نهج النبي ﷺ ووفق سنته، فيحقق التوحيد في أفراد الدعوة ثم يدعون إلى العمل الصالح والقيام بالدين كله فى جميع شئونهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والخلقية، وكل هذا فى إطار التوحيد الذى هو غاية العمل الإسلامى ومراده.

(١) فلسنا ندعو إلى توقف الدعوة إلى الخير والطاعة أو تحقير أى منها ولسنا نؤجل الفروض الشرعية من صلاة وزكاة وصوم وحج والتزام بالحلال وترك للحرام ودعوة وجهاد فى سبيل الله وإقامة ما يقدر عليه من عبودية الفرد وعبودية الأمة بل كل ما أمكن إقامته وجب إقامته فوراً وبدون توان ولكن فى نفس الوقت لا نهمل الأصل والأساس وهو الإيمان والتوحيد. وكتبه [ياسر برهامي].

(٢)

الحرص على

تحقيق الوحدة

الإسلامية المثمرة

(٢)

رَبُّكَ رَحِيمٌ

قَلِيلٌ مَّا يَذْكُرُونَ

قَوْمًا تَكْفُرُونَ

### الإخوة الإيمانية ومعالجة أسباب الفرقة

جعل الإسلام بين المسلمين رابطة قوية من الأخوة الإيمانية قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠] وقال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه».

والحق أن الإسلام لم ينتشر إلا بهذه الأخوة العجيبة التي ربطت بين الصحابة رضي الله عنهم عليهم في صدر الإسلام فلولا إيواء الأنصار لإخوانهم المهاجرين، وحب المهاجرين وعفتهم مع إخوانهم الأنصار لما كانت هذه الفتوح العظيمة وهذا الانتشار السريع للإسلام شرقاً وغرباً. ولذلك كان من أعظم البلاء على أمة الإسلام ما وقع بينهم من فرقة وخلاف وشقاق جعل السيف بينهم بعد أن كان علي أعدائهم.

ومن أهم أسباب التنازع والفرقة بين المسلمين: الاختلاف في العقائد ومسائل الإيمان وقد بدأ الخلاف يسيراً في مسائل قليلة كالحكم على مرتكب الكبيرة الذي مات ولم يتب منها أكافر هو أم مسلم؟ وهل يجب قتاله أم لا؟ وفي سبيل ذلك نشأت بدعة الخوارج ثم المعتزلة ثم بدأ الخلاف حول صفات الله سبحانه وتعالى وأسمائه، ثم توسع الخلاف العقائدي ليشمل مسائل كثيرة ويمزق المسلمين إلى نحل وعقائد شتى.

واختلاف العقائد بالطبع يؤدي إلى اختلاف القلوب والأعمال.

والدعاة السلفيون من الصدر الأول دعوا الناس إلى التمسك في أمور العقائد بالكتاب والسنة، وترك التأويل بالباطل والهوى والتعصب، وكان لدعوتهم من البركة أن بقى جمهور المسلمين وعامتهم على سنن الحق متمسكين في عقائدهم بالكتاب والسنة، والدعاة السلفيون في هذا العصر السائرون على منهج السلف الأول في دعوتهم وجهادهم يدعون الأمة كذلك إلى أخذ عقائدها من الكتاب والسنة فقط، ونبد جميع البدع العقائدية والاجتهادات والتصورات الغيبية التي جاء بها المشعوذون والدجالون والمتكلمون على الله بلا علم. وذلك لجمع شمل الأمة على كلمة سواء فيكون إيمانهم واحداً. وبذلك تكون قلوبهم واحدة.

ولما كان الاجتماع على رأى واحد فى كل المسائل الفرعية العلمية متعذراً فإن الله سبحانه وتعالى أمر برد الاختلاف إلى كتابه وسنة رسوله، وقد أمر أيضاً بأن يعذر بعضنا بعضاً فيما لم نستطع التوصل فيه إلى رأى واحد، وكان هذا هو منهج الصدر الأول من سلف هذه الأمة من الصحابة ومن بعدهم يختلفون أحياناً، ولكن يعذر بعضهم بعضاً ولا يتعصبون لأقوالهم، ويردون ما اختلفوا فيه إلى الله ورسوله. وكان هذا أيضاً شأن أئمة الإسلام الأعلام وفقهاء الإسلام فى جميع الأقطار، ومن هؤلاء الأئمة الأربعة وغيرهم، يفتنون ولا يتعصبون، ويدعون تلاميذهم إلى نبذ التعصب لأقوالهم وأخذ الحديث والحجة أينما وجد وترك آرائهم وأقوالهم إذا خالفت الدليل. ولذلك استمرت وحدة الأمة التشريعية الفقهية زمناً طويلاً.

ولكن نشأ فى المسلمين من حرم الاجتهاد والرجوع إلى الكتاب والسنة،<sup>(١)</sup> وحرم استخدام الدليل زعماً أن فهم الدليل والحجة قد ولي، وحرم على الناس العمل إلا بأقوال الأئمة الأربعة، انتشرت هذه البدعة<sup>(٢)</sup> المقيتة فى زمان ضعف الأمة.

وإلى اليوم ورغم التنادى من كل مكان بوجوب تنظيم معاملاتنا وفق الكتاب والسنة، فإن هناك من لا يزال يعيش بعقلية التقليد والجمود، ويأبى إلا أن يظل المسلمون فى فوضى تشريعية، ويزعم أن كل قول فى الدين يجوز الأخذ به، ومن يزعم أن الاجتهاد باطل، وأن الدين محصور فيما دونه الأئمة الأربعة فقط<sup>(٣)</sup> ومن يتهم الدعاة السلفيين بمعادة الأئمة، بل ومن يوجب على المسلمين أن يتبع كل منهم إماماً من الأئمة الأربعة. وأن من أخذ بالدليل ورجع إلى الكتاب والسنة فهو مبطل مبتدع. أقول ما زال فى المسلمين من يعتقد هذا ويدعو الناس إلى ذلك.

ومعلوم يقيناً أن لكل إمام الرأى والرأيين فى المسألة الواحدة، كما نقول: قال الشافعى فى القديم وقال فى الجديد، بل والثلاثة والأربعة وأن كثيراً من المسائل الفقهية العملية فيها اختلاف واضح وإذا كان هناك اختلاف بين الفقهاء فى هذه

(١) نودى من بعد القرن الرابع الهجري بقفل باب الاجتهاد فى الدين.

(٢) نودى بإلزام كل مسلم نفسه باتباع مذهب من المذاهب الأربعة لا يخرج عنه فى كل أحكام الدين.

(٣) ولد الإمام أبو حنيفة عام ٨٠هـ وتوفى عام ١٥٠هـ (٦٦٩م-٧٦٧م) وولد الإمام مالك عام ٩٣هـ وتوفى عام ١٧٩هـ (٧١٢م-٧٩٥م) وولد الإمام الشافعى عام ١٥٠هـ وتوفى ٢٠٤هـ (٧٦٧م-٨٢٠م) وولد الإمام أحمد عام ١٦٤هـ وتوفى عام ٢٤١هـ (٧٨٠م-٨٥٥م).

المسائل فكيف يكون العمل إن قلنا نختار قول إمام واحد كان هذا التعصب، وليس هذا الإمام الواحد معصوماً حتى نأخذ جميع أقواله فى جميع معاملاتنا.

وإن قلنا بجميع الأقوال كان هذا تناقضاً واختلافاً. فكيف يحكم القاضى فيمن تزوجت دون إذن وليها؟ فبعض المذاهب يجيز ذلك، ويرى العقد مع هذا صحيحاً، وآخرون يرون العقد مع عدم إذن الولى باطلاً يجب فسخ الزواج سواء قبل الدخول أو بعده... فما العمل؟.

وإن قلنا نرجح بين الأقوال: فكيف نرجح، إن كان بالهوى والتحكم فليس الهوى من الدين؟ وإن كان الترجيح بالدليل والحجة فهذه هى السلفية.

وهو الحق: الترجيح بين أقوال الأئمة المتعارضة، وأخذ أقربها إلى الحق فى نظرنا، والبحث عن الدليل دائماً، وهذا هو الميزان الضابط لوحدة الأمة فى أمورها التشريعية.

وهذا جانب من جوانب الدعوة السلفية. الدعوة إلى وحدة الأمة التشريعية فى أمورها العملية، وذلك بحب الأئمة الأربعة وغيرهم جميعاً، والنظر إليهم نظرة سواء، وأخذ الأقوال المؤيدة بالدليل، والتى نرى أنها الحق، وعدم التعصب لواحد منهم دون الآخر، مع الاعتراف بفضلهم وعلمهم وجهادهم والتلمذ على كتبهم، ودراسة مناهجهم فى الفقه، وأخذ أقوالهم والعمل بها ما لم تخالف الدليل من كتاب أو سنة. وبهذا أمرونا هم ودعونا إلى ذلك.

وهذا هو المخرج الحقيقى من تمزق الأمة التشريعى وفرقتها العملية، ومعنى ذلك أنه لابد أن ينشأ فى الأمة العلماء المجتهدون العاملون الذين يستوعبون مرحلتهم الراهنة، ويفقهون أوضاع المسلمين الحاضرة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية والخلقية، ويوضحون للمسلمين فى هذه الأحوال ما وافق الكتاب والسنة، مسترشدين بعلم الأئمة الأعلام والفقهاء الكرام غير متعصبين لأحد منهم دون الآخر، وإنما يكون ولاؤهم للحق وتمسكهم بالدليل، فهم مع الحق لا مع الرجال، يعرفون الحق بدليله، ولا يعرفون الحق بقائله وهذا أبرز جوانب الدعوة السلفية وأكثرها وضوحاً ولعناً. أنهم طلاب حق يطلبونه بالدليل. ومع تقديرهم واحترامهم لأهل الفضل والعلم، فإنهم مع ذلك لا يقبلون أقوالهم إذا تحقق لديهم أنها تخالف الدليل.

ولما كان الحق واحداً لا يتعدد، وكان السلفيون طلاب حق لا عباد رجال لذلك حافظوا على وحدة الأمة، فالرجال المتبعون كثيرون، ولو كان كل رجل سيتبعه من الأمة جماعة، لتعددت الجماعات، وإذا كان الرجال يختلفون فمعنى هذا أن الجماعات ستختلف، وبذلك تفرق الأمة وتشتت.

وأما إذا كان الارتباط بالحق وللحق، وكان الرجال يقاسون بالحق، ولا يتعصب لأقوالهم، كان هناك جماعة، واحدة هي جماعة الحق. وكان هناك رجال يحترمون وتؤخذ أقوالهم بقدر اتباعهم وأخذهم بالحق.

ولذلك فإننا نقول: الدعوة السلفية دعوة وحدة للأمة في نظام عملي، مستند إلى الكتاب والسنة، يأخذ بأقوال الأئمة ولا يتعصب لرأى منهم، فهل على هذه الدعوة يا قوم من غبار؟.

إن السلفيين لا يرضون بالفرقة والاختلاف في الأمة الإسلامية، لأنها عائق يعوقها عن العمل الجماعي. ويمنع التآلف بين أفرادها. . والفرقة وإن كانت واقعة قدراً فنحن مأمورون بالعمل على إزالتها وتفاديها شرعاً، فلا يبقى منها إلا ما تفرضه علينا أهواء وبدع المخالفين، إن التضامن الإسلامي ليس فقط تضامناً آلياً سببه الاشتراك في الأرض واللغة والتاريخ، ولكنه تضامن عضوي، يقوم على عقيدة واحدة، وغاية واحدة، ومثل عليا واحدة، وقدوة واحدة هي النبي ﷺ .

إن الدعوة السلفية حينما تواجه المجتمعات الحالية بما فيها من أمراض ونقائص تدعو هذه المجتمعات إلى إصلاح ما فيها والمشاركة في إزالة العوائق التي تحول بين هذه المجتمعات والتطبيق السليم للإسلام من خلال أداء واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

## جماعات الدعوة هل هي من الفرق النارية

يتوهم البعض أن الدعوات المعاصرة الموجودة على الساحة من جملة الفرق النارية الضالة، وأن قول النبي ﷺ: (إن أهل الكتابين افترقوا في دينهم على اثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة - يعني الأهواء - كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة). رواه أبو داود وصححه الألباني. وفي رواية الترمذي: «قالوا من هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي» ينطبق على هذه الدعوات، وهذا خطأ، فالدعوات المعاصرة متفاوتة فيما بينها قريباً وبعداً من مثل ما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام ولذلك فلا يجوز التعميم.

وقد بين الشاطبي رحمه الله في الاعتصام ضابط الحكم على تجمع معين أنه من الفرق الضالة فقال: «وذلك أن هذه الفرق إنما تعد فرقاً بخلافها للفرقة الناجية في معنى كلي في الدين، وقاعدة من قواعد الشريعة، لا في جزئي من الجزئيات، إذ الجزئي والفرعي الشاذ لا ينشأ عنه مخالفة يقع بسببها التفرق شيعاً، وإنما ينشأ التفرق عند وقع المخالفة في الأمور الكلية». إلى قوله: «ويجوز مجرى القاعدة الكلية كثرة الجزئيات، فإن المبتدع إذا أكثر من إنشاء الفروع المخترعة عاد ذلك على كثير من الشريعة بالمعارضة» الاعتصام جـ ٢٠٠ / ٢٠٠. (١)

وعلى ذلك: فمن جماعات الدعوة والعمل في الحقل الإسلامي من هم من أهل البدع والضلالة لكونهم على بدعة مخالفة للسنة ويدعون إليها، ومنهم من يجمع بين السنة والبدعة، ومنهم من ينتسب إلى أهل السنة والجماعة بحسب تمسكه بما عليه أهل السنة والجماعة.

هناك فارق بين أهل السنة وأهل القبلة، فليس كل من انتسب للقبلة يكون من أهل السنة، بل قد يكون من أهل البدع والأهواء كحالة الخوارج الذين لم يكفرهم علي بن أبي طالب ولا جمهور الصحابة.

وفي شرح الطحاوية ص ٢٨٦ ونسبنا أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين ما داموا بما جاء به النبي ﷺ معترفين وله بكل ما قاله وأخبر مصدقين.

(١) نقلاً عن الضوابط الشرعية لتحقيق الأخوة الإيمانية والوحدة الإسلامية للشيخ سعيد عبد العظيم حفظه

قال رسول الله ﷺ: «من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فهو المسلم، له ما لنا وعليه ما علينا».

وقال أيضاً: «ولا تكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله ولا نقول لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله».

فرد بذلك على الخوارج القائلين بالتكفير بكل ذنب، كما رد على المرجئة فإنهم يقولون: لا يضر مع الإيمان ذنب، كما لا ينفع مع الكفر طاعة، فهؤلاء في طرف، والخوارج في طرف، وكلاهما على ضلالة خالفوا بها ما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام. (١)

\* وأهل السنة هم الطائفة الظاهرة المنصورة، وهم خير الناس للناس، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويحافظون على الجماعة ويلتزمون الطاعة في المعروف، ولاؤهم للحق وحده، يوالى بعضهم بعضاً ولاءً عاماً، ويعذر بعضهم بعضاً، فالولاء والعداء عندهم على أساس الدين، ولا يمتحنون الناس بما ليس من عند الله. (٢) وهم ملتزمون بما كان عليه صحابة النبي ﷺ من أمور الاعتقاد والعبادة والمعاملة والأخلاق والسلوكيات.

وسبب الضلال والخروج عن أهل السنة والجماعة إما الجهل بالحق فيكون الحكم بالظن لا بالعلم، وإما الحكم بالهوي، فيكون الحكم بالظلم لا بالعدل.

وقد يدفع إلى الضلالة الغلو في الدين، أو التعصب لشخص يحبه يوافق من وافقه ويعادى من يعاديه ويفرق بين جماعة المسلمين بذلك.

\* والخلافات بين المسلمين اليوم ترجع إلى ثلاثة أنواع:-

١- فمنها ما يرجع إلى اختلاف التنوع، وهذا يجب استثماره، والتعاون عليه، ولا يصح أن نسعى لإلغاء هذا الاختلاف لأنه بالتكامل فيه يتم الواجب ويتحقق المقصود.

٢- ومنها ما يرجع إلى اختلاف التضاد السائغ، وهذا يجب احتمالها وأن يسعنا كما وسع سلفنا الصالح، ولا يفسد الود والمحبة بيننا.

(١) المرجع السابق بتصرف: ص ١٢٠-١٢١.

(٢) المرجع السابق: ص ١٢٢.

ولكن يلزم ضبطه جيداً، والرجوع إلى أهل العلم عند الاختلاف.

٣- ومنها ما يرجع إلى اختلاف التضاد غير السائغ وهذا يجب علاجه بمحاربة ما خالف الكتاب والسنة من البدع والضلالات والأقوال الباطلة، والاجتماع على منهج أهل السنة والجماعة، والعمل على نشره بتفاصيله، وهذا يقتضى تحقيق هذا المنهج، وتحديدته تحديداً مفصلاً فى قضايا العقيدة والعبادات والمعاملات والأخلاق والدعوة ومناهج التغيير... إلخ مع الالتزام فى ذلك بطريقة السلف الصالح ومنهجهم.

وهذه هى الوسيلة المثلى لتقارب الصفوف واجتماع الكلمة. (١)

وهذا كله يحتاج إلى جهد كبير، مع التجرد والإخلاص والعمل المستمر.

وقد دلت الأحاديث المرفوعة والآثار عن الصحابة رضي الله عنهم والتابعين لهم بإحسان على أن السبل التى نهى الله عن اتباعها هى البدع والشبهات والشهوات المحرمة والمذاهب والنحل المنحرفة عن الحق وسائر الأديان الباطلة.

عن عبد الله بن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم خط خطاً بيده ثم قال: (هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه). ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣] (٢). فالاعتصام بالكتاب والسنة هو سبيل النجاة، والعاصم من الخلاف والفرقة، وهو أيضاً سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها هلك (فماذا بعد الحق إلا الضلال). والحق واحد، وهو أبلغ وعليه نور، والباطل كثير متشعب وهو لجلج عليه ظلمة، فاعرف الحق تعرف أهله، واعرف الباطل تعرف من أتاه، وخذ الحق من كل من أتاك به، ورد الباطل على صاحبه كائناً من كان، واسلك طريق الهدى ولا يضرك قلة السالكين، وإياك وطرق الضلالة، ولا تغتر بكثرة الهالكين. (٣)

(١) راجع فى ذلك (الضوابط الشرعية) للشيخ سعيد عبد العظيم حفظه الله ص ١٩٥-١٩٦.

(٢) رواه الإمام أحمد والنسائي بإسناد صحيح.

(٣) المرجع السابق: ص ١٤.



(٣)

الشمولية

فى

الدعوة



## رفض النظرة الجزئية للدين

لقد أثرت النظرات الجزئية التي اصطنعها المسلمون في العصور المتأخرة في نقص الفهم الصحيح للإسلام وعدم كمال العمل به.

لقد عرف الأوائل النظرة الصحيحة الشاملة لكل جوانب الإسلام المتعددة وكونوا منها في صدر الإسلام وحدة متماسكة مترابطة لا تنفصل. ثم جاء المتأخرون فعزلوا بعض جوانب الدين عن بعض.

فالجانب الاعتقادي تولاه المتكلمون.

والمعاملات والعبادات تولاهم الفقهاء.

والأخلاقيات والسلوكيات تولاهم المتصوفون.

وغالت كل فئة في الجانب الذي تصورته، وانعزل كل فريق بالجانب الذي اعتنى بدراسته، فضعف العمل بالإسلام ككل، وضاع بذلك الارتباط الحيوي والتأثير المتبادل بين جوانب الإسلام المتعددة. مما أدى إلى تشتت العقلية والنفسية المسلمة.

ومع جنوح كل طائفة إلى الغلو في منهجها في الجانب الذي تعاملت معه انحرفت بفهمها عن الفهم الصحيح للإسلام في الجانب الذي تمسكت به.

والمحصلة النهائية كانت الجهل بالإسلام الحقيقي والفهم الخاطئ لجوانبه. وكذلك الشأن في جماعات الدعوة، إذ إن كل جماعة تبنت جزئية من الإسلام، أو مجموعة أجزاء منه، لتكون منطلقاً وغاية لها، على حساب إهمال جزئيات آخر.

فبعض الدعوات اتخذت جانب الإصلاح الاجتماعي بمحاربة مظاهر الفسق والفجور والفحش وسوء الأخلاق ونحو ذلك.

وهناك دعوات للبر والإحسان والعطف على الفقراء والمساكين ورعاية اليتامى والأرامل.

وهناك جماعات اتخذت الجانب السياسي وشئون الحكم لإصلاح ما فسد من أحوال الحكام والحكومات.

وهناك دعوات اتخذت طابع تهذيب النفس وتطهيرها بمحاربة مظاهر الحرص على الدنيا والعمل لها والانشغال بها فأثرت الزهد والعزلة .

وكل دعوة تقف عند جزئية من الجزئيات تغالى فيها، ويبقى أفرادها فى دوائر ضيقة من العلم والعمل، وربما خالطهم أهل أهواء ونيات فاسدة من محبى الظهور والمدح .

والمحصلة: البعد عن الإطار العام من دعوة الإسلام الشاملة. وشتان ما بين حال هؤلاء وحال السلف الأول من الصحابة رضي الله عنهم فى فهمهم للإسلام والعمل به، فقد كان فهمهم فهماً عميقاً شاملاً:

ولهذا فالحاجة ملحة فى هذا الزمان إلى عرض الإسلام والدعوة إليه والعمل به فى صورة مبرأة من الشوائب والتشويه، صورة شاملة تستوعب جميع الجوانب والأجزاء، مع حفظها مترابطة، وحفظ نسبها ومواقعها إلى بعضها البعض، وهذه الصورة ليست جديدة ولا مبتدعة، ولكنها صورة قديمة، وردت فى القرآن الكريم .

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعَبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧]. فعبادة الله فيها الركوع والسجود، والعبادة من فعل الخير، ولكن ورود الأمر بالعام بعد الأمر بالخاص فيه تنبيه على فعل كل خير، وإتيان كل عبادة، بجوار الركوع والسجود. أى العمل بكل أعمال الإسلام .

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨].

قال ابن عباس وغيره: ﴿ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ﴾ يعنى الإسلام ﴿كَافَّةً﴾ يعنى جميعاً . وقال مجاهد: أى اعملوا بجميع الأعمال ووجوه البر .

فهذا أمر من الله تعالى لأهل الإيمان بالعمل بالإسلام كله .

قال ابن كثير رحمه الله: «يقول تعالى آمراً عباده المؤمنين به المصدقين برسوله أن يأخذوا بجميع عرى الإسلام وشرائعه، والعمل بجميع أوامره، وترك جميع زواجره ما استطاعوا من ذلك». ا.هـ .

قال الآلوسى رحمه الله: «والمعنى: ادخلوا فى الإسلام بكليةكم، ولا تدعوا شيئاً من ظاهركم وباطنكم إلا والإسلام يستوعبه، بحيث لا يبقى مكان لغيره» .

وقال أيضاً: «وقيل: الخطاب للمسلمين الخالص، والمراد من (السلم): شعب الإسلام، و(كافة): حال منه، والمعني: (ادخلوا) أيها المسلمون والمؤمنون بمحمد ﷺ في شعب الإيمان كلها، ولا تخلوا بشيء من أحكامه» ا.هـ.  
قال المودودي رحمه الله في (تذكرة دعاة الإسلام) في تفسير الآية:-

«أى بمجموع حياتكم، بحيث لا يشذ عن سلطانه شيء ولا يند عن دائرة نفوذه جزء من أجزائها، فلا يكن من شأنكم في ناحية من نواحي حياتكم أن تتجردوا من عبوديته الشاملة فتحسبوا أنفسكم أحراراً في شؤونكم تختارون من المناهج والأوضاع ما تريدون أو تتبعون من النظم والقوانين الوضعية المستحدثة ما تحبون». ا.هـ.

والشمولية ليست كلمة تقال، ولا ادعاء يزعم، ولكنها حقيقة واقعة تظهر عند التطبيق والأداء، فكم من جماعة تدعى الشمولية، وأعمالها تخالف هذا الادعاء، بما تقوم به من أعمال تنافي الشمولية في الإسلام.

### ومما ينافي الشمولية في الإسلام

\* تقسيم الدين إلى قشور ولباب:-

وهذا تقسيم مبتدع محدث في فهم الكتاب والسنة والعمل بهما، لا يعرف عن سلفنا الصالح، لاقاله أحد، ولا عمل به أحد. وبمقتضى هذا التقسيم المبتدع تكون هناك أعمال من الدين هي من لبابه فينبغي الاعتناء بها والقيام بأدائها، وأعمال هي من القشور لا تعطى هذه الأهمية وهذا الاعتناء، فيفرق بين هذا وذاك، ويهتم بهذا دون ذلك.

أما المقياس في ذلك والذي به تقسم أعمال الدين بين قشور ولباب فهو مقياس متغير ليس بثابت، وإن شئت قلت: هو بالأهواء والميل، فقد تعد الواجبات الدينية لباباً، وسن النبي ﷺ القولية والعملية هي القشور!!<sup>(١)</sup> وقد يفرق بين الواجبات الدينية نفسها فيقدم بعضها على أنه اللباب ويقدم الآخر بصفته قشور!!.

(١) ومعلوم أن أداء المندوبات وترك المكروهات تشغل جزءاً كبيراً من أحكام الدين، في العبادات والمعاملات والأخلاق والسلوكيات ولا يكمل إيمان العبد إلا بامتثالها.

بل وقد يمتد التقسيم إلى قضايا التوحيد فيهمل بعضها ويترك، فلا إلحاح في العمل به، ولا دعوة إليه، إذا لم يقبل عليه الناس اعتقاداً وعملاً، أو خالفوه عبادة وأفعالاً، فيصير التهاون في شأنه مطلوباً لتأليف القلوب (مثلاً) ولمنع (صدم) مشاعرهم) بذلك الآن، ولمنع (التنافر) و(الاختلاف) بسببها، فتجعل قشوراً، وجمع الناس على ما اعتادوه وأحبوه وألفوه لباباً.

ومثل ذلك مع الكثير من البدع، فيهمل شأنها، تارة بأن الائتلاف في وجودها خير من الاختلاف في التحذير منها، أو أن هناك بدعاً إضافية وأخرى حقيقية وبدعاً جزئية وبدعاً كلية، فالأولى تعد قشوراً يمكن إهمالها والثانية لباباً يمكن الخوض فيها على وجه النصح والإرشاد!!.

وكثير من الجهال يتمسحون بهذه البدعة (بدعة التقسيم) لترويج العمل بالمعاصي لدى المستهترين، فلا يهتمون ببعض أعمال الدين وبعض شرائعه الظاهرة التي يسمونها (شكليات) أو (قشوراً) ويدندنون فقط حول العمل والتمسك (بالباب)، ومن ثم إهمال الظاهر احتجاجاً بصلاح الباطن. ولسان حالهم أنهم (يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض)!!

ومن هذا القبيل: تقسيم الدين إلى أصول وفروع،<sup>(١)</sup> ثم التسامح في الفروع، بدعوى الاكتفاء بالاتفاق على الأصول، لذا يتساهلون في كل قضية يرونها (فرعية) بزعم الحرص على جمع الأمة ومنع وقوع التفرق فيها!!!.

وفي ثنايا ذلك كله تجد الكثير منهم يتبعون الرخص دون تحري، ويأخذون بزلات العلماء وأقوالهم المرجوحة،<sup>(٢)</sup> بدعوى (من قلد عالماً خرج سالماً).

وأخطر ما في هذا التساهل أن ينسحب بلا قيد على كثير من أحكام الشريعة التي لا توافق الأهواء، بحيث لا يبقى بعد ذلك مجال للدعوة إلى اجتناب المحارم

(١) تقسيم الدين إلى أصول وفروع ليس من فعل السلف أيضاً، ولكن من قال بذلك من العلماء أرادوا التفرقة النظري بين مسائل الأصول في العقيدة والتوحيد وبين مسائل الفروع في العبادات والمعاملات. والأخلاقيات والسلوكيات انظر التعليق السابق في التقسيم الشرعي والاصطلاحي.

(٢) وقد تسبب تقسيم الدين إلى قشور ولباب إلى ترك تحري الحق في مسائل الخلاف بين العلماء ومنها مسائل اختلفوا فيها هل هي حرام ام حلال. فجاء هؤلاء وتركوها بالكلية حفاظاً على الوقت والجهد أن يضع في معرفة حكم الله!! وتيسيراً على الناس!!! ولأنها أولاً وأخيراً من القشور!!!.

وتعظيم الشعائر، وتصبح الشريعة ألعبوبة فى يد المنحرفين عن أحكامها، يعظم أحدهم ما يهمله الآخر بل أخطر من ذلك انتقال هذا التساهل إلى أصول الدين ومسائل العقيدة والتوحيد.

إن قسمة الدين إلى قشر ولب تؤثر فى قلوب العوام أسوأ تأثير، وتورثهم الاستخفاف بالأحكام الظاهرة، ويتج عنها الإخلال بهذه الأمور التى سميت قشوراً، فلا يلتفتون إليها، ولا يباليون بمخالفتها وترك العمل بها. (١)

ولا يخفى أن الله سبحانه أنزل دينه على نبيه ﷺ لىبنى به الإنسان المسلم، فىكون به سعيداً فى الدنيا والآخرة، ولا يخفى على ذى عقل أن كل أمر ونهى من أوامر هذا الدين ونواهيته تسهم إسهاماً فعالاً فى بناء هذا الإنسان، سواء أكانت من المندوبات أم من الواجبات، وسواء أكانت من المكروهات أم من المحرمات، لأن جميع هذه الأحكام هى شعب الإيمان التى قال فيها ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان» (٢) فأما شعبة نقصت منها كانت نقصاً من الإيمان، وأما شعبة التزمها المسلم كانت زيادة فى إيمانه، لأن الإيمان يزيد وينقص بالقول والعمل، وهو مذهب السواد الأعظم من الأمة.

فإن قيل: واقعنا المعاصر والفتن والمصائب النازلة بالمسلمين، والمؤامرات والهجمات التى توجه إليهم، توجب علينا تقديم وحدة الصف المسلم، وجمع كلمة المسلمين على النظر فى خلافات العلماء فى مسائل الفروع، وشغل الناس بشكليات ومظاهر. فالواجب الآن التركيز على مسائل الدين المجمع عليها وأصوله المتفق عليها وترك ما سواها، خاصة وأن مسائل الخلاف فى الفروع قديمة، وأقوال العلماء فيها متضاربة، وترجيح أحدها ليس بالسهل ويستهلك أوقاتاً أولى أن تصرف الآن فى حماية الإسلام من الزوال، والمسلمين من الاستئصال بل إن هذا الخلاف فى الشريعة رحمة، وتوسعة فى أخذ كل إنسان منها ما يناسبه دون أن ينكر أحد على أحد، ولسنا جميعاً علماء، فلا عيب علينا ولا انتقاص إن اتبعنا أقوال غيرنا من أهل العلم وأئمة الدين.

(١) راجع فى ذلك: أدلة تحريم حلق اللحية للشيخ محمد بن إسماعيل ص ١٠٩ ورسالة تبصير أولي الألباب ببدعة تقسيم الدين إلى قشر ولباب ط. دار الفرقان - القاهرة - الطبعة السابعة ١٤٠٥ هـ.  
(٢) رواه مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة.

إن مشاكل المسلمين اليوم والخطر الذي يحدق بهم يفرض علينا أن نتجه هممنا إلى مواجهتها وإعطائها الأولوية، ولا ينبغي تضييع الوقت في الدعوة إلى تشكيلات وفرعيات.

والجواب:-

يقول الشيخ محمد بن إسماعيل حفظه الله: (١)

إن ترك الواجب الشرعي مخافة الفتنة الظنية هو في حد ذاته فتنة ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ [التوبة: ٤٩].

ولا تكون الفتنة حادثة بسبب التناصح بين المؤمنين بالتى هي أحسن وإنما تحدث من الجدل والعناد مع وضوح الحق وبيان الحجة.

إن ما ذكرتموه من اضطهاد المسلمين وضعفهم وتآمر أعدائهم. إلخ كل هذا حق، ولكنكم أوتيتم من خلطكم الأمور، فكلامكم قد يكون حقاً إذا سلمنا لكم أن التمسك بالفرعيات يتعارض مع مواجهة تآمر الأعداء وجهادهم، والحق أنه لا يلزم التعارض بينهما، إذ إن بيان الحق في الأمور الفرعية لا يتعارض مع جهاد الأعداء إذ كان الهدف هو حقاً بيان الحق مع البعد عن الجدل العقيم.

وقد واجه الرعيل الأول أخطاراً تهدد كيانه، ولم يحملهم ذلك على ترك الفرعيات وتقرير الحق فيها وإلزام أنفسهم باللازم منها، (٢) ومع ذلك سادوا الأمم، وأسقطوا عروش الكفرة وأقاموا صرح الإيمان شامخاً. والذي يفت في عضد المسلمين هو من يجادل في الحق بعد ما تبين، (٣) ويصر على عدم الانقياد له، ويشير الجدل بشبهات سقيمة، وليس من يدعوهم إلى التمسك بالكتاب والسنة،

كَمَا أَرَادَ اللَّهُ بِالْحَجَرِ الْمُسْلِمِ وَسُنَّةِ السَّوَابِقِ مِنَ الْكَلِمَةِ

(١) انظر رسالة (تبصير أولي الألباب ببدعة تقسيم الدين إلى قشر ولباب) من كتاب (أدلة تحريم حلق اللحية)

للشيخ محمد بن إسماعيل ط. دار الفرقان ط. السابعة: ص ١٠٩-١٣٢.

(٢) واجه الرعيل الأول خطر المرتدين ومدعي النبوة، ثم قتال فارس والروم، ومع ذلك لم يتوانوا عن نشر العلم والسنة، ولم يتبرموا من النظر في المسائل العلمية وعرض الآراء والنصح والإرشاد في مسائل الخلاف المعبر، والإنكار على المخالف في مسائل الخلاف الغير معتبر. فينبغي السير على ما كانوا عليه والتأسي بهم إذ إن ذلك فيه ظهور الإسلام ولا يعارض - كما ترى - الجهاد في سبيل الله والتصدي لمؤامرات أعداء الإسلام.

(٣) بمخالفة ما ثبت دليله من الكتاب والسنة.

وإذا كان الكفار مخاطبين بفروع الشريعة علي الأرجح(\*) فكيف بالمسلمين الذين قال الله تعالى في حقهم: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١] وقال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨]، دون تفريق بين فروع وأصول وبين ظاهر وباطن وبين قشر ولب. وربنا جل وعلا قد أمر المؤمنين بالقيام بما شرعه من دينه -ولو كان من القضايا العلمية التي يسمونها فروعاً- في أشد أوقات الكفاح وهو وقت الالتحام المسلح مع الأعداء، في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ [النساء: ١٠٢].

وما يتوهمه هؤلاء المخالفون ما هو إلا نتيجة لتخليهم أن النسبة بين (مواجهة الأعداء والانتصار عليهم) وبين (تعلم المسائل الفرعية والتمسك بها وإن دقت) إنما هي تباين المقابلة، كتباين النقيضين: كالعدم والوجود، والنفي والإثبات، أو تباين الضدين: كالسواد والبياض، والحركة والسكون، أو تباين المتضائفين (كالأبوة والبنوة)، والفوق والتحت، أو العدم والملكة كالبصر والعمى.

فإن الوجود والعدم لا يجتمعان في شيء واحد في وقت واحد من جهة واحدة، كذلك الحركة والسكون مثلاً، وكذلك الأبوة والبنوة، فكل ذات ثبت لها الأبوة لذات استحالت عليها البنوة لها، بحيث يكون شخص أباً وبنياً لشخص واحد، كاستحالة اجتماع السواد والبياض في نقطة بسيطة أو الحركة والسكون في جرم، وكذلك البصر والعمى لا يجتمعان.

فتخيل هؤلاء أن مواجهة الأعداء والتمسك بالفروع متباينان تباين مقابلة بحيث يستحيل اجتماعهما، فكان من نتائج ذلك هذه المعارضة المتهافئة. والتحقق أن النسبة بين الأمرين بالنظر إلى العقل وحده، وقطع النظر عن النصوص النقلية إنما هي تباين المخالفة.

(\*) من أدلة هذا الترجيح: قوله تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾ (٤٦) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٧) وَلَمْ نَكُ نَطْعِمُ الْمَسْكِينِ وقوله سبحانه وتعالى: ﴿خَذِرْهُ فَعَلُوهُ﴾ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمِ صَلْوَهُ (٢١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ (٢٢) إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (٣٢) وَلَا يَحِضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ. ومنها قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ إلى قوله: ﴿يُضَاعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيُخَلَّدُ فِيهِ مَهَانًا﴾ الآية. لأن الآية في مضاعفة العذاب في حق من جمع بين المحظورات المذكورة.

وضابط المتباينين تباين المخالفة أن تكون حقيقة كل منهما في حد ذاتها تباين حقيقة الآخر ولكنهما يمكن اجتماعهما عقلاً في ذات أخرى: كاليابض والبرودة، والكلام والقعود، والسواد والحلاوة.

فحقيقة البياض في حد ذاتها تباين حقيقة البرودة، ولكن البياض والبرودة يمكن اجتماعهما في ذات واحدة كالثلج، وكذلك الكلام والقعود، فإن حقيقة الكلام تباين حقيقة القعود، مع إمكان أن يكون الشخص الواحد قاعداً متكلماً في وقت واحد.

وهكذا فالنسبة بين (جهاد الأعداء ومواجهة تأمرهم) وبين (الدعوة إلى الفروع والتمسك بها وتعليمها للناس) من هذا القبيل، فكما أن الجرم الأبيض يجوز أن يكون بارداً كالثلج، والإنسان القاعد يجوز عقلاً أن يكون متكلماً، والتمرة السوداء يجوز عقلاً أن يكون مذاقها حلواً، فكذلك التمسك بالفروع يجوز عقلاً أن يواجه أعداءه ويجاهدهم، إذاً لا مانع في حكم العقل من كون المحافظ على أوامر الله واجتناب مناهيه مشتغلاً بجهاد أعدائه بكل ما في طاقته كما لا يخفي، (١) وكما عرفه التاريخ لنبياء ﷺ وأصحابه ومن تبعهم بإحسان.

أما بالنظر إلى أدلة الكتاب والسنة كقوله تعالى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ [الحج: ٤٠] وقوله عز وجل: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾ [محمد: ٧] وغير ذلك من النصوص. فإن النسبة بين التمسك بالشعائر الإسلامية وبين تنزيل النصر من الله جل وعلا كالنسبة بين الملزوم ولازمه، لأن التمسك بالدين هو ملزوم النصر بمعنى أن يلزم عليه الانتصار كما صرحت الآيات وهؤلاء المخالفون أظهروا للناس أن الربط بين الملزوم ولازمه كالتنافي الذي بين النقيضين والضدين، وهؤلاء بدورهم أذعنوا لهم لسناجتهم وجهلهم، وأنتج ذلك نفرة في قلوبهم بمجرد سماع من يتكلم في الفروع إبهاماً له بأنه يبطل بذلك الجهاد. هذا وإن من البديهي أن فاقد الشيء لا يعطيه «ولا يستقيم الظل والعود أعوج».

والدولة المسلمة لن تقوم إلا على أكتاف أولى العزم الذين يلتزمون بكافة أحكام الشرع، ويوافقونها في ظاهرهم وباطنهم لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْيِرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يَغْيِرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

(١) بل هذا أرجى - لما فيه من تقوى الله - لتأييد الله ونصره، وهزيمة الأعداء.

والدولة المسلمة ما هي إلا ثمرة لتمسك جنود الإسلام بكل شرائع دينهم، والدعوة الإسلامية الآمنة على الإسلام لا تساوم على شيء من أحكامه ولكنها تحفظها كلها أداءً للأمانة وإعذاراً لنفسها أمام الله تبارك وتعالى.

ولا شك أن إنكار المنكرات المتعلقة بالنفس - مع فقدان المانع من تغييرها - من أيسر الأمور، فإذا تساهلنا في هذا مختارين فكيف ننكر على غيرنا؟ وقد أخبرنا الله عز وجل أن مصدر الخيرية لهذه الأمة هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وأخبر أن من أسباب ضعف المجتمع ترك التناهي عن المنكرات والأمر بالمعروف فقال تعالى: ﴿لَعَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨-٧٩]. وتوعدنا رسول الله ﷺ أن يصيبنا ما أصابهم إذا فعلنا مثل فعلهم، وقد عاقب الله من ضيع حظاً من شريعته في قوله تعالى: ﴿فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [المائدة: ١٤] ودلنا رسول الله ﷺ على المخرج من فتنة الافتراق. بقوله: «فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار».

فالمسلمون إذا نزلت بهم مخمصة وشدة فإن من أسباب جلاء الغمة عنهم المزيد من التمسك بالسنن والبراءة من البدع وليس مهادنة أهل البدع وتشبيط الدعاء إلى السنن. (١)

(١) أدلة تحريم حلق اللحية: ص ١٢٤-١٢٨ للشيخ محمد بن إسماعيل.

### قياس فاسد

ومن أقيستهم العقلية الفاسدة التي يلبسون بها على العوام قولهم: إنما مثل من يتكلم في هذه الفرعيات والأعداء محدقون بنا كمثّل رجل قائم على الشاطئ، وشخص يعالج الأمواج يوشك أن يغرق وقد لبس خاتماً من ذهب، فيهتف الأول بالثاني منكرًا عليه لبس خاتم الذهب غير مبال بالخطر المحدق به والذي يودى بحياته.

وجواب هذا أن يقال:

أنتم تقيسون فرعاً على أصل ليس بينهما أى تماثل، والأصل المقيس عليه حالة ضرورة فلا شك يقدم دفع الضرر الأكبر الذى هو تلف النفس على المنكر الأصغر الذى هو لبس الرجل خاتماً من ذهب، فكذا إذا دهمنّا الأعداء ننفر جميعاً لمواجهتهم دون التفات إلى خلافات فرعية انشغالاً بالمنكر الأكبر. أما الفرع المقيس وهو وضع مجتمعاتنا فى هذا الزمان فلا شك أنه فى بلادنا -على الأقل- دون حالة الضرورة التى فيها تتلف الأنفس والأديان ويهلك الحرث والنسل، وينفر المسلمون نفيراً عاماً بما فيهم الشيوخ والنساء... «وقد يستنكر هذا الكلام لأول وهلة، أو يساء الظن بقائله، ولكنى أتى بالدليل عليه من واقع حياة المعترضين أنفسهم فأقول: هل واقع حياتكم مثل واقع رجل يلقي بنفسه فى المخاضة ولا يلوى على شيء لينقذ غريقاً يصارع الأمواج ويوشك على الغرق؟ وهل هو واقع قوم أتاهم النذير ونودى فيهم بالنفير العام؟ لماذا إذن تحيون حياة رتيبة تتمتعون فيها بالحاجيات بل الكماليات والتحسينات، تطعمون الفواكه، وتتنعمون فى الفرش، وتتنزهون فى المتنزهات، وكل هذا لا ينكر عليكم ولا تستنكرونه من غيركم قائلين: «إن الإسلام مهدد فى وجوده، والمسلمين مضطهدون، وأنتم تأكلون الفواكه وتتنعمون بالفرش وتتنزهون فى المتنزهات». فلماذا إذن تضعون العوائق فى طريق السنة، وتضربون لها الأمثال، وترهقون عقولكم فى استخراج أمثال هذه الأقيسة العقلية الفاسدة، أفكانت سنة رسول الله ﷺ أهون عليكم من هذه التفاهات الدنيوية؟ أفلا يردعكم عن هذا الشيطان قول أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه «دعوا السنة تمضي، لا تعرضوا لها بالرأي».

ولا قول سفيان: «استوصوا بأهل السنة خيراً فإنهم غرباء». ولماذا لا تصرفون جهدكم إلى محاربة المعاندين للسنة المجادلين بغير الحق عن البدع؟.

لقد ضرب لنا رسول الله ﷺ مثلاً هو أصدق من قياساتكم الفاسدة حين قال: «مثل القائم على حدود الله والمدهن فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة في البحر فأصاب بعضهم أعلاها وأصاب بعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقال الذين في أعلاها: لا ندعكم تصعدون فتؤذوننا، فقالوا: لو أنا خرقتنا في نصينا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوه وما أرادوا، هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً»<sup>(١)</sup>. فالسكوت على المنكرات سواء في فروع أو أصول، ظاهر أو باطن، سبب من أسباب نزول العقوبات العامة وعموم الفتنة والعذاب.<sup>(٢)</sup>

وقد يقال: إنما الأعمال بالنيات، والعبرة بصلاح القلب، فإن صلح صلح الجسد كله، وإن فسد فسد الجسد كله، فما دام القلب نيته سليمة، فلا يضر مع ذلك إغفال الظواهر وإهمال الشكليات، ومع إتيان الواجبات والأركان فلا بأس في ترك السنن والمندوبات.

### والجواب:

أن العمل الصالح المقبول له شرطان:

\* أحدهما: ما ذكرتم من صلاح النية والقلب، فلا يكون العمل رياءً ولا نفاقاً، ولا يكون في القلب إرادة غير الله، والتوجه لسواه. فإن سلم العمل من سوء النية وفساد القلب وكان العبد فيه مخلصاً لله قاصداً به وجهه الكريم وحده، فقد تحقق الشرط الأول من شروط قبول العمل.

\* والشرط الثاني: موافقة العمل نفسه لشرع الله تبارك وتعالى. فيكون مطابقاً لهديه ﷺ وإلا كان ابتداءً في الدين، وتقرباً لله بما لم يتقرب به إليه النبي ﷺ.

(١) أخرجه البخاري وأحمد والترمذي من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

(٢) المرجع السابق: ص ١٢٨-١٢٩.

وفى الحديث قال صلى الله عليه وسلم: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد». فالشرط الأول: إصلاح للباطن بإصلاح النية وسلامة القلب. والشرط الثاني: إصلاح للظاهر بموافقة الشرع والسير على أحكامه. وهذان الشرطان لازمان لصحة العمل وقبوله مهما كان هذا العمل.

فلا فرق بين عقيدة وعبادة، ومعاملة وسلوك، واجب ومدوب، أقوال أو أفعال. وقد جمع الله تعالى ذكر هذين الشرطين في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]. قال الفضيل بن عياض في قوله تعالى: ﴿لِيَسْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢] قال: أخلصه وأصوبه.

فالعمل إن كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل. وإذا كان موافقاً للشرع لا يقبل إلا أن يكون خالصاً لله. والإخلاص: إرادة الله وحده بالعمل. والصواب من الأعمال: ما وافق هديه صلى الله عليه وسلم وستته.

\* بل إن القلب لا يكون صالحاً وسليماً وممتلاً بمحبة الله وخشيته إلا بالتزام ما يحبه الله عز وجل ويرضاه من الأعمال والأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة، ويظهر أثر ذلك على الجوارح واللسان، مع اجتناب المحرمات وتوقى الشبهات، والأخذ بالزهد والورع والإعراض عن اتباع الهوى وحب الدنيا.

ولا يتصور قلب صالح لعبد مؤمن صالح ومعه معاندة للشرع ومخالفة له وإعراض عن بعض أحكامه، وتفريق بين أوامره، وعدم انقياد له انقياداً (باطنياً) بالقلب وانقياداً (ظاهرياً) بالجوارح واللسان.

إذا عرفنا ذلك يتبين لنا بوضوح خطأ تقسيم الدين إلى قشور ولباب، وقطعنا الطريق على محبى المعصية والفساد فى الأرض الذين يتحصنون بدعاوى حسن النية فى ارتكاب المخالفات الشرعية.

فإن قيل: النبى صلى الله عليه وسلم قال فى الحديث: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم». رواه مسلم. فلم يعلق الحديث بقبول الله للعبد على ظاهره من حيث صورته وماله ولكن على صلاح قلبه وعمله.

فالجواب :-

بيننا منذ قليل أهمية سلامة القلب وإخلاص العمل لله، وأن ذلك شرطاً في صحة العمل. وبيننا أن موافقة العمل للشرع شرط ثانى في صحة العمل.

وهذا الحديث لا يخالف ما بيناه فهو لم يقصر قبول الله عز وجل للعبد على قلبه فقط ولكن على عمله أيضاً فقال ﷺ: «ولكن ينظر إلى قلوبكم» وهذا الشرط الأول لصحة العمل. ثم قال ﷺ: «وأعمالكم». وهذا هو الشرط الثانى الذى ذكرناه. فالحديث حجة على المخالف لا له.

فإن قيل: أليس من فقه الداعية أن يراعى أولويات الدعوة، وأن يقدم الأهم على المهم، والواجبات قبل المندوبات، وكبائر الذنوب على صغائرها. وذلك كله للمصلحة بتقديم أهم الأمور، وتحقيق أعظم المعروفين، وتفويت أكبر الضررين. فهذا من جنس هذا. أى أن تقسيم الدين إلى قشور ولباب بحسب أحوال الناس من جنس هذا التقديم للأولويات والاعتناء بالأهم.

فالجواب: أن تقديم شيء على شيء، لا يعنى إهمال الدعوة للآخر، ولكنه بدء بالأهم، ليمثل به، ثم يتبعه الأمر الثانى. وهذا التقديم مراعاة للأولوية يرجع إلى فقه الداعية وحالة المدعو.

فالأمر بأداء الصلاة المتروكة مقدم على الأمر بصيام التطوع مثلاً.

والنهى عن شرب الخمر مقدم على النهى عن تأخير الصلاة لآخر وقتها مثلاً وهذا فى حق الفرد الواحد.

ولكن مع الامتثال للأمر الأول فلا مانع من الانتقال إلى الدعوة إلى الأمر الثانى.

أما فى حق المجتمع ككل والدعوة عامة، فتكون الدعوة شاملة لكل واجبات الدين ومندوباته ومتضمنة النهى عن كل محرمات الدين ومكروهاته وبيان ذلك كله للأمة داخل فى الدين لينقل إلى الناس كاملاً ويعمل به فى الأمة تاماً.

فتبليغ كل الدين مطلب شرعى وواجب كفائى.

وفى الحديث: «بلغوا عنى ولو آية فرب مبلغ أوعى من سامع».

وفي الحديث: «رحم الله امرأً سمع مقالتي فبلغها كما سمعها». فتبين الفارق بين تقسيم الدين إلى قشور تترك ولباب يعتنى به، وبين التدرج في حق المدعو وتقديم الأهم على غيره في حثه على الامتثال بتعاليم دينه وإنكار ما هو عليه من منكرات.

\* ويدل على فساد تقسيم الدين :-

إلى قشور ولباب اعتبارات عديدة منها:-

١- قوله ﷺ: «لا يمنعن رجلاً هيبة الناس أن يقول بحق إذا علمه أو شهده أو سمعه». (١)

وعوموم الحديث لم يفرق بين أمر وأمر، فكل مخالف للشرع سواءً خالف في قشر أو لباب فوجب أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر وقول الحق له.

فإن سكت خشية أن يتهمه الناس مثلاً بالتعصب، أو التزمت، أو الاهتمام بالفسافس من الأشياء، أو مخالفة العرف السائد، أو الخروج على مألوف الناس، أو تساهلاً وإعراضاً، أو تجنباً لنقد الناقدين، أو لثلاً يقال: إنه لا يعرف حق العصر أو غير ذلك من الأعذار التي لا تقبل عند الله سبحانه وتعالى فهو، آثم يستحق الذم والعقوبة.

٢- أن العلماء يعرفون الحكم الشرعي بأنه «خطاب الله تعالى المتعلق بأفعال المكلفين على سبيل التخيير أو الطلب تركاً أو فعلاً» وما يسمونه قشوراً من أعمال الدين داخل في دائرة الأحكام الشرعية الخمسة. فكيف يسمى حكماً من الأحكام الخمسة هو خطاب متعلق بأحكام المكلفين أنه من القشور، على سبيل التهوين منه، وكيف يفرق بين أحكام الشرع المختلفة بظن فاسد لا سند له ولا دليل عليه.

٣- أن كل مجتمع محتاج إلى العمل بالدين كله آدابه ومعاملاته وعباداته وعقائده، والدعوة إلى ذلك كله من مهام الدعاة، وكل انتقاص لشيء من هذه الأشياء انتقاص من الدين والإيمان ويخشى مع ترك العمل به والدعوة إليه أن يظل مفقوداً في هذا المجتمع، وتتوارث ترك العمل به الأجيال اللاحقة.

(١) رواه الترمذي وابن ماجه وأحمد بسند فيه ضعف، لكن له متابعات وطرق تقويه. وانظر السلسلة الصحيحة للألباني رحمه الله رقم (١٦٨).

وفي الحديث: «لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها، وأولهن نقضاً الحكم وآخرهن الصلاة»<sup>(١)</sup>.

٤- أن التفریط في الأمر الصغير يؤدي إلى التفریط في الأمر الكبير لأن استمرار هذا التفریط ينشئ في الإنسان عادة تنتهي به إلى التهاون فيما يفعل، والأمة كلها تعلم أن هناك كثيراً من عرى الدين وأحكام الإسلام مقصية عن واقعهم، ولا يستطيع الوصول إليها أو التحدث عنها، وبعض هذه العرى مما يترتب عليه إقامة حكم الله في الأرض، وحماية بيضة الإسلام، فهل من الحكمة والإيمان معاً أن يترك الداعية الدعوة إلى ما بقى من عرى الدين وأحكام الإسلام - وأغلبها مما يدخل في عداد القشور بزعمهم - بعذر أنه لا يقدر على هذه أو تلك منها؟ إنه لقول عجاب، وأى الأمرين يكون أحسن، أن يدع القادر على البعض، هذا البعض المقدور على فعله، البعض غير المقدور عليه، أو يدع غير المقدور عليه للمقدور عليه فيفعله.

٥- أن هذا التفریق لم يعرف في سلف الأمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان، فقد كانوا أحرص الناس على الاستجابة لكل أمر فيفعلوه، وعلى كل نهى فيجتنبونه، تحقيقاً لقوله ﷺ: «إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم وما نهيتكم عنه فاجتنبوه».

لقد نشأت هذه المقولة الحادثة من خضوع العقل المسلم للثقافات الغربية التي أخذت عليه أقطاره وسدت عليه طرائقه التي وصلت به من قبل إلى الهدى والحق، وخير الهدى ما استقر عليه الأمر في القرون المفضلة الأولى التي عاشت بالإسلام كله عقيدة وشرية.

(١) رواه أحمد وابن حبان والحاكم عن أبي أمامة بسند صحيح.

## وينافي الشمولية في الإسلام:

التغاضى عن البدع المنتشرة في البلاد: فإن من شمولية الأخذ بالإسلام محاربة كل ما يخالفه من الخرافات والخزعبلات والشركيات والمنكرات .  
ومحاربة كل ما نسب إليه من البدع والمحدثات .

فليس من شمولية الإسلام التغاضى عن أى من هذه المخالفات ليكون الدين نقياً كما أنزل غضاً يؤتى ثماره فى كل زمان ومكان .

وللأسف فإن من الجماعات فى ساحة الدعوة من يتغاضى عن مثل هذه القضايا تحت مسميات عديدة: إما (مصلحة الدعوة) وإما بدعوى (تأليف القلوب أولاً) .  
وأن وحدة الأمة أهم من تحقيق هذه التصحيحات والتنقيتات لفهم الدين والعمل به .  
ومن تلك المسميات التفريق بين (البدعة الحقيقية) و(البدعة الإضافية) .

فينكر فى الأولى ويتغاضى عن الثانية أو يكتفى فيها بمجرد النصح وبيان وجه المخالفة .

وهذا خطأ شرعاً - كما سنبينه - إذ إن الشرع لم يفرق بين بدعة وأخرى، طالما أنها تخالف الشرع، إذ لا يصلح أن يتقرب بها إلى الله تعالى مع بدعتها .

إذ يندرج تحت هذا التفريق التغاضى عن عديد من البدع المنتشرة فى البلاد: كصلاة الرغائب وصلاة ليلة النصف من شعبان وزيارة المقابر فى أول خميس من رجب وصيام السابع والعشرين من رجب وقراءة القرآن بين الأذان والإقامة جهراً فى المسجد فى صلاتى الفجر والعصر والقراءة قبل صلاة يوم الجمعة . . . إلخ .

فأصل مادة (بدع): الاختراع على غير مثال سابق . ومنه قوله تعالى: (بديع السموات والأرض) أى مخترعهما من غير مثال سابق . ومنه قوله تعالى: ﴿مَا كُنْتَ بَدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٩] أى ما كنت أول من جاء بالرسالة من الله إلى العباد بل تقدمنى كثير من الرسل، لأنهم كانوا يعجبون من إرساله إليهم وهو بشر مثلهم .

يقال: ابتدع فلان بدعة إذا ابتدأ طريقة لم يسبق إليها . وهذا أمر بديع: يقال فى الشيء المستحسن الذى لا مثال له فى الحسن .

فمن هذا المعنى سُمى العمل الذى لا دليل عليه من الشرع بدعة، وهو إطلاق أخص منه فى اللغة والفاعل للبدعة هو المبتدع .

## تعريف البدعة وبيانها

البدعة: طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه .  
 الطريقة: ما رسم للسلوك عليه .

الدين: ما شرعه الله تعالى على لسان رسوله ﷺ من العقائد والعبادات والمعاملات والأخلاقيات .

وقيدت الطريقة بالدين: احترازاً عما يخترع في الدنيا فإنه لا يسمى بدعة .

معنى مخترعة: أنها لم يكن لها أصل في الشريعة، وبهذا القيد انفصلت عن كل ما ظهر لبادئ الرأي أنه مخترع مما هو متعلق بالدين كالنحو وأصول الفقه وسائر العلوم الخادمة للشريعة فإنها وإن لم توجد في الزمان الأول فلها أصل في الدين فلا تسمى بدعة .

تضاهي الشرعية: أى أنها تشابه الطريقة الشرعية من غير أن تكون في الحقيقة كذلك كتخصيص يوم النصف من شعبان بصيام، أو ليلته بقيام، فإنه طريقة في الدين مخترعة تضاهي تخصيص الشرع أياماً وليالي بأعيانها دون غيرها بصيام أو قيام كصوم يوم عاشوراء والأيام الأولى من ذى الحجة وكقيام ليلة القدر والعشر الأواخر من رمضان . فإن صاحب البدعة إنما يخترعها ليضاهي بها السنة حتى يكون ملبساً بها على الغير، أو تكون هي مما تلتبس عليه بالسنة . إذ إن؟ الإنسان لا يقصد الاستتباع بأمر لا يشابه المشروع لأنه إذا كان كذلك لا يستجلب بابتداعه نفعاً ولا يدفع ضرراً ولا يجيبه غيره إليه . ولذا ترى المبتدع يتنصر لبدعته بأمر توهم موافقة التشريع ولو بدعوى الاقتداء بفلان المعروف مقامه في أهل الكمال .

فلا بد في حد البدعة من اعتبار مضاهاة الأمور المشروعة، وأن يكون إحداثها على أنه دين وشرع بحيث يكون المحدث لها مضاهياً ونظيراً للشرع في وضع التشريع .

(يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله تعالى): هذا تمام معنى البدعة إذ هو المقصود بتشريعها، وذلك أن أصل الدخول فيها يحث على الانقطاع للعبادة

والترغب ففها فكأن المبتدع رأى أن المقصود هذا المعنى ولم يتبفن له أن ما وضعه الشرع كاف فى التعبد فافترع ما افترع.

بهذا فالعادات لا فدخل فى معنى البدعة، فكل ما افترع من الطرق فى الدين مما فضاهاى المشروع، ولم يقصد به التعبد، فقد خرج عن هذه التسمية كالفرائب على الأموال بنسب مخصوصة وقدر مخصوص مما فشفه فرض الزكاة ولم فكن فلفها ضرورة ملجئة. ففانها لا تسمى بدعة. (١)

والمحصلة: أن البدعة شرعاً ما أأدث بعد النبى ﷺ على أنه دفن وشرع بناءً على فأوبل أو شبهة غير معتد بها. فاللبتدع مشروع ومفبع لهواه، قد جعل نفسه نظيراً للشارع. لذا فالبدعة لا تكون إلا مذمومة على هذا التعرف.

السنة لغة الطريقة ولو غير مرضفة. وشرعاً فطلق فى مقابلة البدعة على الطريقة المسلوكة فى الدين بأن سلكها الرسول ﷺ، أو السلف الصالح بعده، وهى شاملة بذلك للواجب والمندوب والمباح.

وتخصفص الفقهاء لها بما طلب طلباً غير جازم اصطلاح طارئ، قصدوا به التمففز بنفها وبن الفرض وشاع بن المتأخرفن اأخصاص اسم السنة بالاعتقادات لأنها أصل الدين والمخالف لها على أخطر عظم.

١- ورد فى الصأففحن عن عائشة ؓ قالت: قال رسول الله ﷺ: «من أأدث فى أمرنا هذا ما ففس منه فهو رد».

أ-أدث: أنشأ وافترع من قبل نفسه.

والمراد من (أمرنا) الدين، كما هو فى رواية.

رد: مردود على فاعله باطل لا فععد به.

وعند مسلم بلفظ: «من عمل عملاً ففس علىه أمرنا فهو رد».

وفى هذه الروافة لمسلم رد على أمر قد فحتج به بعض الفاعلبن للبدعة من أنه لم ففترع ولم فأدث شيئاً من قبل نفسه وإنما المأترع والمأدث من سبفه وئابعه

(١) أما إذا كان فاعلها فراها مشروعة وفأترج شرعاً من مخالفتها فقد فدخلت قطعاً فى البدعة. (وكتبه فاسر برهامى).

هو عليه. ويحتج على ذلك بالرواية الأولى فيرد عليه برواية مسلم هذه في رد المحدثات المخالفة للدين الخارجة عما شرعه الله على لسان رسوله سواء أحدثها أو سبق في إحداثها.

٢- عن العرياض بن سارية أن النبي ﷺ قال في موعظة له لأصحابه: «فإنه من يعيش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة».

رواه أبو داود وقال حديث حسن.

٣- وعن جابر بن عبد الله قال: كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول: صَبَّحَكُمْ وَمَسَّكُمْ ويقول: بعثت أنا والساعة كهاتين ويقرن بين إصبعيه السبابة والوسطي. ويقول: أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة. رواه مسلم.

ويدل على ذم البدع وأهلها أمور:

١- أن الشريعة جاءت كاملة لا تحتل الزيادة أو النقصان:

قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]. وفي الحديث: «تركتم على البيضاء ليلها كنهارها ولا يزيغ عنها بعدى إلا هالك ومن يعيش منكم بعدى فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة»<sup>(١)</sup>. ليلها كنهارها: أى واضحة لا يشتبه فيها أحد.

وقد بين النبي ﷺ لأئمة كل ما تحتاج إليه من أمور دينه، جاء بها مفصلة، فما من شيء يقربنا إلى الجنة إلا وأمرنا به، وما من شيء يباعدنا عن النار إلا ونهانا عنه، وهدانا إلى أمور الدنيا إجمالاً بالقواعد الكلية.

فإذا كان الأمر كذلك فكأن المبتدع الذى يزيد فى الشريعة بأشياء يراها واجبة أو مستحبة يقول: (٢) «إن الشريعة لم تتم» لأنه لو كان معتقداً لكمالها وتمامها من كل وجه لم يبتدع بدعته.

(١) رواية من حديث العرياض بن سارية السابق.

(٢) يقول ذلك بلسان حاله.

لذا قال الإمام مالك رحمه الله: «من ابتدع فى الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً ﷺ خان الرسالة لأن الله تعالى يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾.

## ٢- أن المبتدع معاند للشرع مخالف له:

لأن الشرع عين الطرق التى يتعين على العبد إتقانها، فالشر كل الشر فى تعديها إلى غيرها، لأن الله تعالى يعلم ونحن لا نعلم، والمبتدع يزعم أنه يعلم طرقاً أخرى، وأن ليس كل ما حصره الشرع بمحصور، وليس كل ما عينه الشرع بمتعين، كأن المبتدع يعلم كما أن الشارع يعلم، بل ربما يفهم من استدراكه على الشارع أنه يعلم أكثر مما لا يعلم الشارع!!!؟؟.

## ٣- أن الابتداع اتباع للهوى:

لأن العقل إن لم يكن متبعاً للشرع لم يبق له إلا اتباع الهوى والشهوة، واتباع الهوى ضلال مبين. قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦]. وقال تعالى: ﴿وَلَا تَطْعَمَنَّا مِنْ أَعْفَانَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ [الكهف: ٢٨] فالأمر محصور بين اتباع الذكر أو اتباع الهوى. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٥٠]. فمن لم يتبع هدى الله الذى جاء به رسوله ﷺ فلا أحد أضل منه. وهذا شأن المبتدع والعياذ بالله فإنه اتبع هواه بغير هدى من الله - وهدى الله ما بينته الشريعة - فهو أضل الناس وهو يظن أنه على هدى.

## ٤- البدعة أشد خطراً من المعصية:

فالابتداع ضلال، والضلال ضد الهدى. فالضال التبس عليه الأمر فلم يكن له هاد يهديه. والمعصية خطيئة ولا يقال للمخطئ ضال.

قال ابن القيم فى الجواب الكافي.

«ومعلوم أن المذنب إنما ضرره على نفسه وأما المبتدع فضرره على النوع، وقتنة المبتدع فى أصل الدين وقتنة المذنب فى الشهوة والمبتدع قد قعد للناس على صراط الله المستقيم يصددهم عنه والمذنب ليس كذلك. والمبتدع مناقض لما جاء به الرسول ﷺ والعاصى ليس كذلك. والمبتدع يقطع على الناس طريق الآخرة والعاصى بطيء السير بسبب ذنوبه» ا.هـ.

لذا كانت البدعة أحب إلى إبليس من المعصية، والمعصية قد يتوب صاحبها أما البدعة فنادرًا ما يتوب صاحبها منها إذ إنه يعتقد إنه على هدى وصواب حتى يهديه الله إلي معرفة ضلاله فيتوب. كما أن كل مبتدع عاصٍ وليس كل عاصٍ مبتدع.

من مفاسد إقرار البدع والسكوت عليها:-

- ١- السكوت على ما يترتب عليها من المفاسد في عبادة الله تعالى.
  - ٢- اعتماد العوام عليها واعتقادهم صحتها.
  - ٣- إضلال الناس بها وإعانة المبتدعين عليهم.
  - ٤- الكذب على رسول الله ﷺ إذ يتصورونها مما أمر به الشرع حتى يقول بعضهم: هذه سنة من السنن. وهذا يورط هؤلاء العامة في الوقوع تحت قوله ﷺ: من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار.
  - ٥- إقرار العلماء لها وسكوتهم عليها يوهم أنها من السنة فيكون هذا كذباً على رسول الله ﷺ بلسان الحال.
- لذا تجد العوام من المبتدعين يحتجون على من يدعوهم إلى نبذ البدعة والتمسك بالسنة بأن هذه البدعة لو لم تكن من السنة ما سكت عليها هؤلاء العلماء ولبينوا للناس فسادها.

### من أقوال السلف في ذم البدعة

- عن هشام بن عروة: لا تسألوا الناس اليوم عما أحدثوه فإنهم قد أعدوا له جواباً. ولكن سلوهم عن السنة فإنهم لا يعرفونها.
- وعن حذيفة: كل عبادة لم تفعلها الصحابة فلا تفعلوها.
- وعن ابن عباس: أبغض الأمور إلى الله تعالى البدع.
- عن سفيان الثوري: إن البدعة أحب إلى إبليس من المعصية، لأن البدعة لا يتاب منها والمعصية يتاب منها.

أى أن المبتدع لا يدخل في عداد من ترجى توبته لأنه زين له سوء عمله فرآه حسناً فهو لا يتوب منه ما دام يراه حسناً لأن أول التوبة أن يعلم أن ما يفعله بدعة ليتوب منه.

روى الدارمي بإسناد صحيح عن عبد الله بن مسعود أنه سمع بقوم جلسوا حلقاً في المسجد يسبحون بحصى في أيديهم، في وسط كل حلقة رجل يقول لهم: سيحوا كذا وكبروا كذا، فذهب إليهم وقال لهم: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبد الله حصى نعد به التكبير والتهليل والتسييح.

قال: فعدوا سيئاتكم فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء، ويحكم يا أمة محمد هؤلاء صحابة نبيكم متوافرون. وهذه ثيابه لم تبل، وآنيته لم تكسر، والذي نفسى بيده إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد، أو مفتتحوها باب ضلالة، قالوا: والله يا أبا عبد الله ما أردنا إلا الخير، قال: وكم من مرید للخير لن يصيبه، إن رسول الله ﷺ حدثنا أن قوماً يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم. وإيم الله ما أدري لعل أكثرهم منكم. يقول الراوي: رأيت عامة أولئك الخلق يطاعنوننا يوم النهر اوان مع الخوارج.

أى كانوا يقاتلون فى صف الخوارج ضد الصحابة رضي الله عنهم.

### أقسام البدعة :-

تنقسم البدع إلى أنواع عديدة بحسب مخالفتها للشرع، من جهة كونها تتعلق بالعقائد أو بالأحكام، وبحسب ارتباطها بأزمة معينة أو أمكنة معينة أو بحسب ما يتدرج تحتها من مخالفات للشرع.

### بدع فعلية وبدع تركية:

فقد تكون البدع بترك ما فعله النبي ﷺ بزعم التقرب به إلى الله تعالى: كترك كثير من المتصوفة تناول الطيبات من الرزق تنسكاً، وتعذيب النفس وحرمانها من الحلال تعبداً لله.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [المائدة: ٨٧].

ففى الآية: نهى عن تحريم ما أحل الله، وإشعار بأن ذلك اعتداء لا يحبه الله.

وفى الحديث: ان بعض الصحابة أرادوا أن يحرموا على أنفسهم أنواع من الحلال فحرم بعضهم على نفسه نوم الليل وحرم الآخر الأكل بالنهار وآخر أكل اللحم وآخر إتيان النساء. فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «ما بال أقوام يقول أحدهم

كذا وكذا؟ لكنى أصوم وأفطر وأنام وأقوم وأكل اللحم وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني». متفق عليه.

\* وقد تكون البدع بفعل ما لم يفعله النبي ﷺ، والتقرب إلى الله تعالى بما لم يتعبد به النبي ﷺ.

كتخصيص يوم من الأيام بصيام مع أن النبي ﷺ لم يخصصه بصيام. وكتخصيص ليلة من الليالي بصلاة وقيام مع أن النبي ﷺ لم يخصصها بقيام وصلاة.

وكتخصيص زيارة المقابر في أيام معينة مع أن النبي ﷺ لم يخصصه بالزيارة. وفي كل ذلك يزعم صاحبها التقرب بذلك إلى الله تعالى، وجلب خير لنفسه أو للمسلمين.

### بدع اعتقادية وبدع عملية:

اعتقادية: باعتقاد خلاف ما جاء به الرسول ﷺ لا على وجه المعاندة للشرع بل بنوع من شبهة كغلو الرافضة والمتصوفة في أهل البيت والمشايخ والأولياء.

وعملية: كالذكر أمام الجنائز وبدع زيارة المقابر.

### بدع الأزمنة والأمكنة:-

وذلك باعتبار الأزمنة أو الأمكنة التي تقع فيها البدع:-

كبدع الموالد والأعياد والمواسم. وكبدع المساجد والمقابر.

وقد تكون البدع عامة لا تختص بزمان ولا بمكان كتقليد المتفرنجين للأوروبيين فيما هو مخالف للشرع، ومنها الاحتفال بأعيادهم كاحتفال بعيد رأس السنة الميلادية.

### بدع كلية وبدع جزئية:-

فالبدعة الكلية:- ما ينشأ عنها خلل كلي في الشريعة يندرج تحته فروع عديدة من المخالفة للشرع.

كإنكار الأحاديث النبوية أو إنكار حجية أخبار الآحاد في العقائد، فيندرج تحتها ما لا حصر له من المخالفة لفروع من أحكام الشريعة.

البدعة الجزئية: والتي لها ضرر جزئى يأتى فى بعض فروع الشريعة لا يتعدها. كبدعة التلحين والزيادة فى الأذان، ونذر الصيام قائماً لا يجلس، وكالامتناع عما أحله الله من الطيبات... إلخ.  
بدعة حقيقية وبدعة إضافية:

الحقيقة: ما كان الابتداع فيها من جميع وجوها، فهى بدعة محضة، ليست فيها جهة تندمج بها فى السنة. ولذا سميت بدعة حقيقية، لذا فهى بعيدة عن الشرع خارجة عنه من كل وجه. وإن كان المبتدع قد يتمسك فيها بما يزعمه شبهة.  
من أمثلتها:-

الطواف بغير الكعبة، والوقوف بغير عرفة، ووضع الهياكل والشموع حول الأضرحة... إلخ.

فكل هذه الأعمال لم يقم دليل على اعتبارها من الشرع لا جملة ولا تفصيلاً. والبدعة الإضافية: فهى ما لها من الأدلة متعلق، فلا تكون مخالفة للشرع من هذه الجهة، ولها كذلك جهة ليس لها متعلق من الشرع فهى به بدعة.

أى أنها: بالنسبة إلى إحدى الجهتين موافقة للشرع مستندة إلى دليل، وبالنسبة للجهة الأخرى بدعة لأنها مستندة إلى شبهة لا إلى دليل أو غير مستندة إلى شيء.  
والفرق بين البدعة الإضافية والبدعة الحقيقية من جهة المعنى: أن الدليل عليها من جهة الأصل قائم ومن جهة الكيفيات أو الأحوال أو التفاصيل لم يقم عليها دليل، مع أنها محتاجة إليه، لأن العبادات توقيفية تحتاج لدليل شرعي.  
ومن أمثلة ذلك:-

١- صلاة الرغائب: وهى اثنتا عشرة ركعة عقب صلاة المغرب ليلة الجمعة الأولى من رجب يفصل بين كل ركعتين بتسليمة يقرأ فى كل ركعة بعد الفاتحة سورة القدر ثلاث مرات، والإخلاص اثنتى عشرة مرة.

قال الإمام النووى فى صلاة الرغائب: «ليس لأحد أن يستدل على شرعيتها لما روى عنه عليه السلام أنه قال: الصلاة خير موضوع فإن ذلك يختص بصلاة لا تخالف الشرع بوجه من الوجوه وقد صح النهى عن الصلاة فى الأوقات المكروهة» ا.هـ.

٢- صلاة ليلة النصف من شعبان: وهى مائة ركعة كل ركعتين بتسليمة يقرأ فى كل ركعة بعد الفاتحة الإخلاص إحدى عشرة مرة.

٣- صلاة بر الوالدين.

٤- صلاة مؤنس القبر.

وهذه كلها بدع قبيحة.

ووجه مشابهة الشرع استحباب صلاة التطوع لقوله ﷺ «الصلاة خير موضوع» رواه الطبرانى فى الأوسط. وهى بدعة من جهة التزام وقت مخصوص وكيفية مخصوصة ونية مخصوصة مخالفة للشرع لم تثبت.

٥- التلحين فى الأذان والزيادة فيه:

ياخراج كلماته عن كفييتها الشرعية بإيقاعها على ألحان بدعية وزيادة لفظ التسييد فى (شهادة أن محمداً رسول الله) والصلاة والسلام عليه ﷺ مع الأذان جهراً وجعلها بمنزلة الأذان.

٦- التأذين للعيدين: فالأذان قربة وهنا بدعة.

٧- ختم الصلاة بصورة جماعية وبكيفية مخالفة فى أذكارها لما كان يفعله النبي ﷺ وأصحابه.

٨- قراءة الصمدية مائة ألف مرة.

وهذه البدع الإضافية: تحتاج إلى حسن بيان وتعليم للناس عند بيان بدعيتها نظراً لعدم دراية فاعليها بحقيقة ووجه مخالفة الشرع فيها.

وصاحب البدعة الإضافية يتقرب إلى الله تعالى بمشروع وبغير مشروع، والتقرب إنما يكون بمحض المشروع، إذ لا يتقرب إلى الله إلا بما شرع، فكما يجب أن يكون العمل مشروعاً باعتبار ذاته يجب أن يكون مشروعاً باعتبار كفييته. كما يفيدته قوله ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد». رواه مسلم.

فالمبتدع بدعة إضافية قد خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً، وهو يرى أن الكل صالح، فلا يدخل فى عداد من يرجى توبته، لأنه لا يرى لنفسه ذنباً حتى يتوب

منه، بل يرى أن كل ما يعملُه حسن، ولا توبة لمن له يعرف لنفسه ذنباً. إلا أن يهديه الله بأن يسر له من يبين له الحق ويوفقه لترك البدعة. (١)

والسلفيون لا يتبرمون من إيضاح سنة مهمة ولا بيان واجب متروك، لأن كل السنن والواجبات تلتقى مع بعضها البعض مكونة الصورة الكاملة النقية للإسلام، ووجودها في الواقع العملي يجعل شخصية المسلمين واضحة جلية مميزة تنتقل من جيل إلى جيل إلى قيام الساعة.

وأصحاب المناهج الأخرى يهتمون بقضايا بعينها من الدين ويهملون سائرهم، بل ويضيقون بيانه لهم وحثهم عليه وما هذا إلا لجهلهم بحقيقة الدين، وذلك أن ترك نصيب وحظ وقسم مما أمر الله به يورث العداوة والبغضاء، كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [المائدة: ١٤]. وهكذا عاب الله على اليهود إيمانهم ببعض آيات الكتاب وكفرهم ببعض، (٢) وما كان كفرهم إلا تركهم العمل به. وهكذا يحل بالمسلمين إن هم نسوا بعض ما وعظهم الله به وذكرهم، وبعض ما أوجبه عليهم رسوله ﷺ.

ولذلك فالدعوة السلفية دعوة شمولية لأركان الإسلام ومناهجه جميعاً. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: ٢٠٨]. فالعمل بجزء من الشريعة وترك جزء آخر من اتباع خطوات الشيطان، الذي يبرر لبعض العاملين في الحقل الإسلامي ترك الواجبات، وفعل كثير من المحرمات بدواعي المصلحة المزعومة للدعوة.

والخلاصة: أن إقامة الحجة تكون بالبيان الدائم لأصول الإسلام وفروعه هذا الباب الذي لا يترك في الحق لبساً حتى ينقطع العذر، لا يكون لأحد العدول عن فعل الواجب وترك الحرام.

(١) يراجع في ذلك: الإبداع في مضار الابتداع للشيخ علي محفوظ رحمه الله والضوابط الشرعية: ص ٦٨-٦٩.

(٢) كما قال تعالى: ﴿أَفَنَسُوا نُونَ يَبْعَثُ الْكُتَابَ وَتَكْفُرُونَ بَعْضُ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [البقرة: ٨٥].

(٤)

مفهوم التقدم  
الحضاري عند  
السلفيين



## السلفية منهج حياة لكل زمان ومكان

يزعم خصوم الإسلام عامة والسلفية خاصة أنها دعوة رجعية تعمل على العودة إلى الوراء، وترفض التقدم الحضارى والمدنية الحديثة. وهذا زعم خاطئ من جذوره فإن السلفية لا تتعارض مع التقدم.

إن السلفية ليست محصورة فى فترة تاريخية معينة، وإنما هى ممتدة من الأزمان الماضية إلى العصر الحاضر. وعن طريق السلفية نصل إلى الفهم الصحيح للعقيدة الإسلامية كما فهمها أسلافنا. (١)

إن تمسك السلفيين بمنهج القرون الأولى -قرون الخيرية- إنما هو لكونهم قد حققوا الإسلام فى قلوبهم فدانت لهم الدنيا، ولأنهم أقاموا أفضل حضارة شهدتها البشرية فى تاريخها الطويل، حضارة قامت على الحق والعدل، فإذا نحن نادينا بالاعتداء بهم فإن هدفنا هو (الارتفاع) إلى المستوى العالى الذى حققوه كرواد فهموا الإسلام كدين وحضارة. هذا والاعتداء بهم يتطلب الارتفاع إلى مستواهم لا الرجوع إلى الزمن الذى عاصروه بوسائله وأدواته، فالاتباع إذن فى القيم التى حققوها، وعاشوا من أجلها، لا فى وسائل المعيشة التى استخدموها. (٢)

فليست السلفية زرعاً للماضى فى أرض الحاضر، ولكن السلفية هى العمل بقيم الإسلام الصحيحة لإصلاح الدين والدنيا.

والحقيقة أن دعوة السلفيين كانت مصدراً لمخاوف الاستعمار والتبشير فأرادوا أن يقاوموا هذه الدعوة القليل عدداً أصحابها والذين هم مع قلتهم يصارعون جمهوراً غالباً من المبتدعة يؤيدهم إلف العامة وهم الكثرة لما عندهم من البدع المنكرة التى ينكرها السلفيون أشد الإنكار، فعمدوا إلى بث فكرة قريبة من النفوس سريعة إليها تؤيدها جميع الظواهر، وهى أن السلفيين قوم متشددون يريدون أن يرهقوا الناس بما لا طاقة لهم به من التكاليف. وهذه المهارة فى إدراك الوسائل التى تقاوم بها الأفكار كانت معروفة مدروسة فى دوائر الاستعمار والتبشير، وإن كان كثير منا

(١) قواعد المنهج السلفي بتصرف: ص ٢٦٤ .

(٢) المرجع السابق: ص ٣٩ .

غافلاً عنها، غير قادر على إدراك المحيط الذى تستعمل فيه هذه الوسائل (١) ومن ثم ظهرت كلمة السلفيين مقرونة بتبغيضها إلى العامة، وتصويرها فى صور منكرة تكرهها النفوس لأنها تشق عليها. (٢)

فصار لفظ السلفيين يستعمل (للدلالة على التأخر والتشدد والتخلف) (٣) وبعد قليل رأينا لفظ الرجعيين يحل محل السلفيين فجأة، (وهو لفظ سهل على لسان العامة وغير العامة، وإذ بنا نراه مستعملاً على ألسنة ضرب من الكتاب)، (٤) (وعلى ألسنة أصحاب الصحف). (٥) (ثم لم نلبث إلا قليلاً حتى رأينا هذا اللفظ ينتقل للدلالة على الحياة الإسلامية كلها، واشتق له مصدر هو (الرجعية) يستعمله الكتاب إذا أرادوا التورية عن الإسلام تهرباً من أن تنالهم تهمة الطعن فى دين الدولة). (٦) وبهذا التمويه القبيح يريد أمثال هؤلاء التالفين أن يشفوا غل صدورهم ببذاءة مغلقة فى لفظ مبهم. (٧)

وينبغى أن نراعى أن للإسلام تفسيره لمعنى (التقدم) الذى يخالف المعنى الشائع للتقدم بين الناس الآن. فالإسلام يعامل الإنسان ككيان متكامل لا يفصل فى النظرة إليه بين جانبه المادى وجانبه الروحى، ولهذا فيجب التمييز بين التقدم فى أبحاث العلوم التجريبية، واستخدام نتائجها لتحسين الحياة الإنسانية، وبين الهبوط الروحى الذى وصلت إليه الحضارة الأوروبية الحديثة. فالتقدم فى الإسلام تقدم أخلاقى مع الأخذ بأسباب العمران المادى فى نواحي الحياة كلها.

ولو نظرنا إلى أحداث التاريخ القديم والمعاصر لرأينا الآثار المدمرة للاستعمار الغربى الأوروبى لنا والتى عرضت شعوبنا لصنوف الهوان والقهر. وما معاناة الشعب الفلسطينى الآن إلا نموذج مصغر لتصرفات الغرب المتحضر على أرض فلسطين.

فدائماً هناك فارق هائل بين مبادئ تعامل الغرب (المتحضر) مع بعضهم البعض، وبين قسوتهم فى التعامل مع الشعوب المقهورة فأين التقدم الذى يدعونه عند التعامل معنا؟! (٨)

هذا من جهة: ومن جهة أخرى فإن كلمة (القديم) تعنى فى تاريخ أوروبا العصور المظلمة فى القرون الوسطى السابقة لعصر النهضة. فرفض أوروبا لتاريخها القديم ينبع من رغبتها فى ترك الماضى الذى كان سبباً لتخلفها فهذا الرفض يلائم نهضتها الحالية. (٩)

(١) (٢) (٣) (٤) (٥) (٦) (٧): أباطيل وأسمار للشيخ محمود محمد شاكر: ص ٥٠٦-٥٠٨ .

(٨) (٩) قواعد المنهج السلفى بتصرف: ص ٢٦٨ .

ولكن العكس بالنسبة لأمنا تماماً. فإن تاريخنا يعبر عن تقدم حضاري في كل المجالات، ونحن إذا طالبنا (بالترقى) إلى مستوى السلف، فإننا نعني بذلك اتخاذ المفهوم الشامل للعقيدة الإسلامية وتحكيم شريعتها، والأخذ بالتقدم العلمي أحد ألوان النشاط الإنساني، وقد حقق فيه المسلمون -فيما مضى- ألواناً زاهية من الحضارة عندما اتخذوا من الإسلام عقيدة ومنهجاً فالإسلام يحض على العلم ويرفع من شأن العلماء. (١)

وليس معنى ذلك وضع الأمة الإسلامية في متحف للتاريخ بإرجاعها إلى الأخذ بوسائل العصور السابقة في حياتها العلمية فمثل ذلك لا يقول به عاقل. ولكن المراد أن المفهوم الإسلامي للحضارة أرقى بكثير من التصور الغربي. فلا نحن نرضى بتخلف المسلمين الحالي وبعدهم عن تحقيق النموذج الإسلامي المطلوب، ولا نحن نرضى في الوقت نفسه بتقليد الغرب المادى الملحد في فلسفته ومضامينه الفكرية الشاملة.

ولا نكون مبالغين إن قلنا إن هذا التقدم الذي يعيشه العالم المتحضر الآن ما هو إلا جزء من التصور الحضاري للإسلام. (٢)

إن نبذ السلفية بحجة التسابق مع الزمن، واللحاق بكل ما هو جديد منهج خاطئ قائم على مفاهيم غريبة متصلة بفلسفتها، فإن ما نراه جديداً اليوم سيصبح غداً وحتماً قديماً.

فليست الموازنة إذأً بين قديم وجديد موازنة صحيحة، ولكن ينبغي أن تتم بالمقارنة بين الحق والباطل أياً كان العصر والزمن لأن القيم لا تتغير ولا تتبدل. (٣)

فإذا كان الذين يقلدون الغرب وينادون باتباع الحضارة الغربية والأخذ بها على علاقتها وبما فيها من أزمات متعددة بدعوى التقدم والمدنية، ويقبلون هذه الحضارة المادية على أزماتها ومشاكلها بدعوى أن هذه العلات نتيجة لطموحات هذه الحضارة، وأنها دائماً تسعى للتحسين والرقى ولكن لا بد من شوائب وأخطاء، فإن السلفيين يرفضون هذا التقليد الأعمى للحضارة الغربية باسم التقدم والمدنية.

إن الارتباط بالعقيدة الإسلامية الصحيحة يعنى نبذ النموذج الحضارى الحالى للحضارة الغربية ولا يعنى ذلك نبذ التقدم العلمى للغرب، فإن هناك فارقاً بين الأخذ بالتأج العلمية للحضارة الغربية وبين الأخذ بمقومات الحضارة الغربية وتصوراتها العقائدية ونظرياتها الفلسفية فى الحياة فإنه لا وطن للعلم ولا جنسية للأبحاث والاكتشافات وإنما هى نتائج جهود البشرية على اختلاف جنسياتها وأوطانها ونحن المسلمين قد ساهمنا فى التقدم العلمى للبشرية كلها فى أيام سابقة بجهود عظيمة لا تنكر. (١)

إن مشكلتنا مع الحضارة الغربية تكمن فى {اختلافنا الأساسى معهم على قواعد جوهرية تتناول عقيدة التوحيد والإيمان بالله سبحانه وتعالى، وإفراده بالألوهية والربوبية، وماهية الإنسان، والغرض من خلقه، وبيان مآله فى اليوم الآخر، وما هى وسائله لسلوك أحسن السبل الممكنة فى الحياة والارتقاء بها}. (٢)

فالأمة الإسلامية يجب أن تكون مميزة بخصائص تميزها عن غيرها من الأمم، وتجعل من التزامها بعقائدها وشريعتها أمة متقدمة فى المقام الأول بالعقائد والقيم والسلوك قبل المنتجات المادية. (٣)

فاعتقاد أن السلفية (مرحلة زمنية مباركة) وقفت عند نهاية القرون الثلاثة الأولى، وانتهت إليها، وحطت رحلها أمامها، وانقطع بها، دعوى باطلة منكورة، لا دليل عليها ولا ينبغى التمسك بها، فنحن على يقين أن السلفية زمانها الزمان كله، ومكانها الأرض كلها، تجرى بخيرها وعطائها ورجالها حتى تلقى ربانها ومبلغها رسول الله ﷺ على حوضه بأصلها الكتاب والسنة، ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض.

إذاً فليس بضائرنا أن نعيش معها فى كل زمان وفى كل مكان من الأرض، راغبين عن الطاعنين عليها، آخذين بهدى كتاب ربنا سبحانه: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ {الأعراف: ١٩٩}. ولسنا فى ذلك إلا قائلين فى ظل هدى رسول الله ﷺ الذى كان المثل المحتذى فى صبره الجميل.

(١)(٢) بتصرف من قواعد المنهج السلفي: ص ٢٧٢ .

(٣) المرجع السابق: ص ٢٧٢-٢٧٣ .

(٥)

تيسير

فهم

الإسلام



يقول الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق حفظه الله:

(أنزل الله سبحانه وتعالى الدين الإسلامى للناس كافة، وبعث نبيه محمدًا ﷺ للعالمين، وبما أن الناس متفاوتون فى الذكاء وسرعة الإدراك والفهم فإن الله جعل هذا الدين سهلاً ميسراً ليس فى العمل فقط، بل فى الفهم والإدراك فحقائق الدين الأساسية سهلة ميسرة سواء كانت حقائق عقائدية إيمانية أو حقائق علمية تشريعية، فتوحيد الله سبحانه وتعالى من الممكن أن يعلم بكلمات قليلة وبمجالسات يسيرة لأهل العلم الحقيقى المستند إلى الكتاب والسنة.

وكذلك فرائض الإسلام الخمس يستطيع الفرد الذى أوتى نصيباً قليلاً من الفهم أن يلم بأحكامها فى وقت يسير: فالوضوء والصلاة يمكن تعلم أصولهما فى وقت لا يتعدى الساعة أو الساعتين، وكذلك الصوم، وصاحب المال يستطيع معرفة زكاة ماله فى وقت يسير إذا بين له رجل من أهل العلم، وكذلك الحج أيضاً.

والخلاصة: أن الإسلام دين ميسر فى الفهم والعلم، وكذلك هو دين ميسر فى التطبيق والعمل، فلا مشقة فيه بوجه من الوجوه. ومصداق هذا قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر: ٢٢]. وهذه الآية دليل واضح على أن القرآن - وهو أساس الإسلام الذى حوى جميع علومه - ميسر للذكر. والذكر يتضمن العلم والعمل وقال ﷺ: «إن هذا الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا». وهذا دليل على يسر الإسلام فى العمل والفهم أيضاً.

ولكن هذا الدين الميسر قد جاء من الناس من عقده، وضيق طريق الوصول إليه، وحجب الناس عن الاستفادة من الكتاب ومن السنة، وجعل الإسلام أشبه بالأحاجى والألغاز، وذلك بإكثار المصطلحات الخاصة فى كل فرع من فروع العلوم الإسلامية، ونشأت علوم ومعارف ليست من الإسلام فى شيء، وقد أسميناها علوماً ومعارف تجاوزاً، وحدث تغالى فى علوم النحو والصرف وأصول الفقه إلى الحد الذى أعجز المتخصصين فيه عن أن يصلوا إلى غاية ذلك من فهم القرآن والحديث، بل من فهم الفروع الإسلامية الأخرى حتى إننا نجد العالم المتخصص فى علوم العربية لا يفقه من الكتاب والسنة إلا قليلاً، وقد يكون عالماً بأصول الفقه لا يحسن التوحيد، بل لا يحسن الوضوء، ولا استنباط حكم صحيح من كتاب

الله وسنة نبيه ﷺ . بل الأدهى والأمر من ذلك أن تخرج الجامعات الإسلامية علماء يعتلون المنابر، ويخطبون في الناس وهم لا يميزون بين حديث صحيح ثابت عن الرسول ﷺ وبين الأقوال الموضوعية المزدولة المنسوبة إلى النبي ﷺ زوراً وبهتاناً.

وهكذا ساهم تعقيد الدراسة الإسلامية في نشأة أشباه العلماء، الذين يعرفون فرعاً من فروع الدين، ولا يملكون رؤية شمولية له، وكذلك ساهم هؤلاء في نشأة كهانة دينية جعلت الدين الذي أنزله الله للعالمين محجوباً عن الناس بعلماء ادعوا أنهم الأوصياء عليه، وإذا جئت تناقش حجتهم في قول ما لتفهم وتعي عن الله وتتدبر قوله قالوا لك: لا تناقشنا، خذ قولنا ولا تسأل عن الدليل، وذلك ليغمضوا عينيك، وليحولوا الناس إلى سائمة<sup>(١)</sup> يسيرون وراءهم وهم لا يدرون.

والدعوة السلفية تجعل همها الأول: تذييل فهم الإسلام للناس فهي تفتح الطريق أمام الناس جميعاً لدراسة الكتاب والسنة دراسة علمية سهلة واضحة، وبذلك يكون العلم مشاعاً للجميع، ويرتبط الناس بالقرآن فيتدبرونه، وبالسنة فيفقهونها، ويصبح فهم الدين والعمل به ليس حكراً على طائفة معينة تلبس لباساً خاصاً وتتكلم بلهجة خاصة، وإنما يصبح الإسلام للناس جميعاً، علماً مشاعاً كالهواء الذي تنتفسه. وقد وجدنا أثر ذلك بحمد الله في إخواننا، فما أن درسوا الإسلام بالمنهج السلفي حتى كانوا علماء فيه<sup>(٢)</sup> في مدة يسيرة جداً، هذا مع امتلاك الرؤية الواضحة لمجمل هذا الدين عقيدة وشريعة وسلوكاً. ومع الاستزادة اليومية من علومه استزادة لا تشغل الطبيب عن طبه، ولا المهندس عن هندسته، ولا التاجر عن تجارته. وذلك لأن المنهج السلفي في فهم الإسلام يعطي الدارسين مفاتيح فهم الدين. فالطالب في المنهج السلفي يعرف أصول الإسلام، ومراجع معرفة العقائد والأحكام، ويعرف كيف يكون ذا فكر مستقل غير مقلد، وكيف يحترم العلماء، ولا يتعصب لأقوالهم، وكيف يأخذ الحق أنى وجده ما دام مؤيداً بالدليل وكيف يترك الباطل مهما كان مصدره إذا وجد دليل بطلانه، وبذلك يفهم الإسلام في سهولة ويسر.

(١) السائمة: الإبل ترعى في المرعى.

(٢) ولعل الأولى أن يقال: من طلاب العلم المجدين فيه معهم العلم النافع وفيهم العمل الصالح.

وإذا كان هذا التيسير مطلوباً في الأزمان الماضية فهو أشد ضرورة ونحن أكثر حاجة إليه في أزماننا هذه التي يستغرق فيها التعليم الدنيوي كل عمر الإنسان، وتستهلك فيها الحضارة الحديثة كل وقته ويركض الناس فيه خلف الحياة بكل طاقاتهم وجهدهم. ولذلك كان المنهج السلفي لتعليم الإسلام وتعلمه هو المنهج الأكمل الأسلم، لأنه يأخذ من الفرد أقل الأوقات ويعطيه أعظم الفوائد، فلا يفني الفرد عمره في معرفة حواشٍ وجزئيات وفرعيات وخزعبلات لا تغني عنه في دينه ولا دنياه شيئاً، وإنما ينصرف إلى حقائق الدين رأساً فيتعلم أصول التوحيد ليصحح إيمانه وعقيدته وأصول العبادات ليصح عمله ويكون صالحاً، وأصول التزكية والأخلاق لتزكو نفسه وتطهر، كل ذلك من الكتاب والسنة حيث يتعامل السلفي مع كلام الله الذي سماه روحاً ونوراً، ومع كلام الرسول الذي هو الحكمة والهداية. وهذه هي الفائدة الثالثة والميزة الأولى للسير في الطريق السلفي طريق النبي ﷺ الذي علم أمة كاملة بأيسر الجهود وأقل التكاليف. وهكذا كان صحابته، كما قال ابن مسعود أبر الناس قلباً وأعمقهم علماً وأقلهم تكلفاً. وهكذا نريد الجيل السلفي الحديث على نحو الرعيل الأول أبر الناس قلباً وأعمقهم علماً وأقلهم تكلفاً. اهـ.



(٦)

سلفية النهج

سلفية المواجهة

(بين الأصالة والمعاصرة)



سلفية المواجهة لعقبات الدعوة إلى المنهج السلفي تواجه باستعمال الوسائل والأساليب العصرية في الدعوة وذلك لا ينافي أصالة الدعوة فإن الأصالة والمعاصرة من الكلمات التي كثر الحديث عنها، والدعوة إليها في العصر الحاضر، وما من شيء أخطر على الدعوة من أن تلتبس سماتها الأساسية أو يلابس خصائصها غموض أو اضطراب.

ويقصد بالأصالة: المحافظة على جوهر الدعوة باستنادها إلى الأصول والأدلة الشرعية والتمسك بمبادئها الأساسية.

والمعاصرة هي: تكافؤ الدعوة مع العصر الذي تعيش فيه بحيث تعالج واقعه وتلبى متطلباته.

ومن هذا التعريف يتضح أن الدعوة بالأصالة وصف صالح لكل زمان ومكان. (١) ووصف الدعوة بالمعاصرة أيضاً صالح لكل زمان ومكان، وليس وصفاً خاصاً بالعصر الحديث كما قد يتوهم، فدعوة الناس بلسانهم ولغتهم معاصرة، واختيار الأسلوب الدعوي المناسب لموقف من المواقف معاصرة، واستخدام الوسائل المتوفرة في عصر من العصور لنشر الدعوة معاصرة وسيرته ﷺ في تمسكه بأصالة دعوته لا يحيد عنها، ولا يقبل مساومة فيها، وفي ذات الوقت معالجته واقع عصره، وتخييره الأساليب النافعة لدعوته، واستخدام جميع أنواع الوسائل المشروعة المتوفرة في عصره غير زاهد بشيء منها أمر لا يخفى علي من اطلع على سنته ﷺ، وقد سار الصحابة والخلفاء الراشدون رضي الله عنهم على نهجه. (٢-٣)

(١) الأصولية في المفهوم الغربي الأوروبي تطلق على الدين يعتقدون قدسية الإنجيل ويتمسكون بحروفه ويسعون لإقامة الحياة علي تعاليمه، ونظرة الغرب لهؤلاء الأصوليين منهم نظرة ازدراء، ويصفونهم بالرجعية. إذ إن العلمانية هي المذهب السائد في أوروبا بعد الصراع في القرون الوسطى بين العلم والنصرانية المحرفة والذي انتهى بعزل سلطة الكنيسة عن المجتمع وحصرها بين جدران الكنيسة، وبالتالي فصل الدنيا عن الدين.

وإطلاق هذا الوصف بهذا المفهوم الغربي علي الصحوة الإسلامية في العالم الإسلامي خطأ شنيع، إذ ليس بين الإسلام والعلم عداً، والإسلام بتشريعاته دين ودولة، علم وإيمان، لإصلاح الدنيا بالدين، والدعوة إلي الرجوع إلي مصلحون لا مفسدون. فإن الله تعالى أنزل كتابه القرآن وحفظه من التحريف والضياع ليكون نبراساً يهدي البشرية. وقد قامت علي نظمه وتعاليمه حضارة إسلامية رائدة، ودولة متسعة الأرجاء شرقاً وغرباً، دامت لها السيادة في الأرض أكثر من ألف عام. ولم تضعف وتفقد مكانتها إلا بابتعاد المسلمين أنفسهم عن الإسلام وهديه.

(٢) مثال ذلك في خلافة أبي بكر: التشاور في جمع القرآن والاتفاق علي جمعه، والتشاور في إنفاذ جيش أسامة خشية علي المدينة من خطر المرتدين.

(٣) تحصيل الزاد: ص ١٣٤.

### ضوابط الأصالة والمعاصرة<sup>(١)</sup>

ليست الأصالة تحجراً في العقول، وليست المعاصرة ميوعة في المواقف، ولا ذوباناً للشخصية المسلمة، وليست الغاية منها إرضاء الأهواء والرغبات. فهذا كله مخالفة للصرائط المستقيم ودعوة الناس للهداية.

وفي الشرع التحذير من فقد الشخصية المسلمة واتباع سنن وهدى غير المسلمين، واتباع ما يخالف الإسلام.

ومن أهم هذه الضوابط:-(٢)

١- المحافظة على الأصول الشرعية محافظة تامة، والتمسك بالسنة النبوية وسنة الخلفاء الراشدين، والعض عليها بالنواجذ وفي الحديث: «فعلیکم بستتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ، وإياکم ومحدثات الأمور، فإن کل بدعة ضلالة». رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

وهذا الاتباع يشمل الأقوال والأفعال والمناهج والأساليب.

٢- اجتناب البدع اجتناباً تاماً والحذر منها كل الحذر:-

ففي الحديث المرفوع: «وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة».

وفي الحديث: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد». متفق عليه.

٣- التمييز بين الثوابت والمتغيرات:

فالمنهج الدعوى ثابت لا يتغير ولا يتحول. والأساليب والوسائل البشرية

متطورة متغيرة.

فالأصل في المناهج الربانية الثبوت والاستمرار وعدم التحول.

والأصل في الأساليب والوسائل البشرية التطور والتحول إلى ما

يناسب كل عصر.

(١) يراجع في ذلك تحصيل الزاد: ص ١٣٥-١٤١.

(٢) راجع المرجع السابق.

٤- مراعاة موافقة الشرع فى المناهج والأساليب والوسائل، وتجنب مبدأ الغاية تبرر الوسيلة.

فعلى المسلم أن يتجنب الحرام ولو توهم أن اقترافه يأتى بخير، كما أن عليه أداء الواجب وإن توهم فى تركه دفع شر، فإن الخير لا يأتى بشر.

٥- البعد عن الغلو والتشدد، وتجنب التقصير والتساهل، والأخذ بالاعتدال فى التمسك بالدين.

فى الحديث: «هلك المتنطعون» قالها ثلاثاً رواه مسلم المتنطعون: المتعمقون المتشددون فى غير موضع التشديد.

وفى الحديث: «إن الدين يسر فسددوا وقاربوا وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة» رواه البخاري.

وليس المراد منع طلب الكمال فى العبادة، ولكن المراد منع الإفراط المؤدى إلى الملل أو المبالغة المفضية إلى ترك الأفضل.

وفى الحديث: «يا أيها الناس إياكم والغلو فى الدين فإنه أهلك من كان قبلكم الغلو فى الدين» رواه ابن ماجه.

٦- الرجوع فى حكم المسائل والحوادث المستجدة إلى أهل العلم والاختصاص لتحقيق التوازن بين المحافظة على الأصالة ومراعاة المعاصرة.

وفى الحديث: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوساً جهالاً، فافتوا بغير علم فضلوا وأضلوا» متفق عليه.

وإذا كانت العبادات الأصل فيها التوقيف. فإن المعاملات عموماً الأصل فيها الإباحة طالما أنها لم تصطدم بنصوص الشريعة ووافقت الضوابط الكلية.

ويخالف هذه الضوابط: (١)

- معادة كل قديم، وتحسين كل حديث.

فالخير في الاتباع، لا في الابتداع، والحكم على الأمور بحق أو باطل وحسن أو قبيح لا يعتبر فيه القدم لذاته ولا الحدائثة لذاتها، وإنما هو في موافقة الحق، والتمسك بالأصول من جهة، وفي مراعاة الظروف والأحوال، وتغيير الأزمنة والأمكنة في ضوء تلك الأصول من جهة أخرى.

- إنزال بعض الدعاة لأقوال وسلوك أصحاب دعوتهم أو مؤسس جماعتهم أو رؤساء تنظيماتهم منزلة الأصول الثابتة والحجة القاطعة على الرغم من ظهور خطئها ومخالفتها للشرع، أو عدم صلاحيتها في ظروف وأحوال.

- الركون إلى أصحاب المنكرات ومداهنتهم.

- ترك مخالطة الناس واعتزالهم وهجرهم. فإن الهجر إنما شرع لجلب مصلحة ودفع مفسدة، وهو أسلوب علاج، فلا يستخدم إذا أدى إلى بتر وإهلاك. فالهجر ينفع في المجتمعات التي يغلب عليها الصلاح.

- إهمال الوسائل المتطورة التي تمكن من الوصول للأهداف المرجوة وتعين على تحقيق الغايات، فكلما وجد الداعية وسيلة موافقة للشرع أجدى وأنفع، أو أيسر وأسهل، لزم عليه الاستفادة منها واستخدامها لتحقيق هدفه.

وأخيراً نقول إن: «الكل مطالب أن ينتبه للأخطاء التي تحدث باسم الأصالة والمعاصرة، فكم من شباب الدعوة اليوم من لا يتميز سلوكه عن سلوك عامة الناس فيقع في المحرمات والمخالفات في طريق الدعوة متوهماً أنه يحقق بذلك نوعاً من المعاصرة اللازمة، كحالة من يصافح النساء أو يخلق لحيته أو يتساهل في حجاب زوجته أو بنته أو يألف أنغام الموسيقى المحرمة. وفي الوقت ذاته كم من شباب الدعوة من يصاب بنوع من التحجر والجمود، فيتشدد في أمور ينفر الناس من حوله متوهماً أنه يحقق نوعاً من الأصالة المطلوبة، وهو يقع في الإفراط، ومن هذه الصور أن يُحجر على المرأة في بيتها، وتمنع من الخروج والزيارات المباحة، مع تأديها بالآداب الشرعية، ومع وجود الحاجة لذلك، أو يمنع من لباس دون لباس، مع انطباق المواصفات الشرعية على هذا، وليس هو شعاراً لغير المسلمين، ولا سيما إذا دعت إلى استعماله مصلحة زمنية أو حاجة علمية»<sup>(١)</sup>.

## ثبت الموضوعات

أولاً: ملاحم نظرية للسلفية:--

\* السلفية: لغة-شريعاً-تاريخياً:

معنى السلفية لغة .

لفظ سلف في القرآن الكريم.

معنى سلف اصطلاحاً.

مضمون السلفية .

\* ظهور مصطلح السلفية من الناحية التاريخية:

أولاً: جيل الصحابة .

ثانياً: أهل الحديث .

ثالثاً: أهل السنة والجماعة .

رابعاً: محنة الإمام أحمد .

خامساً: ظهور مصطلح السلفية .

من مخالقات المذهب الأشعري لمذهب السلف .

أبو الحسن الأشعري .

حديث افتراق الأمة .

الوصية النبوية بالتمسك بهديه وهدى أصحابه .

دور ابن تيمية في إنعاش المذهب السلفي .

منهج ابن تيمية .

صور: من جهاد ابن تيمية .

دور محمد بن عبد الوهاب في تجديد الدعوة السلفية .

\* من قواعد المنهج السلفى في الاستدلال:

١- الاستدلال بالكتاب والسنة:

النهى عن الخروج عن الكتاب والسنة.

اقتصار السلف في الاستدلال على الكتاب والسنة.

مناظرة من آثار السلف الصالح.

٢- تقديم النقل على العقل

أقوال العلماء في ذم علم الكلام.

أقوال علماء الكلام في ذم الكلام.

درء تعارض النقل والعقل.

السلف أهل نظر واستدلال.

أمثلة لاستدلالات عقلية.

النظر العقلي عند السلف.

النظر العقلي في القرآن الكريم.

أدلة عقلية في القرآن الكريم.

إثبات وجود الخالق عز وجل.

إثبات أنه وحده تعالى المستحق للعبادة.

إثبات أن الإله واحد لا شريك له.

إثبات النبوة وإرسال الرسول ﷺ.

إثبات البعث والنشور.

إثبات صفات الله تعالى وأفعاله.

ضرب الأمثال العقلية في القرآن الكريم.

القياس في القرآن الكريم.

الجدل والمجادلة في القرآن الكريم.

حكم الجدل والمرء ولو في الحق.

أمثلة للأدلة العقلية في الحديث النبوي.

حجية أحاديث الأحاد.

## ٣- رفض التأويل الكلامي

فساد ترك الأخذ بظاهر النصوص في العقائد.

أ- رفض التأويل.

ب- رفض تحريف النصوص.

ج- رفض التعطيل.

د- رفض التشبيه والتمثيل.

هـ- رفض تكييف الصفات.

تفسير (ليس كمثلته شيء).

## ٤- التمسك بفهم الصحابة

فضل الصحابة.

الآيات القرآنية في فضل الصحابة.

الأحاديث النبوية في فضل الصحابة.

أقوال للسلف في فضل الصحابة.

رأى المتكلمين في الصحابة.

علم الكلام.

موضوعات علم الكلام.

حجج المتكلمين.

بين أهل الحديث والمتكلمين.

أسباب معارضة السلف للمتكلمين.

طريقة السلف أسلم وأحوط وأعلم وأحكم.

\* بين العلمانية والسلفية:

- العقلية التغريبية فى مواجهة الدين .
- الموقف السلفى . من العقلانية .
- شبهة والرد عليها .
- شبهة أخرى والرد عليها .
- صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان .

**ثانياً: ملاحح عملية للسلفية فى وقتنا الحاضر:**

١- الاهتمام بقضايا التوحيد:

- التوحيد أولاً لو كانوا يعلمون .
- كلمة التوحيد قبل توحيد الكلمة .
- التوحيد والعقيدة عند السلفين .
- التفويض ليس من توحيد السلف .
- حرمة عبادة غير الله تعالى .
- حرمة اتخاذ القبور مساجد .

٢- الحرص على تحقيق الوحدة الإسلامية المثمرة:

- الأخوة الإيمانية ومعالجة أسباب الفرقة .
- جماعات الدعوة هل هى من الفرق النارية .

٣- الشمولية فى الدعوة:

- رفض النظرة الجزئية للدين .
- تقسيم الدين إلى قشور ولباب .
- قياس فاسد .
- شرط العمل الصالح .

شبهات والرد عليها .

التغاضى عن البدع ينافى الشمولية .

تعريف البدعة .

ذم البدعة .

أقوال السلف فى ذم البدعة .

البدع الفعلية والبدع التركيبية .

البدع الاعتقادية والبدع العملية .

بدع الأزمنة والأمكنة .

البدع الكلية والبدع الجزئية .

البدعة الحقيقية، والبدعة الإضافية .

٤- مفهوم التقدم الحضارى عند السلفيين:

السلفية منهج حياة لكل زمان ومكان .

٥- تيسير فهم الإسلام:

٦- سلفية المنهج وسلفية المواجهة:

ضوابط الأصالة والمعاصرة .

ما يخالف هذه الضوابط .

- المراجع

- الفهرس



## المراجع

- السلفية وقضايا العصر: د. عبد الرحمن بن زيد الزيندي  
مناهج البحث فى العقيدة الإسلامية فى العصر الحاضر: د. عبد الرحمن بن زيد الزيندي  
قواعد المنهج السلفي: د. مصطفى حلمي  
السلفية بين العقيدة الإسلامية والفلسفة الغربية: د. مصطفى حلمي  
منهج علماء الحديث والسنة: د. مصطفى حلمي  
نظام الخلافة فى الفكر الإسلامى: د. مصطفى حلمي  
أباطيل وأسما: محمود محمد شاكر  
العقائد السلفية بأدلتها العقلية والنقلية: ابن حجر القطري  
تحفة الإخوان فى صفات الرحمن: محمد بن محمد بن عبد العليم.  
معالم الانطلاقة الكبرى: محمد عبد الهادى المصرى  
لسان العرب: ابن منظور.  
محيط المحيط: بطرس البستاني  
مجموع الفتاوى: ابن تيمية  
نقض المنطق: ابن تيمية  
كتاب الإيمان: ابن تيمية  
منهاج السنة النبوية: ابن تيمية  
بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول: ابن تيمية  
النبوات: ابن تيمية  
الفتوى الحموية: ابن تيمية  
هداية الحيارى فى الرد على أسئلة اليهود والنصارى: ابن القيم  
الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: ابن تيمية  
رفع الملام عن الأئمة الأعلام: ابن تيمية  
الرسالة المدنية: ابن تيمية  
الإكليل فى المتشابه والتأويل: ابن تيمية  
الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة: ابن القيم  
زاد المعاد: ابن القيم  
مقارنة بين الغزالي وابن تيمية: د. محمد رشاد سالم

- الرد على المنطقين: ابن تيمية
- منهج الماتريدية فى العقيدة: د. محمد بن عبد الرحمن الخميس
- الإبانة عن أصول الديانة: أبو الحسن الأشعري
- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين: أبو الحسن الأشعري
- معارج القبول: حافظ أحمد حكيمى
- فتح المجيد: عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ
- شرح العقيدة الطحاوية تحقيق أحمد شاكى
- شرح العقيدة الواسطية: خليل هراس
- تقريب التدمرية: الشيخ محمد بن صالح العثيمين.
- الصفات الإلهية فى الكتاب والسنة فى ضوء الإثبات والتتريه: دكتور محمد أمان بن على الجامى
- دعوة الشيخ محمد بن الوهاب (تاريخها-مبادؤها-أثرها): محمد بن عبد الله بن سليمان السلممان.
- موقف الإمام ابن القيم من آراء المتكلمين: د. محمد سعيد صبرى صباح.
- الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية: عبد العزيز المحمد السلممان.
- إعلام الموقعين: ابن القيم
- سير أعلام النبلاء: الذهبى
- الأدلة والشواهد على وجوب الأخذ بخير الواحد فى الأحكام والعقائد: سليم الهلالي
- رسالة الحديث حجة بنفسه فى العقائد والأحكام، ووجوب الأخذ بأحاديث الآحاد فى العقيدة والرد على شبه المخالفين: الألبانى
- السلسلة الصحيحة للألبانى
- الاعتصام: الشاطبى
- جامع العلوم والحكم: ابن رجب الحنبلى
- حلية الأولياء: أبو نعيم
- ترجمة الإمام أحمد: الحافظ الذهبى
- البداية والنهاية: ابن كثير
- تفسير ابن كثير.
- تفسير القرطبى.
- مفاتيح الغيب: الرازى
- روح المعاني: الآلوسى

- أضواء البيان: الشنقيطي  
تهذيب موعظة المؤمنين: القاسمي  
تمام المنة في الرد على أعداء السنة: الشيخ محمد إسماعيل  
منة الرحمن في نصيحة الإخوان: الشيخ ياسر برهامي  
فرق وطبقات المعتزلة: القاضي عبد الجبار  
الملل والنحل: الشهرستاني  
فصل الكلام في ذم علم الكلام: يحيى مختار  
صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام: السيوطي.  
الإتقان في علوم القرآن: السيوطي  
محاسن التأويل: السيوطي  
إحكام الأحكام: ابن حزم  
الرسالة: الشافعي  
فتح رب البرية بتلخيص الحموية: ابن عثيمين  
كتاب الزيارة: ابن تيمية  
الجواب الباهر في زوار المقابر: ابن تيمية  
تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد: الألباني  
كتاب التوسل: ابن تيمية  
الضوابط الشرعية لتحقيق الأخوة الإيمانية: الشيخ سعيد عبد العظيم  
أدلة تحريم حلق اللحية: الشيخ محمد إسماعيل. ومعها رسالة (تبصير أولى  
الألباب ببدعة تقسيم الدين إلى قشر ولباب).  
أصول الدعوة: د. عبد الكريم زيدان  
الوجيز في أصول الفقه: د. عبد الكريم زيدان  
الإمام مالك: أبو زهرة  
أصول الفقه: أبو زهرة  
جذور العلمانية: الدكتور السيد فرج أحمد.  
خواطر على طريق الدعوة: جراح وأفراح الشيخ محمد حسان  
الإبداع في مضار الابتداع: الشيخ علي محفوظ  
تحصيل الزاد: الشيخ سعيد عبد العظيم

## الفهرس

الصفحة	الموضوع
٢	مقدمة .....
٧	ملاح رئيسية للمنهج السلفي .....
٧	أولاً: ملاح نظرية للسلفية .....
٩	السلفية: لغة - شرعاً - تاريخاً .....
١١	معني السلفية لغة .....
١١	لفظ سلف في القرآن الكريم .....
١٢	معني السلفية اصطلاحاً .....
١٣	مضمون السلفية .....
١٦	ظهور مصطلح السلفية من الناحية التاريخية .....
١٧	أولاً: جيل الصحابة <small>رضي الله عنهم</small> .....
١٨	ثانياً: أهل الحديث .....
٢٠	ثالثاً: أهل السنة والجماعة .....
٢٠	رابعاً: محنة الإمام أحمد رحمه الله .....
٢٢	خامساً: ظهور مصطلح السلفية .....
٢٥	أبو الحسن الأشعري .....
٢٦	حديث افتراق الأمة بترك ما كان عليه الصحابة <small>رضي الله عنهم</small> .....
٢٠	الوصية النبوية بالتمسك بهديه وهدى أصحابه عند الاختلاف .....
٢١	دور ابن تيمية في إنعاش المذهب السلفي .....
٢٣	منهج ابن تيمية .....

- ٣٦ ..... صور من جهاد ابن تيمية ضد التتار
- ٣٦ ..... دور الشيخ محمد بن عبد الوهاب في تجديد الدعوة السلفية
- ٣٩ ..... من قواعد المنهج السلفي في الاستدلال
- ٤١ ..... ١- الاستدلال بالكتاب والسنة
- ٤٦ ..... آثار في النهي عن الخروج عن الكتاب والسنة
- ٤٨ ..... مناظرة بالكتاب والسنة من آثار السلف
- ٤٨ ..... ٢- تقديم النقل علي العقل
- ٥١ ..... من أقوال العلماء في ذم علم الكلام والانشغال به
- ٥٧ ..... درء تعارض النقل والعقل
- ٦١ ..... علماء السلف أهل نظر واستدلال
- ٦١ ..... أمثلة لاستدلالات عقلية للسلف الصالح
- ٦٤ ..... النظر العقلي عند السلف
- ٦٥ ..... النظر العقلي في القرآن الكريم
- ٦٧ ..... أمثلة للأدلة العقلية في القرآن الكريم
- ٦٧ ..... إثبات وجود الخالق عز وجل
- ٦٨ ..... إثبات أنه وحده المستحق للعبادة
- ٧٠ ..... إثبات أن الإله واحد لا شريك له
- ٧٠ ..... إثبات النبوة وارسال الرسول ﷺ
- ٧١ ..... إثبات البعث والنشور والإحياء بعد الإماتة
- ٧٣ ..... إثبات صفات الله وأفعاله
- ٧٤ ..... ضرب الأمثال العقلية في القرآن الكريم
- ٧٥ ..... القياس في القرآن الكريم
- ٧٦ ..... الجدل والمجادلة في القرآن الكريم
- ٧٩ ..... حكم الجدل والمرء ولو في الحق
- ٨١ ..... امثلة للأدلة العقلية في الحديث النبوي

- ١٢ ..... حجية أحاديث الأحاد في العقائد والأحكام
- ٩٣ ..... ٣- رفض التأويل الكلامي
- ٩٤ ..... فساد ترك الأخذ بظاهر النصوص في العقائد
- ٩٩ ..... أ- رفض التأويل
- ١٠٤ ..... ب- رفض تحريف النصوص
- ١٠٥ ..... ج- رفض التعطيل
- ١٠٦ ..... د- رفض التشبيه والتمثيل بين الخالق والمخلوق
- ١٠٦ ..... هـ- رفض تكييف الصفات
- ١١٠ ..... ٤- التمسك بفهم الصحابة للكتاب والسنة وعملهم بهما
- ١١٨ ..... أدلة فضل الصحابة رضوان الله عليهم
- ١١٨ ..... الآيات القرآنية الواردة في فضل الصحابة رضي الله عنهم
- ١٢٢ ..... الأحاديث النبوية في فضل الصحابة رضي الله عنهم
- ١٢٥ ..... من أقوال السلف في فضل الصحابة رضي الله عنهم
- ١٢٦ ..... رأي المتكلمين في صحابة النبي صلى الله عليه وسلم
- ١٢٩ ..... علم الكلام
- ١٢٩ ..... أهم موضوعات علم الكلام
- ١٣٠ ..... حجج المتكلمين في الدفاع عن منهجهم العقلي
- ١٣٦ ..... بين أهل الحديث والمتكلمين
- ١٤٢ ..... أسباب معارضة السلف للمتكلمين
- ١٤٣ ..... طريقة السلف أسلم وأحوط وأعلم وأحكم
- ١٤٦ ..... بين العلمانية والسلفية
- ١٤٨ ..... العقلية التغريبية في مواجهة الدين
- ١٥٠ ..... الموقف السلفي من العقلانية
- ١٦١ ..... ثانياً: ملامح عملية للسلفية في وقتنا الحاضر
- ١٦٥ ..... (١) الاهتمام بقضايا التوحيد

- ١٦٧ ..... التوحيد أولاً لو كانوا يعلمون
- ١٧١ ..... كلمة التوحيد قبل توحيد الكلمة
- ١٧٤ ..... التوحيد والعقيدة عند السلفيين
- ١٧٥ ..... تفويض الأسماء والصفات ليس من توحيد السلف
- ١٧٧ ..... حرمة عبادة غير الله باسم التوسل والتبرك والشفاعة
- ١٧٨ ..... حرمة اتخاذ القبور مساجد والغلو في الصالحين
- ١٨١ ..... (٢) الحرص علي تحقيق الوحدة الإسلامية المثمرة
- ١٨٣ ..... الإخوة الإيمانية ومعالجة أسباب الفرقة
- ١٨٧ ..... جماعات الدعوة هل هي من الفرق النارية
- ١٩١ ..... (٣) الشمولية في الدعوة
- ١٩٣ ..... رفض النظرة الجزئية للدين
- ١٩٥ ..... ومما ينافي الشمولية في الإسلام
- ٢٠٢ ..... قياس فاسد
- ٢٠٨ ..... وينافي الشمولية في الإسلام
- ٢٠٩ ..... تعريف البدعة وبيانه
- ٢١٣ ..... من أقوال السلف في ذم البدعة
- ٢١٩ ..... (٤) مفهوم التقدم الحضاري عند السلفيين
- ٢٢١ ..... السلفية منهج حياة لكل زمان ومكان
- ٢٢٥ ..... (٥) تيسير فهم الإسلام
- ٢٣١ ..... (٦) سلفية المنهج سلفية المواجهة (بين الأصالة والمعاصرة)
- ٢٣٤ ..... ضوابط الأصالة والمعاصرة
- ٢٣٧ ..... ثبت الموضوعات
- ٢٤٢ ..... المراجع
- ٢٤٥ ..... الفهرس